The Islamic Universityof Gaza

Deanship of Research and Graduate Studies

Faculty of Osool Deen

Master of Hadith and its Sciences

الجـامعـــــــة الإســـلاميــة بغـزة

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

كـــلـــيـــــة أصـــــول الـديـــن

ماجستيـر الـحديث الشريف وعلومه

القيم الحضارية في غزوات النبي صلى الله عليه وسلم

Civilizational values in the conquests of the Prophet, peace be upon him

إِعدَادُ البَاحِثِ

محمد ديب رمضان

إِشرَافُ

الدُكتُور أحمد إدريس رشيد عودة

قُدمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ
فِي الحديث الشريف وعلومه بِكُلِيةِ أصول الدين فِي الْجَامِعَةِ الإِسلامِيةِ بِغَزة

أغسطس/٢٠٢١ – ذو الحجة/ ١٤٤٢م

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

القيم الحضارية في غزوات النبي صلى الله عليه وسلم

Civilizational values in the conquests of the Prophet, peace be upon him

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	محمد ديب رمضان	اسم الطالب:
Signature:		التوقيع:
Date:	٢٠٢١/ / م	التاريخ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية بغزة
The Islamic University of Gaza

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا | هاتف داخلي: 1150

الرقم Ref ج س غ/35/.....

التاريخ Date 02/10/2021م.....

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناء على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **محمد ذيب حمدان رمضان** لنيل درجة الماجستير في كلية **أصول الدين**/ قسم **الحديث الشريف وعلومه** وموضوعها:

القيم الحضارية في غزوات النبي صلى الله عليه وسلم

Cultural values in the invasions of the Prophet, may God bless him and grant him peace

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم **السبت 24 صفر 1443**هـ الموافق **2021/10/02**م الساعة **الواحدة مساء**، في **قاعة اجتماعات كلية أصول الدين** اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. أحمد إدريس عودة	**مشرفا ورئيسا**	.....
د. رائد طلال شعت	**مناقشا داخليا**	.....
د. مجدي محمد أبو الحصين	**مناقشا خارجيا**	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/قسم الحديث الشريف وعلومه**.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. يوسف ابراهيم الجيش

ملخص الرسالة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وصحابته الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد: –

تمت هذه الدراسة التي هي بعنوان "القيم الحضارية في غزوات النبي –صلى الله عليه وسلم–" من خلال دراسة موضوعية في الكتب الستة، وما كان خارجها لحاجة لم توجد فيها، وقد اعتمدت على المنهج الاستقرائي الجزئي، في جمع المادة العلمية.

ومكونات البحث هي: مقدمة وفصل تمهيدي، وثلاثة فصول، وخاتمة، والفهارس، وقائمة المصادر والمراجع.

وأمَّا المقدمة: فقد تناولت فيها: أهمية البحث وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطة البحث.

وأمَّا الفصل التمهيدي: فقد تناولت فيه: مفهوم القيم الحضارية، ويتناول تعريف القيم الحضارية، ومعاييرها، وأنواعها، ثم مفهوم الجهاد، ويتناول: تعريف الجهاد، وتشريعه، والغاية منه، والمفهوم الثالث: التعريف بغزوات النبي –صلى الله عليه وسلم–، وعددها، وأشهرها.

وأمَّا الفصل الأول: فقد تناول فيه: القيم الحضارية قبل حدوث الغزوة أي فترة التجهيز والاعداد لها، وبيان أنواعها وأثرها على الجند في ميدان المعركة بشكل خاص، والمجتمع بشكل عام وأثرها على الأعداء والخصوم.

وأمَّا الفصل الثاني: فقد تناولت فيه: القيم الحضارية أثناء حدوث الغزوة وقبل أن تضع الحرب أوزارها، وبيان أنواعها وأثرها على الجند في ميدان المعركة بشكل خاص، والمجتمع بشكل عام وأثرها على الأعداء والخصوم.

وأمَّا الفصل الثالث: فقد تناولت فيه: القيم الحضارية عقب حدوث الغزوة وبعد أن تضع الحرب أوزارها، وإن طال الفاصل الزمني إن كان هناك تعلقًا، وبيان أنواعها وأثرها على الجند في ميدان المعركة بشكل خاص، والمجتمع بشكل عام وأثرها على الأعداء والخصوم.

وأمَّا الخاتمةُ: فقد استعرض فيها الباحث أهم نتائج البحث، وتوصيات الباحث.

ومن أهم نتائج الدراسة:

١- القيم الحضارية ليست فقط في السلم بل أشد ما يحتاج لها في الحرب.
٢- من آثار تطبيق القيم الحضارية هي المحافظة على حقوق المرأة.
٣- المحبة والتسامح والتعاون بين طبقات المجتمع أثر قوي من آثار التطبيق الصحيح للقيم الحضارية سواء في السلم أو الحرب.

ومن أهم توصيات الرسالة:

١-الاهتمام بدراسة أنواع أخرى من القيم: مثل القيم الاقتصادية، والقيم السياسية، والقيم الاجتماعية في السنة النبوية.
٢-اعتماد نماذج من القيم في السنة النبوية وتدريسها في مساقات التربية والتعليم سواء في المدارس أو الجامعات.
٣-أوصي الأخوة في وزارة الأوقاف والخطباء والوعاظ بتخصيص مواضيع عن القيم ونشرها بين الناس سواء في خطب الجمعة أو دروس الوعظ والإرشاد.

Abstract

Praise be to God, and peace be upon his Messenger, his faithful companions, and those who followed them in goodness until the Day of Judgment.

This study included an objective study of the six books, and from other books needed and which did not exist in them. It depended on the partial inductive approach in collecting scientific material.

The study consisted of: an introduction, an introductory chapter, three chapters, a conclusion, indexes, and a list of sources and references.

The introduction dealt with the importance of the research and the reasons for choosing it, the research objectives, previous studies, the research method, and the research plan.

The introductory chapter dealt with the concept of civilized values, its definition, standards, and its types. In addition, it discussed the concept of jihad, its definition, legislation, and its purpose. The third concept was the definition of the conquests of the Prophet – peace and blessings be upon him, in addition to its number and the most famous conquests.

The first chapter discussed the civilizational values before the conquest "the period of preparation" , its types and impact on soldiers in the battlefield in particular, and society in general and its impact on enemies.

The second chapter dealt with civilizational values during the conquest and before the end of the war. It declared its types and impact on soldiers in the battlefield in particular, and society in general and its impact on enemies.

The third chapter dealt with civilizational values after the war ended. It declared its types and impact on soldiers in the battlefield in particular, and society in general and its impact on enemies.

The conclusion contained the most important results of the research, and the recommendations of the researcher. The main results of the study contained the followings:

1- Civilizational values are not only in peace, but are most needed in war.

2- Preserving the duties and rights of women is one of the components of the civilizational values.

3- Love, tolerance and cooperation between the society is a strong component of the civilization values, whether in peace or war.

The main recommendations of the study was as followed:

1- the importance of studying other types of values: such as economic values, political values, and social values in the Prophet's life.

2- Adopting models of values related to the Prophet and teaching them in education courses, whether in schools or universities.

3- The study recommend the Ministry of Endowments and orators to allocate topics about values and spread them among the people, whether in Friday sermons or in special guidance lessons.

﴿ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾

[الأنعام: ١٦١]

ٱلإهدَاْءُ

أهدي ثمرة هذا العمل إلى:

روح أبي الغالي الذي ما فتيأ يحثنا على العلم والتعلم رحمه الله.

وأمي الغالية التي كانت سندًا لي في هذه الرحلة العلمية حفظها الله.

إلى زوجتي الحبيبة التي مهدت لي البيئة المناسبة للبحث والعمل.

إلى أولادي جميعا كبيرهم وصغيرهم فلذات كبدي في دنيتي

إلى إخوتي وأخواتي أعزائي وحبي لهم في كل مكان

مشايخي الكرام الذين تعلمت منهم العلم ولهم بصمة في هذا العمل

الله أسالُ أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله في ميزان حسناتي

ومن كان له فضل عليّ في إنجاز هذا العمل، بارك الله فيكم أجمعين.

شكرٌ وتقديرٌ

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات والصلاة والسلام على نبي الرحمة الذي كان أجود من الريح التي أرسلت، وصلاة وسلامًا على صحابته الكرام وتابيعهم بالإحسان والبركات... أما بعد:-

فإنني أتقدم بالشكر الوفير الغزير إلى شيخي الدكتور أحمد إدريس عودة على ما قدم إليّ من النصائح والإرشادات طوال فترة الإشراف وما قبلها.

وأتقدم بالشكر الوافر والتقدير إلى عضوي لجنة التحكيم أستاذيّ الكريمين:

وأتقدم بالتقدير وا لاحترام والاعتزاز بالصرح العملاق ومنبت العلماء في غزتنا الحبيبة المحاصرة المكلومة إلى هذه المؤسسة العريقة جامعتنا الغراء الجامعة الإسلامية

والشكر موصول لكل من كان له فضل علينا في العلم والتعليم وتوسيع المدارك في هذا العلم العظيم.

الباحث

محمد ديب رمضان

فهرس المحتويات

إقـــــرار ..... أ

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير ..... ب

ملخص الرسالة ..... ج

Abstract ..... هـ

الإهداء ..... ح

شكرٌ وتقديرٌ ..... ط

مقدمة ٦

الفصل التمهيدي ١٤

المبحث الأول: مفهوم القيم الحضارية ١٥

المطلب الأول: تعريف القيم الحضارية لغة واصطلاحا ١٥

المطلب الثاني: معايير القيم الحضارية: ١٧

المطلب الثالث: أهمية القيم الحضارية للفرد والمجتمع: ١٩

المبحث الثاني: مفهوم الجهاد في سبيل الله ٢٠

المطلب الأول: تعريف الجهاد لغة واصطلاحا ٢١

المطلب الثاني: حكم الجهاد وتشريعه ٢١

المطلب الثالث: الغاية من تشريع الجهاد ٢٣

المبحث الثالث: التعريف بغزوات النبي صلى الله عليه وسلم ٢٣

المطلب الأول: تعريف الغزوة والسرية لغة واصطلاحًا ٢٤

المطلب الثاني: عدد الغزوات، أولها وآخرها ٢٥

المطلب الثالث: أشهر الغزوات التي خاضها النبي صلى الله عليه وسلم ٢٥

الفصل الأول: القيم الحضارية ما قبل الغزوة وآثارها ٣٣

المبحث الأول: الرفق والرأفة ٣٣

المطلب الأول: الرفق وجبر الخواطر ٣٤

المطلب الثاني: الرفق في الطلب: ٣٥

المطلب الثالث: الرأفة والشفقة مع الأصحاب ٣٧

المطلب الرابع: الرفق مع الخصم ٣٩

المبحث الثاني: النصح والإرشاد ٤٠

المطلب الأول: النصح من خلال مجالس العلم ٤١

المطلب الثاني: الإرشاد إلى النفع ٤٢

المطلب الثالث: التحذير من الخطأ ٤٤

المطلب الرابع: الشورى ٤٦

المطلب الخامس: تقدير رأي الجند ٥٠
المبحث الثالث: أهمية المرأة ٥١
المطلب الأول: المحافظة على المرأة المسلمة..... ٥١
المطلب الثاني: الروابط الأسرية والعدل فيها ٥٢
المطلب الثالث: تحريم قتل المرأة الكافرة ٥٣
المبحث الرابع: تحقيق المصلحة ودرء المفسدة..... ٥٥
المطلب الأول: الترغيب بالأجر والثواب ٥٥
المطلب الثاني: تحقيق المصلحة بغية الخير ٥٦
المطلب الثالث: الحث على دفع الأذى..... ٥٧
المطلب الرابع: تصحيح الخطأ بالفعل ٥٩
المطلب الخامس: التجاوز لمصلحة أعم وأكبر ٦١
المبحث الخامس: مقومات الأمن والأمان ٦٣
المطلب الأول: التحذير من خطر وجهد شديد قبل الغزو ٦٤
المطلب الثاني: الحفاظ على أمن الرعية في سربهم ٦٦
المطلب الثالث: المحافظة على حياة الطفل ٦٧
المبحث السادس: الصدق والاخلاص..... ٦٩
المطلب الأول: الصدق في العبادات ٦٩
المطلب الثاني: الصدق مع الرعية ٧٠
المطلب الثالث: المبادرة أثر من الصدق ٧٣
المطلب الرابع: الوفاء من نتاج الصدق ٧٤
المبحث السابع: التواضع والتساوي ٧٥
المطلب الأول: مشاركة التجهيز مع الجند ٧٧
المطلب الثاني: سواسية القيادة والجند ٧٧
الفصل الثاني: القيم الحضارية في أثناء الغزوة وآثارها..... ٨١
المبحث الأول: المحبة والعطاء ٨١
المطلب الأول: تخصيص المحبة ٨١
المطلب الثاني: المحبة من أسباب اعتناق الإسلام..... ٨٥
المطلب الثالث: العرض بالمحبة ثم الاختيار للمحب..... ٨٧
المطلب الرابع: عيادة الجرحى في خضم المعركة..... ٨٨
المبحث الثاني: الشجاعة..... ٨٩
المطلب الأول: تقدم الصفوف..... ٩٠
المطلب الثاني: شجاعة النساء ٩١
المبحث الثالث: التجاوز والرحمة ٩٣
المطلب الأول: التجاوز بديل للعتاب مع الجند ٩٣

المطلب الثاني: الدعاء بالرحمة للخصم ٩٤
المبحث الرابع: التقدير والاحترام ٩٦
المطلب الأول: احترام رأي الجند ٩٦
المطلب الثاني: تقدير الخصم بما يناسبه ٩٧
المبحث الخامس: الاهتمام والمتابعة ٩٨
المطلب الأول: اهتمام القيادة بالجند ٩٨
المطلب الثاني: مشاركة الميدان مع الجند ٩٩
المطلب الثالث: مداواة الجرحى ١٠٠
المبحث السادس: المحافظة على الجانب الروحي والديني ١٠٢
المطلب الأول: الحرص على أداء الصلاة ١٠٢
المطلب الثاني: الحرص على قضاء الصلاة ١٠٣
الفصل الثالث: القيم الحضارية ما بعد الغزوة وآثارها ١٠٥
المبحث الأول: حرية التعبير والمشاورة والسؤال ١٠٥
المطلب الأول: مشاورة القائد للجند ١٠٥
المطلب الثاني: مشاورة الجند للقائد ١٠٧
المطلب الثالث: قبول العرض من الخصم ١٠٨
المطلب الرابع: حرية السؤال الهادف ١٠٩
المطلب الخامس: حرية التطوع للتجنيد ١١٠
المبحث الثاني: التعليم والمدارسة ١١١
المطلب الأول: التعليم بالفعل في الغزوات ١١١
المطلب الثاني: التعليم بالحوار ١١٣
المبحث الثالث: الحكم والعدل ١١٤
المطلب الأول: التحكيم وفض النزاع بالحق ١١٤
المطلب الثاني: المحاسبة لأمراء الجند ١١٨
المطلب الثالث: الحزم والعدل وأثره ١٢٠
المبحث الرابع: الرفق والعفو والتواضع عقب الغزو ١٢٢
المطلب الأول: النصيحة والرفق بالجند ١٢٢
المطلب الثاني: العفو عند المقدرة ١٢٤
المطلب الثالث: تواضع القيادة في الميدان ١٢٥
المبحث الخامس: التماس العذر والأناة والتسامح ١٢٩
المطلب الأول: التماس العذر لمن حق لهم العذر ١٣٠
المطلب الثاني: التأني على المخطئين ١٣١
المطلب الثالث: تأليف قلوب الكفار ١٣٢
المطلب الرابع: العفو عند المقدرة ١٣٤

المبحث السادس: العون والحث على الخير والتحذير من الأذى ١٣٥
المطلب الأول: عون الجند ورعايتهم ١٣٦
المطلب الثاني: التحذير بالنصح من وقوع الأذى ١٣٧
المطلب الثالث: الحث على التنويع في الأعمال الصالحة ١٤١
المبحث السابع: السمع والطاعة من المحبة: ١٤٢
المطلب الأول: المسارعة في الطاعة ١٤٢
المطلب الثاني: العتاب لمن لا يشك في طاعته ١٤٤
المبحث الثامن: المحبة والوفاء ١٤٥
المطلب الأول: تصدر الأفعال الحميدة ١٤٥
المطلب الثاني: الوفاء بالعهود ١٤٧
المبحث التاسع: المرأة والطفل ومكانتهما ١٤٩
المطلب الأول: الحرية والزواج ١٤٩
المطلب الثاني: الرفق واللطف مع المرأة ١٥٠
المطلب الثالث: النهي عن قتل الصغار ١٥٢
المطلب الرابع: الحفاظ على حقوق المرأة ١٥٤
المبحث العاشر: مواساة أهل الشهداء والجرحى والأسرى ١٥٥
المطلب الأول: تخفيف الحزن على أهالي الشهداء ١٥٥
المطلب الثاني: إكرام الشهداء وزيارة قبورهم ١٦٠
المطلب الثالث: الرأفة مع الأسرى ١٦١
المطلب الرابع: فكاك الأسرى ١٦٣
الخاتمة: ١٦٦
أولًا: أهم النتائج: ١٦٦
ثانيًا: أهم التوصيات: ١٦٨
المصادر والمراجع ١٧١
الفهارس العامة ١٨٣
أولًا: فهرس الآيات القرآنية ١٨٤
ثانيًا: فهرس الأحاديث النبوية ١٨٧

مقدمة

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

لقد أظلم قلبي خوفًا وهلعًا، من أن أقصر في حق هذا الموضوع، أو لا أزنه بميزان يكافئه، ولقد علمت من أعمال سابقة أن لكل طريق بداية عسيرة تتيسر من الله تعالى بالدعاء، والجهد، والعمل، وأيقنت في قرارة نفسي بعظم هذا العمل، في زمن يندر بأخلاق سامية من قيادة، أو ربان قوم إلا زلوا في مستنقع الحضارة المزعومة المزيفة الظالمة المتمثلة في أباطرة السياسة من دول العالم من حولنا التي ظلمت شعبنا، وذبح شعبنا على يد اليهود، والنصارى، بدون أن ترتجف لهم عين في عصر يوصف بالحضارة والرقي.

رأيت الرحمة والرأفة، والشفقة، والصدق، والحرية بأصولها، في مجتمع تربى على حب الله ورسوله، كانت الدنيا حاضرة في معيشتهم، وكانت الدنيا لها ميزانها، لكن لم تكن في المقدمة، لاحظت أن الدنيا يُستنفع منها فيما أحله الله، وكانوا سباقين إلى الخير، ومن وجوه الخير أن يُكتب تأصيل لهذا المنهاج النبوي من خير القرون لقيم عالية، ورفيعة في موطن من مواطن البأس، والقوة إن هذا يتنازع مع وسوسة الشيطان، وتزيين الأخلاق السيئة، والقيم الوضيعة كالانتقام، والقتل، والسلب، والنهب، والتمثيل بالجثث، وتزيين الأمر على أنه رجولة، ولن نجد مثالًا للرجولة، والبطولة، والقيادة، خير من خير البشر محمد –صلى الله عليه وسلم–.

- **أولًا: أهمية البحث وأسباب اختياره:**

١– المنهاج النبوي يشتمل على قيم حضارية شاهدة لهذا الدين العظيم.

٢– الجهاد في سبيل الله منهج حياة وبناء وليس منهج موت وهدم كما يصوره البعض.

٣– الرد على قول القائلين بأن المسلمين أقاموا حضارتهم بالسيف.

٤– هناك آثار نبيلة لتطبيق القيم والمبادئ الحسنة على الفرد والمجتمع.

٥- ظاهرة التشدد وكثرة القتل واستحلال الدم مما لم يأت في سنة المصطفى ولا هديه صلى الله عليه وسلم في الغزوات أو القتال بل كان هم النبي صلى الله عليه وسلم نشر الدعوة وبناء الحضارة الإسلامية.

٦- توصية الدكتور أحمد عودة بالكتابة في هذا الموضوع.

ولهذه الأسباب مجتمعة لاقى البحث صدًا وترحيبًا من الباحث في الاجتهاد والكتابة فيه.

- **ثانيًا: أهداف البحث:**

١- بيان أن مشروع الجهاد والقتال لابد أن يبنى على فهم صحيح من القرآن الكريم والسنة النبوية.

٢- الوقوف على المواقف النبوية ذات القيم السامية الحضارية في غزواته صلى الله عليه وسلم.

٣- جمع الأحاديث الدالة على القيم الحضارية والسامية في بحث متخصص في موضوع واحد.

٤- استنباط الآثار المترتبة على تحقيق القيم الحضارية في المجتمعات الإسلامية.

- **ثالثًا: الدراسات السابقة:**

بعد البحث من خلال قواعد البيانات المتوفرة على الشبكة العنكبوتية (الانترنت)، والخاصة بالجامعات الإسلامية والعربية، اتضح لي وجود عدد من الدراسات السابقة ذات العلاقة بالموضوع، وأهمها:

١- القيم الحضارية في السنة النبوية من خلال صحيح البخاري، للباحث: الياسين آل عمراوي، وهو بحث محكم يتناول القيم الحضارية التي تدعو إليها جملة من الأخلاق الحميدة الواردة في صحيح البخاري تناول الأمور الاجتماعية والأسرية والحكم.

٢- نظمت كلية الدِّراسات الإسلامية والعربية / دبي ندوة علمية دولية بتاريخ ٢٠/أبريل/ ٢٠٠٧م، تحت عنوان «القيم الحضارية في السنة النبوية» تتضمن المبادئ والأفكار المتعلقة بدراسة القيم والمفاهيم الحضارية في ضوء السّنة النبوية المطهرة وقد تناولت الندوة أهيمة القيم الحضارية في الإسلام، وأثرها على المراة وحقوقها، وترابط المجتمع

بدءاً من التعامل مع ذوي القربى وصولًا إلى شمولية التعامل مع أفراد المجتمع الذي يساهم مساهمة فعالة في بناء المجتمع الفاضل.

٣- مميزات القيم الحضارية في السنة النبوية الأصالة والتفرد، للباحث: جاسم محمد راشد العيساويّ، بحث محكم في مجلة الجامعة العراقية العدد٢٢ لسنة ٢٠٠٩م، وقد وضّح الباحث أن البحث كان لإثبات أن السنة النبوية قد انفردت في الدعوة إلى بعض القيم الحضارية فلم تشاركها فيها حضارة من الحضارات قديمها ولا حديثها، مثل الربانية، والشمولية، وكانت سباقة في الدعوة إلى كثير من القيم التي تعرفها البشرية اليوم؛ فهو أشبه بالرد على المصطلحات الواردة في الحضارة المعاصرة أن لها أصلًا في السنة النبوية، ولم أستطع الاطلاع على باقي البحث لعدم توفره على الشبكة العنكبوتية (الانترنت).

٤- القيم الحضارية في السنة النبوية، للباحث: عيسى بن عواض العضياني، هو في الأصل بحث محكم مقدم في مسابقة جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود، للبحوث والدراسات الإسلامية، وقد تضمن استقصاء النصوص الواردة في أنواع القيم الحضارية وحكاية القيم المتفقة مع الشريعة الإسلامية وصياغتها صياغة تدفع إلى التطبيق العملي في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تناول مجالات عديدة في السياسة والزراعة وغيرها واغتنام الثروات المتوفرة.

٥- القيم الحضارية في رسالة خير البشرية، للباحث: محمد بن عبد الله بن صالح السحيم، مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض–، الطبعة الأولى، سنة ٢٠١٠م، وهو كتاب يتناول القيم العلمية، والاجتماعية، والإدارية، التي حوتها كتب السيرة النبوية وهي تهدف في كل حياة النبي صلى الله عليه وسلم.

٦- الأساليب النبويّة في تفعيل القيم الحضاريّة في المجتمع الإسلامي، للباحث: أسامة عدنان عيد الغُنْميي، وخضير باعلي وسعيد، بحث محكم في قيم العلم والاتقان واحترام الوقت، حيث استعرض الباحثان أهمية هذه القيم في النهوض بالمجتمعات وإعطاء الصورة الحسنة للإسلام، ولم يعتمدا فقط على الأحاديث النبوية بل أيضًا آيات من القرآن الكريم.

وهذه الأبحاث رغم أهميتها وقيمتها العلمية إلا أنّ بحثي يتميز بالتركيز على القيم الحضارية الخاصة بغزوات النبي صلى الله عليه وسلم، سواء كان قبل أو أثناء أو بعد الغزوة، مع بيان آثارها، والاستدلال على هذا بأحاديث ومشاهد.

- **رابعًا: منهج البحث:**

اتباع المنهج الاستقرائي الجزئي في جمع الروايات، من الكتب الستة والخروج عنها لضرورة وهي نادرة، واستخدام منهج الاستدلال الذي ينبني على قواعد التأمل والتفكر في فهم دلالات النصوص النبوية وفهم معانيها، ثم القيام بما يأتي:

- **جمع الأحاديث وترتيبها وشرحها:**

١- أقوم بجمع الأحاديث المقبولة الصحيحة والحسنة التي لها علاقة بموضوع البحث، وأحيانا أورد بعض الأحاديث والآثار التي لا تخلو من ضعف يسير على سبيل الاستئناس، وأضع لكل مجموعة من الأحاديث عنواناً يناسبها، وقد أضع أحيانا عنوانا لحديث واحد.

٢- أحياناً أقدم الرواية الأقرب للمعنى المراد، أو لزيادة بيان.

٣- أستعين في البحث بالآيات القرآنية ذات الصلة بالموضوع.

٤- إذا كان في الحديث فائدة دعوية أو تربوية أبينها بقولي: "الفائدة الأولى، الفائدة الثانية، وأحياناً أجمل المعاني المستنبطة من الحديث.

٥- قد يحدث تكرارًا ظاهرًا لبعض الأحاديث لكن لفائدة أخرى مستنبطة لعنوان آخر في موضع مختلف عن سابقه.

- **تخريج الأحاديث:**

١- تخريج الحديث في حدود الكتب الستة إلا في حالة زيادة فائدة متعلقة بالبحث ولم تذكر في الكتب الستة.

٢- إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفى بتخريج الحديث منهما، أو من أحدهما إذا تفرد بروايته، وأحيانا أزيد في التخريج ولا يكون ذلك إلا لفائدة في السند أو المتن، وإذا كان الحديث في بقية الكتب الستة أتوسع في التخريج بما يفي بالمقصود.

٣- تخريج الحديث المكرر عند أول وروده في البحث، وبعد ذلك أنوه لرقم الحديث وحكمه فقط.

٤- بعد رواية كل حديث، خلا من الصحيحين، أضع سند كل حديث في الهامش، وأقوم بدراسة السند بعد ذكر الحديث في المتن.

- **الحكم على الأحاديث:**

١- إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفى بالقول رواه البخاري، ومسلم، أو رواه البخاري وتفرد به، أو رواه مسلم وتفرد به.

٢- إذا كان الحديث في غير الصحيحين أذكر الحكم على الحديث وفقاً لقواعد مصطلح الحديث بما يترجح لدي من خلال أقوال العلماء.

٣- ذكر التخريج والحكم على الحديث، والترجمة للصحابة والرواة، وغريب الحديث والبلدان والأنساب في هامش الصفحة.

- **دراسة السند:**

١- أترجم للرجال المختلف فيهم، وذلك بذكر أقوال العلماء فيهم جرحًا، وتعديلًا، وذكر الراجح من أقوال العلماء في حال ذلك الراوي، وإذا تكرر الراوي المختلف فيه، أقوم بذكر خلاصة القول فيه، والعزو إلى مكان ترجمته في البحث.

٢- بالنسبة للصحابة أقوم بالترجمة لغير المشاهير منهم، وذلك بالرجوع إلى الكتب التي ترجمت للصحابة.

- **خدمة متن الحديث:**

١- بيان ألفاظ غريب الحديث بالاستفادة من كتب الغريب واللغة والشروح.

٢- التعريف بالأماكن والبلدان والأنساب بالرجوع للكتب الخاصة بذلك.

٣- التعريف بالأعلام الواردة في الدراسة بشكل مختصر ومفيد.

٤- ما سبق من (بيان الألفاظ الغريبة – التعريف بالبلدان والأعلام والأنساب) سأجعله في هامش الصفحة.

٥- استنباط ما يستفاد من الأحاديث النبوية الشريفة، بالرجوع لكتب شروح الأحاديث.

٦- القيام بدفع التعارض بين الأحاديث بالرجوع لكتب مختلف الحديث وشروحه وغيرها.

- **توثيق المراجع:**

أقوم بذكر اسم المرجع، واسم المؤلف أو ما اشتهر به، ورقم الجزء والصفحة ورقم الحديث إن وجد، ثم اذكر التعريف بالمرجع بشكل تفصيلي في قائمة المراجع.

- **بيان غريب البلدان:**

التعريف بالأماكن والبلدان الغريبة بالرجوع إلى الكتب ذات الشأن.

- **إعداد فهارس:**

إعداد فهارس متنوعة، وترتيبها بحسب حروف المعجم.

- **خامسًا: خطة البحث:**

جعلت البحث في مقدمة، وفصل تمهيدي، وثلاثة فصول، وخاتمة، والفهارس، وقائمة المصادر والمراجع.

المقدمة، وتشمل على أهمية البحث وبواعث اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وطبيعة عمل الباحث فيه، وخطته.

والفصل التمهيدي، وفيه ثلاثة مباحث؛ المبحث الأول: مفهوم القيم الحضارية، والمبحث لثاني: مفهوم الجهاد في سبيل الله، والمبحث الثالث: التعريف بغزوات النبي صلى الله عليه وسلم وعددها.

والفصل الأول: القيم الحضارية ما قبل الغزوة وآثارها، وفيه سبعة مباحث؛ المبحث الأول: الرفق والرأفة، والمبحث الثاني: النصح والإرشاد والتقدير، والمبحث الثالث: الاهتمام بالمرأة، والمبحث الرابع: النفع ودفع الضرر، والمبحث الخامس: الأمن والأمان، والمبحث السادس: الصدق والوفاء، والمبحث السابع: التواضع والمساواة

والفصل الثاني: القيم الحضارية أثناء الغزوة وآثارها، وفيه خمسة مباحث: المبحث الأول: المحبة والوفاء، والمبحث الثاني: الشجاعة، والمبحث الثالث: الرفق والرأفة، والمبحث الرابع: التقدير والاحترام، والمبحث الخامس: الاهتمام والمتابعة.

والفصل الثالث: القيم الحضارية ما بعد الغزوة وآثارها، وفيه عشرة مباحث؛ المبحث الأول: حرية التعبير والمشاورة والسؤال، والمبحث الثاني: التعليم والمدارسة، والمبحث الثالث: الحكم والعدل، والمبحث الرابع: الرفق واللين والتواضع، والمبحث الخامس: التقدير والتماس العذر والتسامح، والمبحث السادس: النصح والإرشاد والحث على الخير، والمبحث السابع: السمع والطاعة والمحبة، والمبحث الثامن: الصدق والوفاء، والمبحث التاسع: المرأة والطفل ومكانتهما، والمبحث العاشر: مواساة أهل الشهداء والجرحى والأسرى.

وقد اشتملت هذه المباحث على مطالب متعددة.

ثم كانت الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وبعدها ذيلت البحث بقائمة المصادر والمراجع والفهارس العامة.

الفصل التمهيدي

الفصل التمهيدي

المبحث الأول: مفهوم القيم الحضارية

يتناول هذا المبحث القيم الحضارية من حيث المفهوم الذي يشمل تعريف اصطلاح القيم الحضارية منفردًا ومجتمعًا، ومعايير هذه القيم وأهميتها، ويشتمل على ثلاثة مطالب، وهي:

المطلب الأول: تعريف القيم الحضارية لغة واصطلاحا

اولًا: تعريف القيم: لغة واصطلاحًا:

١- **تعريف القيم لغة:** القيم في اللغة: من الفعل قوم، وقد بيّن ذلك ابن منظور في كتابه، فقال: "قوم: القِيَامُ: نَقِيضُ الْجُلُوسِ، قَامَ يَقُومُ قَوْماً وقِياماً وقَوْمَة وقَامَةً، والقَوْمَةُ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ" ولها مشتقات كما وضحه ابن منظور: " وَرَجُلٌ قَائِمٌ مِنْ رِجَالٍ قُوَّمٍ وقُيَّمٍ وقِيَّمٍ وقُيَّامٍ وقِيَّامٍ. وقَوْمٌ: قِيلَ هُوَ اسْمٌ لِلْجَمْعِ، وَقِيلَ: جَمْعُ. التَّهْذِيبُ: وَنِسَاءٌ قُيَّمٌ وقَائِمَات أَعرف" [١]، ويأتي معنى الكلمة في الاستقامة والحسن، بما بينه في موضع اخر ابن منظور: "وقَيِّمُ الأَمر: مُقِيمهُ. وأَمرٌ قَيِّمٌ: مُسْتقِيم. وَفِي الْحَدِيثِ [٢]: أَتَانِي مَلَك فَقَالَ: أَنت قُثَمٌ[٣] وخُلُقُكَ قَيِّم، أَيْ مُسْتَقِيم حسَن" [٤]، فالقيم بمعنى أحسن الأشياء وأطيبها على النفس لاستقامتها.

٢-**تعريف القيم اصطلاحا:** القيم في الاصطلاح: اختلف علماء المدارس الفكرية في تعريف القيم بحسب مذاهبهم، ومدارسهم التي ينتمون إليها، كالسياسية، والإقتصادية، وعلم

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، (ج١٢/ ص٤٩٦).

(٢) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، (١ج/ ص٢٣٣).

(٣) قُثَمُ: أَيِ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي لَا زَيْغَ فِيهِ وَلَا مَيْلَ عَنِ الحقِّ. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (ج٤/ ص١٣٥).

(٤) انظر: المرجع السابق، (ج١٢/ ص٥٠٢).

النفس، والتربية، وغيرها من المذاهب وسأتناول تعريفات لها علاقة بدارستنا، والتي منها:

- عند علماء علم النفس حيث يعرف القيم أنها: "ذلك الجانب من الدافعية الذي يشير إلى المعايير الشخصية والثقافية" [١].
- عند علماء الاجتماع والتربية، حيث عرف القيم بأنها: "محطات ومقاييس نحكم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء والأعمال والموضوعات والمواقف الفردية والجماعية من حيث حسنها وقيمتها والرغبة بها، أو من حيث سوئها وعدم قيمتها، أو في منزلة معينة بين هذين الحدين"[٢].

ثانيًا: تعريف الحضارة لغة واصطلاحًا:

١-**تعريف الحضارة لغة:** الحضارة في اللغة من الفعل حضر، وقد بينه ابن فارس فقال: " حَضَرَ: الْحَاءُ وَالضَّادُ وَالرَّاءُ إِيرَادُ الشَّيْءِ، وَوُرُودُهُ وَمُشَاهَدَتُهُ. وَقَدْ يَجِيءُ مَا يَبْعُدُ عَنْ هَذَا وَإِنْ كَانَ الْأَصْلُ وَاحِدًا، فَالْحَضَرُ خِلَافُ الْبَدْوِ. وَسُكُونُ الْحَضَرِ الْحِضَارَةُ. قَالَ:

فَمَنْ تَكُنِ الْحَضَارَةُ أَعْجَبَتْهُ ... فَأَيَّ رِجَالِ بَادِيَةٍ تَرَانَا

قَالَهَا أَبُو زَيْدٍ بِالْكَسْرِ، وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ هِيَ الْحَضَارَةُ بِالْفَتْحِ"[٣].

٢-**تعريف الحضارة اصطلاحًا:** الحضارة في الاصطلاح لها تعريفات كثيرة لكن سأكتفي بتعريف من عند خبراء العرب وآخر من الغرب لتعم الفائدة وهما:

- عرّف حسين مؤنس الحضارة فقال "الحضارة-في مفهومنا العام-هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصودا أم غير مقصودة وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية"[٤].

([١]) انظر: القيم الحضارية في السنة النبوية، لعيسى العُضياني، (ص٣٦).

([٢]) انظر: المرجع السابق، (ص٣٧).

([٣]) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (ج٢/ ص٧٥).

([٤]) انظر: الحضارة، د حسين مؤنس، (ص: ١٣).

- عرّف تايلر الحضارة فقال: "ذلك الكيان المعقد الذي يضم المعرفة، والمعتقدات والفنون والآداب والقوانين والعادات، وجميع القدرات والتقاليد الأخرى التي يكسبها الإنسان بصفته عضواً في المجتمع" [١].

ثالثًا: تعريف القيم الحضارية: تعددت تعريفات القيم الحضارية بحسب المدارس الفكرية، فمن تعريفات القيم الحضارية:

- " هي القيم المتعلقة والمرتبطة ارتباطا وثيقًا بالبناء الحضاري للأمة الإسلامية، وهي ذات طابع اجتماعي عمراني، كالاستخلاف والمسؤولية، والحرية والمساواة، والعمل والقوة، والأمن والسلام والجمال، وغيرها" [٢].
- " المعايير والموازين الموجهة لحركة الإنسان، والضابطة والحاكمة للفعل الحضاري، بكل تنوعاته وامتداداته، وفق رؤية الإسلام ومقاصده في تحريك الحياة، تحصيلًا للمعية الإلهية، وترسيخًا للذات البشرية" [٣].

وقد استخلصت لدراستي تعريفًا للقيم الحضارية أنها:

"المبادئ والأصول التي يبني عليها الفرد والمجتمع سلوكه ومنهاجه المنبثق من الشريعة الإسلامية في التعامل مع الآخرين للوصول إلى نشر الفضيلة والتعاون الذي يفضي لمجتمع حضاري مثالي في أوجه التكامل الإنساني لعمارة الأرض".

المطلب الثاني: معايير القيم الحضارية:

كتب الكاتب إبراهيم الديب [٤] في المعايير فقال: القيم كائن حي يتطور بتطور الفكر الإنساني، واتساع وتطور حركة ومجالات الحياة وتطور القيمة يشمل ماهيتها وأهميتها

([١]) انظر: معركة الحضارة، د زريق، (ص: ٣٤).

([٢]) انظر: القيم بين الإسلام والغرب، لمانع المانع، (ص: ٢٤).

([٣]) انظر: قيم الإسلام الحضارية نحو إنسانية جديدة، محمد الخطيب، (ص: ٢٣).

([٤]) رئيس مركز قيمتي هويتي لدراسات القيم والهوية–اسطنبول

وتطبيقاتها السلوكية في مجالات الحياة المختلفة مما يتطلب صناعة متخصصة وتطويرًا مستمرًا لمفاهيم وتطبيقات القيم للشرائح العمرية والنوعية المختلفة وفي مجالات الحياة المختلفة.

لذلك، فإن المفهوم الحضاري للقيمة يشترط ثلاثة عشر معيارًا في القيمة الحضارية الواحدة:

١-علمية: مجردة من أية أيديولوجيات خاصة.

٢-إنسانية: تقدر قيمة الإنسان، وتحترم وتحافظ على كرامته الوجودية.

٣-نافعة: تحقق النفع للإنسان، بمنحه الخير، أو دفع الضرر عنه أو الاثنين معا.

٤-تراكمية جامعة: جامعة لمفهوم القيمة في الثقافات الإنسانية المتراكمة المختلفة السابقة.

٥-معاصرة: تتضمن التطبيقات المعاصرة للشرائح العمرية والمهنية المختلفة.

٦-شاملة ومتكاملة: الشامل لكافة التعريفات في العلوم الإنسانية ذات العلاقة لعلوم (الشريعة والمقاصد والتربية وعلم النفس والمنطق والإدارة والاجتماع السياسي).

٧-عالمية: المعايير والمفهوم، والممارسة والانتفاع.

٨-مطلقة: التطبيق في كل ظرف ومكان وزمان ومع كل الناس.

٩-فاعلة: لها حضور وفاعلية في واقع تفكير وسلوك وأداء وإنجاز الفرد والمجتمع.

١٠-مستمرة: ممتدة الصلاحية، وقادرة على الاستمرار والحضور في المستقبل.

١١-تطويرية: لها أثر تغييري وتحضري في تنمية ونمو المجتمع.

١٢-تجميعية حاشدة: يتوافق عليها الجميع نحو تحقيق المصلحة العليا للإنسان.

١٣-قابلة للتربية والقياس: تترجم إلى مهارات سلوكية محددة دائمة التحديث، بما يمكن من التربية عليها ومتابعة تحققها وقياس أثرها [١].

وهذه المعايير السابقة هي منطبقة على القيم الحضارية في الإسلام التي علمنا إياها النبي- صلى الله عليه وسلم-، سواء في السلم أو الحرب كما سأبينه خلال هذه الدراسة إن شاء الله.

المطلب الثالث: أهمية القيم الحضارية للفرد والمجتمع:

للحضارة وقيمها أثر، وأهمية على الفرد الذي ينعكس سلوكه، وأثر فعله ومنهجه، على المجتمع الذي يحيا به، مما يوحد هذه الطاقات، والفعاليات، والمبادئ لخدمة هذا المجتمع، الذي سيعود بأثر رجعي بالطمأنينة، والرقي على هذا المجتمع وأفراده، ولقد كان من التفصيل في هذا المطلب، سواء في أهمية القيم للفرد، أو للمجتمع مما وجدته مجتمعة في مبحث واحد [٢]، فأرجو من الله -عزوجل- أن يجزي صاحبي هذا البحث خير الجزاء، وهي على النحو الآتي:

أولًا: أهمية القيم الحضارية للفرد:

١- القيم جوهر الكينونة الإنسانيّة: الكينونة والهدف الذي خلق له الإنسان في الأرض هو عمارتها وإصلاحها وعدم الإفساد، فإن شعر الإنسان بهذه القيم العالية سيكون له دافع داخلي بإصلاح الأرض وعمارتها في سبيل الحياة بسعادة.
٢- القيم تحدد مسارات الفرد وسلوكيّاته في الحياة: الله عز وجل جعل أمام الانسان سبيلين إما شاكرًا وإما كفورًا، وهذه الطريق التي سيختارها ستحدد هل هو شقي أم سعيد، وهذه القيم التي يبنى عليها الإنسان حياته وسلوكه تدفعه نحو السعادة أو خلاف ذلك في حال ابتعاده عن هذه القيم.

---

(١) انظر: الشبكة العنكبوتية، موقع "عربي٢١". https://arabi21.com/story/١١٩٧٠٩٥/
تاريخ الإطلاع: ٠٦. أغسطس. ٢٠٢١م

(٢) انظر: الأساليب النبويّة في تفعيل القيم الحضاريّة في المجتمع الإسلامي، للغنيمي وسعيد، (ص:١٢٦). بتصرف بسيط.

٣- القيم طاقة تدفع الإنسان للفاعليّة: هذه القيم عندما تتمكن من سلوك الإنسان وبناء شخصيته وحياته التي ستبنى عليها، سيكون عندئذ طاقة دافعة بالعمل والاجتهاد في فاعلية الفرد في المجتمع نحو البناء والرقي.

ثانيًا: أهمية القيم الحضارية للمجتمع:

١- القيم أساس الإنجاز الحضاريّ: بلا شك أن السبب في ازدهار الحضارات وخصوصًا الحضارة الإسلامية، هو الارتباط الوثيق بالقيم التي صدرت هذه الحضارة لتكون بارزة ومعلمًا في الإزدهار والرقي.
٢- القيم تحفظ هُوِية المجتمع وتميزه: حيث أن القيم الحضارية لها دور بارز في حفظ هوية وثقافة المجتمع ومما يعرف به، من عدل وتعاون، وتراحم وهو ما اختصت به المجتمعات الإسلامية التي تطبق الشريعة تطبيقًا صحيحًا.
٣- القيم تحفظ للمجتمع بقاءه واستمراريّته: فالمجتمع الراقي المحافظ على صعوده وازدهاره وارتقاءه بلا شك هو مجتمع متمسك بقيمه ومبادئه وهويته وثقافته التي هي سبب في استمراريته.

المبحث الثاني: مفهوم الجهاد في سبيل الله

الجهاد في سبيل الله هو الفريضة التي فضلها على عباده في قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾. [النساء: ٩٥]، هذه الشعيرة العظيمة التي تحيا بها الأمة، والتي أخبر بها النبي –صلى الله عليه وسلم–، معاذ بن جبل فقال: "أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ"؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ" [١]، والمقصود

([١]) انظر: سنن الترمذي، كَتَابُ الْإِيمَانِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي حُرْمَةِ الصَّلَاةِ، (ج٥/ ص١٢)، ح ٢٦١٦. قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وقال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ووافقه الذهبي. انظر: المستدرك على الصحيحين، للحاكم، كِتَابُ الْجِهَادِ، (ج٢/ ص٨٦)، ح٢٤٠٨. الحديث بهذا الإسناد حسن لوجود رواة في مرتبة الصدوق منهم عاصم بن بهدلة ولكن للحديث متابعات كثيرة، كلها فيها الصدوق، بمجموعها يرتقي الحديث إلى مرتبة الصحيح لغيره.

بمفهوم الجهاد في سبيل الله هو تعريف الجهاد، ومتى شرع، وأنواعه، والغاية من تشريعه، وسأتناول في هذا المبحث ثلاثة مطالب، وهي:

المطلب الأول: تعريف الجهاد لغة واصطلاحا

١-تعريف الجهاد لغة: الجهاد أصله الفعل جهد وكما ذكره ابن فارس فقال:

"جُهْدٌ: الْجِيمُ وَالْهَاءُ وَالدَّالُ أَصْلُهُ الْمَشَقَّةُ، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ مَا يُقَارِبُهُ. يُقَالُ جَهَدْتُ نَفْسِي وَأَجْهَدْتُ وَالْجُهْدُ الطَّاقَةُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ} [التوبة: ٧٩] " [١].

١-تعريف الجهاد اصطلاحا: الجهاد في الاصطلاح عرفه العلماء وسأكتفي بتعريف ابن حجر له حيث قال: "بذل الجهد في قتال الكفار ويطلق أيضًا على مجاهدة النفس والشيطان والفساق فأما مجاهدة النفس فعلى تعلم أمور الدين، ثم على العمل بها، ثم على تعليمها، وأما مجاهدة الشيطان فعلى دفع ما يأتي به من الشبهات وما يزينه من الشهوات، وأما مجاهدة الكفار فتقع باليد والمال واللسان والقلب، وأما مجاهدة الفساق فباليد ثم اللسان ثم القلب"[٢].

المطلب الثاني: حكم الجهاد وتشريعه

١-حكم الجهاد في سبيل الله: حكم الجهاد في سبيل يقع فيما صح عن العلماء في حالتين وهما: إما فرض كفاية، أو فرض عين والتفصيل في ذلك على النحو الآتي:

أولا: الجهاد فرض كفاية: وقد وضح حاله ابن قدامة المقدسي في المغني فقال: "وَالْجِهَادُ فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ، إذَا قَامَ بِهِ قَوْمٌ، سَقَطَ عَنْ الْبَاقِينَ: مَعْنَى فَرْضِ الْكِفَايَةِ، الَّذِي إنْ لَمْ يَقُمْ بِهِ مَنْ يَكْفِي، أَثِمَ النَّاسُ كُلُّهُمْ، وَإِنْ قَامَ بِهِ مَنْ يَكْفِي، سَقَطَ عَنْ سَائِرِ النَّاسِ" [٣].

ثانيا: الجهاد فرض عين:

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (١ج/ ص٤٨٦).

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، (ج٦/ ص٣).

(٣) انظر: المغني، لابن قدامة، (ج٩/ ص١٩٦).

للجهاد في هذا الحكم له حالات بيّنها ابن قدامة في التفصيل الآتي، فقال: "وَيَتَعَيَّنُ الْجِهَادُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ وهي:

الأول: إذَا الْتَقَى الزَّحْفَانِ، وَتَقَابَلَ الصَّفَّانِ؛ حَرُمَ عَلَى مَنْ حَضَرَ الِانْصِرَافُ، وَتَعَيَّنَ عَلَيْهِ الْمُقَامُ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾. [الأنفال: ٤٥]، وَقَوْلِهِ: ﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. [الأنفال: ٤٦]، وقَوْله تَعَالَى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ ﴾. [الأنفال: ١٥]، ﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ﴾. [الأنفال: ١٦].

الثَّانِي: إذَا نَزَلَ الْكُفَّارُ بِبَلَدٍ، تَعَيَّنَ عَلَى أَهْلِهِ قِتَالُهُمْ وَدَفْعُهُمْ.

الثَّالِثِ: إذَا اسْتَنْفَرَ الْإِمَامُ قَوْمًا لَزِمَهُمْ النَّفِيرُ مَعَهُ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾. [التوبة: ٣٨]، الْآيَةَ وَالَّتِي بَعْدَهَا. وَقَالَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: " إذَا اُسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا " [١].

٢-تشريع الجهاد في سبيل الله وأنواعه:

أولًا: تشريع الجهاد في سبيل الله: شُرع الجهاد في سبيل الله في السنة الثانية للهجرة، في قوله تعالى:﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾. [الحج: ٣٩]، وقد نقل ابن عطية قول ابن جريج في تفسيره لهذه الآية فقال: "قال ابن جريج: وهذه الآية أول ما نقض الموادعة، قال ابن عباس وابن جبير: نزلت عند هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وقال أبو بكر الصديق لما سمعتها علمت أنه سيكون قتال" [٢].

ثانيا: أنواع الجهاد في سبيل الله: أنواع الجهاد في سبيل الله تبدأ بجهاد النفس والشيطان مرورًا إلى الجهاد الأكبر في قتال الأعداء، وقد نقل هذا التفصيل الدكتور سعيد بن علي فقال: "وجنس الجهاد فرض عين: إما بالقلب، وإما باللسان، وإما بالمال، وإما باليد. فيجب على المسلم

([١]) انظر: المغني، لابن قدامة، (ج٩/ ص١٩٧).

([٢]) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، (ج٤/ ص١٢٤).

أن يجاهد في سبيل الله بنوع من هذه الأنواع حسب الحاجة والقدرة. والأمر بالجهاد بالنفس والمال كثير في القرآن والسنة" [1].

المطلب الثالث: الغاية من تشريع الجهاد

الجهاد في سبيل الله، هو غاية شريفة، وقد بين الغاية والهدف من تشريع الجهاد عبد الله بن أحمد القادري فقال: "شرع الله الجهاد لاخراج الناس من الظلمات إلى النور من جهة، ولتكون كلمة الله هي العليا من جهة ثانية، و لحماية المسلمين من أن يُفتنوا في دينهم أو تُستباح حرماتهم وتحتل أرضهم من جهة ثالثة، وكل هذه الأمور يجب أن تستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولا يمكن استمرار تحقيقها إلا باستمرار الجهاد في سبيل الله، وقد اقتضت مشيئة الله أن يوجد في الأرض حزبه وحزب الشيطان، وأن يكون بجانب الحق الباطل، وان يعيش على وجه الأرض محقون ومبطلون، وأن يصطرع على هؤلاء وأولئك من أول الحياة إلى آخرها" [2].

المبحث الثالث: التعريف بغزوات النبي صلى الله عليه وسلم

الغزوات والسرايا والمغازي كما صنفها علماء الحديث في كتبهم، تتناول سيرة النبي– صلى الله عليه وسلم– الجهادية أو الحربية، التي خاضها الصحابة الكرام في عهد النبي– صلى الله عليه وسلم–، سواء شارك فيها أم بعث السرايا والجند، وسأتناول في هذا المبحث تعريف بالغزوة والسرية والفرق بينهما، وعدد الغزوات التي شارك فيها رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، وأشهر الغزوات التي كانت ذكرت في السير، وكانت ذات علاقة بالقيم الحضارية التي استُنبطت منها تلك القيم في هذه الدراسة، وقد احتوى هذ المبحث على ثلاثة مطالب وهي:

([1]) انظر: الجهاد في سبيل الله تعالى، لسعيد بن علي بن القحطاني، (ص: ٩).

([2]) انظر: الجهاد في سبيل حقيقته وغايته، لعبد الله بن أحمد القادري، (ج١/ ص١٠٨).

المطلب الأول: تعريف الغزوة والسرية لغة واصطلاحًا

أولًا: تعريف الغزوة لغة واصطلاحا:

١- **تعريف الغزوة لغة:** الغزوة في اللغة من الفعل غزو، أصله كما بينه ابن فارس في المقاييس فقال: "غَزَوَ: الْغَيْنُ وَالزَّاءُ، وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا طَلَبُ شَيْءٍ، وَالْآخَرُ فِي بَابِ اللِّقَاحِ.

فَالْأَوَّلُ الْغَزْوُ. وَيُقَالُ: غَزَوْتُ أَغْزُو. وَالْغَازِي: الطَّالِبُ لِذَلِكَ، وَالْجَمْعُ غُزَاةٌ وَغَزِيٌّ أَيْضًا"[١]، وقد فصل ابن منظور في ذلك فقال: "والغَزْوُ: السيرُ إِلى قِتالِ العَدُوِّ وانْتِهابه، غَزَاهُم غَزْواً وغَزَوانًا"، [٢].

٢-**تعريف الغزوة اصطلاحًا:** الغزوة في الاصطلاح: "وقد اصطلح علماء أهل السيرة على أن الجماعة التي يقودها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، تسمى "غزوة" [٣].

ثانيًا: تعريف السرية لغة واصطلاحا:

١-**تعريف السرية لغة:** السرية في اللغة، فهي: "والسَّرِيَّةُ: مَا بَيْنَ خَمْسَةِ أَنفسٍ إِلَى ثَلَاثِمِائَةٍ، وَقِيلَ: هِيَ مِنَ الْخَيْلِ نَحْوُ أَربعمائةٍ، ولامُها ياءٌ. والسَّرِيَّة: قِطْعَةٌ مِنَ الْجَيْشِ؛ يقال: خيرُ السَّريا أَرْبعُمائةِ رجلٍ، سُمِّيت سريَّةً لأَنها تَسْري لَيْلًا فِي خُفْيةٍ لئلَّا يَنْذَرَ بِهِمُ العدوُّ فيَحْذَروا أَو يَمْتَنِعُوا. يُقَالُ: سرَّى قائِدُ الجيشِ سَرِيَّةً إِلَى العدوِّ إِذَا جرَّدَها وَبَعَثَهَا إِلَيْهِمْ، وَهُوَ التَّسْرِيةُ" [٤].

٢-**تعريف السرية اصطلاحًا:** اصطلح أهل السير على تعريف السرية في الاصطلاح وهو:" الجماعة التي يقودها أحد الصحابة تعرف بـ "السرية" [٥].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (ج٤/ ص٤٢٣)

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور، (ج١٥/ ص١٢٣).

(٣) انظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، لأحمد أحمد غلوش، (ص: ٢٤٠).

(٤) انظر: لسان العرب، لابن منظور، (ج١٤/ ص٣٨٣).

(٥) انظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، لأحمد أحمد غلوش، (ص: ٢٤٠).

المطلب الثاني: عدد الغزوات، أولها وآخرها

بدأت الحياة الجهادية في الإسلام، في السنة الثانية للهجرة، بعد أن فرض الجهاد في سبيل الله بعد أن أصبحت للمسلمين دولة ومكان آمن فيه السيطرة والغلبة للمسلمين في المدينة المنورة، والعدد الذي كان في تزايد، فجاء الإذن بالقتال، وكانت أول غزوة يغزوها النبي–صلى الله عليه وسلم–، هي غَزْوَةُ وَدَّانَ، وتسمى غَزْوَةُ الْأَبْوَاءِ، من السنة الثانية من الهجرة [١]، وسيأتي تفصيل الغزوات في السياق، وقد أمضى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عشر سنين في غزوات بلغ عددها سبع وعشرون غزوة [٢]، منها "إِحْدَى عَشْرَةَ غَزْوَةً لم يُقَاتل فِيهَا" [٣]، وقيل أنه قاتل في تسع غزوات [٤]، و"بَعْثُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ إِلَى أَرْضِ فِلَسْطِينَ وَهُوَ آخِرُ الْبُعُوثِ" [٥]، ولكن لمرض النبي– صلى الله عليه وسلم– تأخر خروج الجيش، ولم يخرج من المدينة حتى انتقل رسول الله–صلى الله عليه وسلم– إلى الرفيق الأعلى، وأنفذ الجيش أبو بكر الصديق– رضي الله عنه– سنة عشرة هجري.

المطلب الثالث: أشهر الغزوات التي خاضها النبي صلى الله عليه وسلم

غزوات النبي– صلى الله عليه وسلم– منها الشهيرة، ومنها ما يخفى عن العامة، وسأتناول في هذا المطلب الغزوات الشهيرة اسمها، وزمان، وقوعها، ومكانها، والتي تعلقت بها هذه الدراسة في استنباط القيم الحضارية في غزوات النبي– صلى الله عليه وسلم–، وهي:

١–غَزْوَةُ وَدَّانَ[٦]: وَهِيَ غَزْوَةُ الْأَبْوَاءِ [١]: في صَفَرٍ، سَنَةَ ٢هـ:

([١]) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَهِيَ أَوَّلُ غَزْوَةٍ غَزَاهَا. انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، (ج١/ ص٥٩١).

([٢]) انظر: غزوات النبي –صلى الله عليه وآله وسلم–، للسيد الجميلي، (ص: ١٤).

([٣]) انظر: السيرة النبوية، لابن كثير، (ج٢/ ص٣٥٥).

([٤]) قَاتَلَ فِي تِسْعِ غَزَوَاتٍ: بَدْرٍ، وَأُحُدٍ، وَالْخَنْدَقِ، وَقُرَيْظَةَ، وَالْمُصْطَلِقِ، وَخَيْبَرَ، وَالْفَتْحِ، وَحُنَيْنٍ، وَالطَّائِفِ. انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، (ج٢/ ص٦٠٩).

([٥]) انظر: المرجع السابق، (ج٢/ ص٦٤١).

([٦]) ودان: بين مكة والمدينة قرية جامعة من نواحي الفرع، بينها وبين هرشى ستة أميال، وبينها وبين الأبواء نحو من ثمانية أميال قريبة من الجحفة، وهي لضمرة وغفار وكنانة. انظر: معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الرومي، (ج٥/ ص٣٦٥).

كان رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، "يُرِيدُ قُرَيْشًا وَبَنِيَّ ضَمْرَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ، فَوَادَعَتْهُ فِيهَا بَنُو ضَمْرَةَ، وَكَانَ الَّذِي وَادَعَهُ، مِنْهُمْ عَلَيْهِمْ مَخْشِيُّ بْنُ عَمْرٍو الضَّمَرِيُّ، وَكَانَ سَيِّدَهُمْ فِي زَمَانِهِ ذَلِكَ.

ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا، فَأَقَامَ بِهَا بَقِيَّةَ صَفَرٍ، وَصَدْرًا مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَهِيَ أَوَّلُ غَزْوَةٍ غَزَاهَا" [٢].

٢–غَزْوَةُ بُوَاطَ: في رَبِيعٍ الْأَوّلِ، سَنَةَ ٢هـ:

خرج رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، " يَعْتَرِضُ لِعِيرِ قُرَيْشٍ، فِيهَا أُمَيّةُ بْنُ خَلَفٍ وَمِائَةُ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَأَلْفَانِ وَخَمْسُمِائَةِ بَعِيرٍ، ثُمّ رَجَعَ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا– وَبُوَاطُ هِيَ مِنْ الْجُحْفَةِ قَرِيبٌ" [٣].

٣–غَزْوَةُ بَدْرٍ الكبرى: فِي رَمَضَانَ، سَنَةَ ٢هـ:

كانت البداية الخروج لعير قريش، وذلك أن "رَسُولَ اللَّهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– سَمِعَ بِأَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ مُقْبِلًا مِنْ الشَّأْمِ فِي عِيرٍ لِقُرَيْشٍ عَظِيمَةٍ" [٤]، وتلاقى الجمعان في منطقة آبار بدر.

وانتهت بانتصار المسلمين، وهلاك صناديد الكفر كأبي جهل، وأمية بن خلف.

٤–غَزْوَةُ أُحُدٍ: في شَوّالٍ، سَنَةَ ٣هـ:

أرادت قريش الانتقام لما حدث لها وسادتها في بدر، فجعلت العير التي نفذت لمكة، هي رأس مال تجهيز الجيش، أخبر العباس– رضي الله عنه–، رسول الله– صلى الله عليه

---

(١) الأبواء: قرية من أعمال الفرع من المدينة، بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلا. وقيل: الأبواء جبل على يمين آرة، ويمين الطريق للمصعد إلى مكة من المدينة، وهناك بلد ينسب إلى هذا الجبل. انظر: المرجع السابق، (ج١/ ص٧٩).

(٢) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، (ج١/ ص٥٩١).

(٣) انظر: المغازي، للواقدي، (ج١/ص ٢).

(٤) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، (ج١/ ص٦٠٦).

وسلم–، برسالة مع رجل من غفار، بما دبرته قريش، والتقى الفريقان عند جبل أحد، وانهزم المشركون في بداية المعركة، ولكن نزول معظم الرماة عن جبل أحد[1]، ودارت الدائرة، وقتل عدد كبير من المسلمين على رأسهم حمزة بن عبد المطلب، ورحل الكفار وبقي المسلمون يدفنون قتلاهم، ولم تحقق مرادها قريش إلا الانتقام لبدر، فقتلانا في الجنة وقتلاهم في النار.

٥–غَزْوَةُ بَنِي النّضِيرِ: في رَبِيعٍ الْأَوّلِ، سَنَةَ ٤هـ:

ذهب رسول الله– صلى الله عليه وسلم– إلى يهود بني النضير في دية قتيلين، فعمدوا لاغتياله بواسطة صخرة تلقى على رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، من فوق جدار، فجاء خبر السماء فخرج رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، وأجلاهم من المدينة بعد حصارهم لست ليال، بما تحمل إبلهم من الأموال لا السلاح.

٦–غَزْوَةُ ذَاتِ الرّقَاعِ [2]: في مُحَرّمٍ، سَنَةَ ٥هـ:

جاء رجل يبتاع من سوق النّبَطِ، فأخبر الصحابة أن أنمار وثعلبة جمعوا للمسلمين، فبلغ ذل ك رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، فخرج لملاقاتهم، ففروا إلى رؤوس الجبال، ولم يقاتل وفيها صلى المسلمون صلاة الخوف، وقفلوا للمدينة بدون قتال.

٧–غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ: في ذِي الْقَعْدَةِ، سَنَةَ ٥هـ:

---

(1) جبل أحد: اسم الجبل الذي كانت عنده غزوة أحد، وهو مرتجل لهذا الجبل، وهو جبل أحمر، ليس بذي شناخيب، وبينه وبين المدينة قرابة ميل في شماليّها. انظر: معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الرومي، (ج١/ ص١٠٩).

(2) سُمّيَتْ ذَاتِ الرّقَاعِ لِأَنّهُ جَبَلٌ فِيهِ بُقَعٌ حُمْرٌ وَسَوَادٌ وَبَيَاضٌ. انظر: المغازي، للواقدي، (ج١/ ص٣٩٥).

ألّبت اليهود جموع قبائل العرب على المسلمين لدحرهم، واستئصال شأفتهم، وقدموا لحصروا المدينة، وفوجئوا بالخندق محفورا أمامهم، وحوصرت المدينة خمسة عشر يوما [1]، ثم انصرف القوم بعد ريح قلعت خيامهم، وفتنة دبت بين صفوفهم، فتفرقوا مدحورين.

٨-غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ [2]: وتسمى **الْمُرَيْسِيعُ** [3]: في شَعْبَانَ، سَنَةَ ٦هـ:

بلغ النبي- صلى الله عليه وسلم-أن بني المصطلق -وهو موضع من أرض خزاعة-، قد جمعوا للمسلمين، فلما سمع رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، خرج لملاقاتهم، ولقيهم عند ماء لهم يسمى المريسيع، وقاتلهم وهزمهم، ونفل نساءهم، وأموالهم، وذراريهم، وفيها تزوج بجويرية بنت الحارث- رضي الله عنها- بنت الحارث بن أبي ضرار زعيم قومه، وفيها حدثت حادثة الإفك مع عائشة- رضي الله عنها-.

٩-غَزْوَةُ الْحُدَيْبِيَةِ [4]: في ذِي الْقَعْدَةِ، سَنَةَ ٦هـ:

خرج رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، يريد العمرة لا الحرب متجها لمكة، واختلف في عددهم ما بين ال ٧٠٠ إلى ال ١٤٠٠ رجل، حتى وصل ثَنِيَّةِ الْمُرَارِ مَهْبِطِ الْحُدَيْبِيَةِ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ، وجاءت وفود قريش تفاوض، ثم بعث رسول الله- صلى الله عليه وسلم- عثمان بن عفان إلى أشراف مكة ليخبرهم، بمراده هو العمرة فقط، واحتبست قريش عثمان، وبلغ النبي- صلى الله عليه وسلم- أن عثمان قد قتل، فتجهز المسلمون للبيعة على الجهاد، تحت الشجرة،

---

(1) قال الواقدي: فَحَاصَرُوهُ خَمْسَ عَشْرَةَ. انظر: المرجع السابق، (ج٢/ ص٤٤٠).

(2) بَنِي الْمُصْطَلِقِ: نسبة إلى سعد بن عمرو، وسعد هو المصطلق، والتي تنسب إليه هي جويرية بنت الحارث، زوج النبي- صلى الله عليه وسلم-. انظر: الأنساب للسمعاني (ج١٢/ ص٢٩١).

(3) الْمُرَيْسِيعُ: كأنه تصغير المرسوع، وهو الذي انسلقت عينه من السهر: وهو اسم ماء في ناحية قديد إلى الساحل، يقال له المريسيع. انظر: معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الرومي، (ج٥/ ص١١٨).

(4) الْحُدَيْبِيَةِ: روي عن الشافعي -رضي الله عنه-، أنه قال: الصواب تشديد الحديبية وتخفيف الجعرانة، وأخطأ من نصّ على تخفيفها، وقيل: كلّ صواب، أهل المدينة يثقلونها وأهل العراق يخففونها، وهي قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، تحتها. انظر. المرجع السابق، (ج٢/ ص٢٢٩).

وسميت بيعة الرضوان، ثم أرسلت قريش وفدا للصلح، وتم صلح الحديبية بالشروط المذكورة في السير.

١٠-غَزْوَةُ خَيْبَرَ[١]: في مُحَرّمٍ، سَنَةَ ٧هـ:

خرج النبي- صلى الله عليه وسلم- إلى حصون خيبر، وحدث قتالًا شديدًا، وافتتحت حصون خيبر، واحدًا تلو الآخر، وتم إجلاء اليهود من خيبر، وإبقاء بعض منهم لحراثة الأرض، وفيها تزوج رسول الله – صلى الله عليه وسلم- بصفية بنت حيي بن أخطب، من رؤوس اليهود.

١١-غَزْوَةُ مُؤْتَةَ [٢]: فِي جُمَادَى الْأُولَى، سَنَةَ ٨هـ:

بعث رسول الله- صلى الله عليه وسلم- رسله، للملوك، والأمراء، بعد صلح الحديبية، ولم يقتل له إلا رسول قتله أحد ملوك الغساسنة [٣]، فانتدب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- الناس وأمّر على الجيش زيد بن حارثة فإن أصيب فجعفر فإن أصيب فعبد الله بن رواحة، فإن أصيب فيختار المسلمون ما يتوافقون عليه، وخرجوا لملاقاة الروم واستشهد جميع من اختارهم

---

(١) خَيبرُ: هي ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام، يطلق هذا الاسم على الولاية وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير، وأما لفظ خيبر فهو بلسان اليهود الحصن، ولكون هذه البقعة تشتمل على هذه الحصون سمّيت خيابر. انظر. المرجع السابق، (ج٢/ ص٤٠٩).

(٢) مُؤتَةُ: بالضم ثم واو مهموزة ساكنة، وتاء مثناة من فوقها، وبعضهم لا يهمزه، وأما ثعلب فإنه قال في الفصيح: موتة بمعنى الجنون غير مهموز، وأما البلد الذي قتل به جعفر بن أبي طالب فإنه مؤتة بالهمزة، قلت: لم أظفر في قول بمعنى مؤتة مهموز فأما غير مهموز فقالوا: هو الجنون، وقال النضر: الموتة الذي يصرع من الجنون أو غيره ثم يفيق، وقال المهلبي: مآب وأذرح مدينتا الشراة، على اثني عشر ميلا من أذرح ضيعةٌ تعرف بمؤتة بها قبر جعفر بن أبي طالب، بعْث النبي -صلّى الله عليه وسلّم-. انظر. المرجع السابق، (ج٥/ ص٢١٩).

(٣) بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارث بن عمير الأزديّ ثم أحد بنى لَهَبٍ، إِلَى مَلِكِ بُصْرَى بِكِتَابٍ، فَلَمّا نَزَلَ مُؤْتَةَ عَرَضَ لَهُ شُرَحْبِيلُ بْنُ عَمْرٍو الْغَسّانِيّ فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الشّامَ. قَالَ: لَعَلّك مِنْ رُسُلِ مُحَمّدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَنَا رَسُولُ رَسُولِ اللهِ. فَأَمَرَ بِهِ فَأُوثِقَ رِبَاطًا، ثُمّ قَدّمَهُ فَضَرَبَ عُنُقَهُ صَبْرًا. وَلَمْ يُقْتَلْ لِرَسُولِ الله- صلّى الله عليه وَسَلّمَ- رَسُولٌ غَيْرُهُ. انظر: المغازي، للواقدي، (ج٢/ ص٧٥٥).

رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، واختار الناس خالد بن الوليد، فأنفذ جيش المسلمين ورجع بالكرار للمدينة.

١٢–غَزْوَةُ الْفَتْحِ: فِي رَمَضَانَ، سَنَةَ ٨هـ:

لما أغارت وغدرت قبيلة بكر حليفة قريش على قبيلة خزاعة حليفة المسلمين، وبان غدر قريش وحلفائها، قرر رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، الخروج لفتح مكة، وتم الفتح المبين بدون قتال يذكر، وتم اسلام أهل مكة إلا القليل، الغير محاربين، وتم تحرير بيت الله الحرام وتحطيم الأصنام وتمزيق الصور، ولم تعبد الأصنام في مكة من بعد ذلك وتم الفتح ودخلت الناس أفواجًا في دين الله.

١٣–غَزْوَةُ حُنَيْنٍ [١]: في شَوّالٍ، سَنَةَ ٨هـ:

بعد فتح مكة أعدت هوازن، وثقيف، جموعها، وعديدها، للمسير للنبي– صلى الله عليه وسلم– لملاقاته، ولكنهم عدلوا، وأجمعوا أمرهم على ملاقاته في حنين، ونصبوا الكمائن، ففر المسلمون أول الأمر، ثم جمعوا صفوفهم، وهزموا عدوهم.

---

(١) حُنَيْنٌ: يجوز أن يكون تصغير الحنان، وهو الرحمة، تصغير ترخيم، ويجوز أن يكون تصغير الحنّ، وهو حيّ من الجن، وقال السّهيلي: سمي بحنين بن قانية بن مهلائيل، قال: وأظنه من العماليق، حكاه عن أبي عبيد البكري، وهو اليوم الذي ذكره جلّ وعز في كتابه الكريم: وهو قريب من مكة، وقيل: هو واد قبل الطائف، وقيل: واد بجنب ذي المجاز، وقال الواقدي: بينه وبين مكة ثلاث ليال، وقيل: بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا، وهو يذكر ويؤنث. انظر: معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الرومي، (ج٢/ ص٣١٣).

١٤-غَزْوَةُ تَبُوكَ [١]: فِي رَجَبٍ، سَنَةَ ٩هـ:

أمر النبي- صلى الله عليه وسلم-، المسلمين بالتجهز لغزو الروم، وهي أول غزوة يصرح فيها بوجهته قبل الخروج، في وقت عسرة على الناس وشدة الحر، ووصل رسول الله - صلى الله عليه وسلم- تبوك، ولم يحدث قتال، وفرت الروم، وأقام فيها عشرين ليلة [٢]، ثم قفل راجعا للمدينة.

كل ما تقدم من بيانات حول الغزوات كان بعضها منقول من كتب السير أو مستنبط منها[٣].

---

(١) تَبُوكَ: بالفتح ثم الضم، وواو ساكنة، وكاف: موضع بين وادي القرى والشام، وقيل بركة لأبناء سعد من بني عذرة وقال أبو زيد: تبوك بين الحجر وأول الشام على أربع مراحل من الحجر نحو نصف طريق الشام، وهو حصن به عين ونخل وحائط ينسب إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، ويقال إن أصحاب الأيكة الذين بعث إليهم شعيب، عليه السلام، كانوا فيها ولم يكن شعيب منهم، وإنما كان من مدين، ومدين على بحر القلزم على ست مراحل من تبوك، وتبوك بين جبل حسمى وجبل شرورى، وحسمى غربيها وشرورى شرقيها. انظر: المرجع السابق، (ج٢/ ص١٤).

(٢) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: " أَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَبُوكَ عِشْرِينَ يَوْمًا يَقْصُرُ الصَّلَاةَ ". انظر: سنن أبي داود، تَفْرِيعِ صَلَاةِ السَّفَرِ، بَابٌ إِذَا أَقَامَ بِأَرْضِ الْعَدُوِّ يَقْصُرُ، (ج٢/ ص١١)، ح١٢٣٥.

(٣) لمزيد من الاطلاع ممكن مراجعة كتب السير مثل: سيرة ابن هشام، والمغازي للواقدي، وغيرها من كتب السير.

الفصل الأول:

القيم الحضارية ما قبل الغزوة وآثارها

الفصل الأول: القيم الحضارية ما قبل الغزوة وآثارها

أتكلم في هذا الفصل عن القيم الحضارية التي تدل على إنسانية النبي– صلى الله عليه وسلم– ومدى حرصه على أمته وعلى منفعة الناس جميعًا، وأركز هنا على القيم الحضارية ما قبل الغزو والتجهيز والاستعداد للمسير التي من أبرزها الرفق والنصح والاهتمام بالمرأة، وقد اشتمل هذا الفصل على سبعة مباحث، وهي كالآتي:

المبحث الأول: الرفق والرأفة

يتناول هذا المبحث الرفق والرأفة، وهي من القيم السامية التي أقرها الشارع الحكيم، وقد قال ابن فارس في تعريف الرفق: "الرَّاءُ وَالْفَاءُ وَالْقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى مُوَافَقَةٍ وَمُقَارَبَةٍ بِلَا عُنْفٍ. فَالرِّفْقُ: خِلَافُ الْعُنْفِ؛ يُقَالُ رَفَقْتُ أَرْفُقُ. وَفِي الْحَدِيثِ: " «إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»" [1]، وقال في تعريف الرأفة: " الرَّاءُ وَالْهَمْزَةُ وَالْفَاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى رِقَّةٍ وَرَحْمَةٍ، وَهِيَ الرَّأْفَةُ" [2].

وقد حث الإسلام على الرفق، وذلك في قول النَّبِيّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الْخَيْرَ» [3]، وهذا يدل على مدى أهمية الرفق في الإسلام وكقيمة حضارية في بناء المجتمعات على أسس صحيحة ومتينة، حتى في الغزوات لم تضيع هذه القيمة من سلوك النبي– صلى الله عليه وسلم– مع صحابته وجنده وعامة الناس، وقد ذكر الله تعالى نبيه بالرأفة والرحمة فقال عز وجل: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ**

([1]) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (ج٢/ ص ٤١٨).

([2]) انظر: المرجع السابق، (ج٢/ ص ٤٧١).

([3]) انظر: صحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ فَضْلِ الرِّفْقِ، (ج٤/ ص٢٠٠٣)، ح٧٤ – (٢٥٩٢).

حَوْلِكَ ﴾. [آل عمران: ١٥٩]، حتى في الحرب والاستعداد لها، وفي وقت الشدة والبأس، وفي الوقت الذي يكون فيه الهاجس والخوف مسيطران على حالة الإنسان تبرز القيم الحضارية النبيلة لتدل على عظمة هذا الدين القيم، وقد اشتمل هذا المبحث على أربعة مطالب وهي:

المطلب الأول: الرفق وجبر الخواطر

الرفق في التعليم محبب بكل موطن أما في موطن القتال لهو تعزيز للقيم الحضارية السامية التي اهتم بها النبي- صلى الله عليه وسلم-، فالرفق صفة كريمة اتصف بها النبي- صلى الله عليه وسلم-، وقيمة عظيمة عمل على غرسها في نفوس أصحابه، وهنا موطن من مواطن التعليم يتجلى فيها خلق النبي- صلى الله عليه وسلم- وصفاته التي تعود عليها الصحابة رضوان الله عليهم، فكان تصرف النبي- صلى الله عليه وسلم- لتوضيح ما أشكل على جابر- رضي الله عنه- أثناء المسير لغزوة بني المصطلق، وحتى بعد عودة جابر -رضي الله عنه- من مهمة جهادية، فبالرغم من ظروف الغزوات والحروب لم يمنع ذلك قيادة الجيش من توضيح وتعليم ما يلبس عليهم وتهتز مشاعرهم، كما روي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- فِي حَاجَةٍ لَهُ، فَانْطَلَقْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ وَقَدْ قَضَيْتُهَا، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، فَوَقَعَ فِي قَلْبِي مَا اللَّهُ أَعْلَمُ بِهِ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَعَلَّ رَسُولَ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- وَجَدَ عَلَيَّ أَنِّي أَبْطَأْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، فَوَقَعَ فِي قَلْبِي أَشَدُّ مِنَ المَرَّةِ الأُولَى، ثُمَّ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيَّ، فَقَالَ: «**إِنَّمَا مَنَعَنِي أَنْ أَرُدَّ عَلَيْكَ أَنِّي كُنْتُ أُصَلِّي**»، وَكَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ مُتَوَجِّهًا إِلَى غَيْرِ القِبْلَةِ [١]، وقد دلَّت رواية الحديث عند أبي داود [٢] أنها كانت في غزوة بني المصطلق.

لذللك نجد أن التوضيح الذي وضحه النبي- صلى الله عليه وسلم- في عدم الرد على الصحابي الجليل جابر- رضي الله عنه- الذي هو أوقع الخوف في نفس الصحابي الجليل لهو خير دليل على قيمة الرفق التي تميز بها النبي- صلى الله عليه وسلم- مع أَصحابه حيث صرح جابر- رضي الله عنه- بأن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان متوجهًا لغير القبلة فأيقن

---

(١) صحيح البخاري، أَبْوَابُ العَمَلِ فِي الصَّلاَةِ، بَابُ لاَ يَرُدُّ السَّلاَمَ فِي الصَّلاَةِ، (ج٢/ ص٦٦)، ح١٢١٧.
(٢) انظر: سنن أبي داود، كِتَاب الصَّلَاةِ، بَابُ رَدِّ السَّلَامِ فِي الصَّلَاةِ، (ج١/ ص٢٤٣)، ح ٩٢٦.

أنه ليس في صلاة فوقع في نفسه أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قد غضب منه لتأخره فعندما سمع من النبي- صلى الله عليه وسلم- توضيحه بأنه كان في صلاة اطمأنت نفسه وطاب خاطره فهذا الرفق له وقع قوي في النفس البشرية والتعبئة القيادية لصفوف الجند والرعية له أواصر المحبة التي لا تنقطع وتدفع لمجتمع حضاري.

وقد علّق صاحب ذخيرة العقبي على الحديث فقال: "وفيه استحباب الاعتذار لمن سلم في الصلاة، وإن رد عليه بالإشارة، لاحتمال عدم علمه بذلك، فيتغير خاطره بعدم الردّ عليه. والله أعلم" [1].

وفيه دلالة على جواز صلاة النافلة حيث اتجهت به الدابة وإن كان خلاف القبلة ومما يشعر بأنها صلاة نافلة وليست فريضة أن الصحابي لم يكن معه في الصلاة

المطلب الثاني: الرفق في الطلب:

كان النبي- صلى الله عليه وسلم- يحرص على القيم الحضارية المتعددة منها والمتنوعة التي تبنى عليها الأجيال القادمة مثل: الرفق، فهو متواجد في السلم والحرب، حتى عندما يكون الجهد والتعب يخيمان على الإنسان، والنفس مجهدة يكون الراحة والاستراحة وغالبًا ما تكون النفس قد صرعتها سرعة الغضب أو الانفعال الحاد بحكم موطن الحرب والتوتر والإجهاد في السفر، فتبرز قيمة الرفق جلية واضحة كما ورد عن سَلَمَةَ بْنِ الْمُحَبَّقِ[2]-رضي الله عنه-، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَتَى عَلَى بَيْتٍ، فَإِذَا قِرْبَةٌ مُعَلَّقَةٌ، فَسَأَلَ الْمَاءَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهَا مَيْتَةٌ، فَقَالَ: «**دِبَاغُهَا طُهُورُهَا**»[3].

([1]) انظر: ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، محمد بن الشيخ الوَلَّوِي، (ج١٤/ ص١٧١).

([2]) هو: سلمة بن المحبّق الهذلي: وقيل اسم المحبق صخر. وقيل ربيعة، وقيل المحبق جده. والأشهر فيه فتح الباء، له رواية، وسكن البصرة، روى عنه ابنه سنان، وجون بن قتادة، وغيرهم، وذكر أبو سليمان بن زبر في «الصّحابة» أنّ سلمة لما بشّر بابنه سنان وهو بحنين قال: لسهم أرمي به عن رسول اللّه -صلّى اللّه عليه وسلم- أحبّ إليّ مما بشّرتموني به. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، (ج٣/ ص١٢٨)، رقم ٣٤٠٧.

([3]) سنن أبي داود، كِتَاب اللِّبَاسِ، بَابٌ فِي أُهُبِ الْمَيْتَةِ، (٤/ ٦٦)، ح٤١٢٥.

يقول صاحب البدر التمام: "عن ابن عباس فقال: دباغه يزيل خبثه أو نجسه أو رجسه، وإسناده صحيح، قاله الحاكم والبيهقي"[1].

سند الحديث: قال أبو داود: حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، وَمُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَا: حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ جَوْنِ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْمُحَبَّقِ.

تخريج الحديث: أخرجه النسائي في السنن، كِتَابُ الْفَرَعِ وَالْعَتِيرَةِ، جُلُودُ الْمَيْتَةِ، (ج٧/ ص١٧٣)، ح٤٢٤٣. عَنْ قَتَادَةَ، به (بمثله).=

=دراسة رواة الإسناد: في إسناده:

١-**جَوْنِ بْنِ قَتَادَةَ:** جَوْن بسكون الواو بن قتادة ابن الأعور ابن ساعدة التميمي ثم السعدي البصري لم تصح صحبته، ولأبيه صحبة، وهو مقبول. انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، (ص: ١٤٣)، رقم: ٩٨٦. سُئل أحمد بن حنبل عن جون بن قتادة فقال: لا أعرفه، انظر: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، (ج٢/ ٥٤٢ص)، رقم٢٢٥١، وثقه ابن حبان. انظر: الثقات، لابن حبان، (ج٤/ ص١١٩)، رقم٢٠٨٦. قال معروف: مجهول، حكم بجهالته جهابذة العلم: أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، والبخاري. انظر: تحرير تقريب التهذيب، لبشار عواد معروف، وشعيب الأرنؤوط، (ج١/ ص٢٢٦)، رقم٩٨٦. يبقى في درجة المقبول.

وقال ابن الملقن عن الجون: فإن كان صحابيًا – كما قاله ابن سعد، وابن حزم، وغيرهما: فلا يضره ما قاله الإمام أحمد من جهالته، وإن كان تابعيًا يعارض قوله بقول علي بن المديني: إنه معروف، وتوثيق ابن حبان له، ورواية جماعة عنه، وذلك رافع للجهالة العينية، والحالية، وقال ابن عدي: لم يعرف له أحمد غير حديث الدباغ، وقد ذكرت له حديثا آخر، وما أظن له غيرهما، وسلمة بن المحبق له صحبة، وهو هذلي، سكن البصرة، وكنيته: أبو سنان. انظر: البدر المنير، لابن الملقن، (ج١/ ص٦١١).

وقال محمد بن الشيخ الوَلَّوِي: جون روى عنه الحسن، وقتادة، فارتفعت جهالة عينه، وَقَدْ قَالَ ابن المدينيّ فِي رواية: إنه معروفٌ، ووثقه ابن حبّان، فأقلّ أحواله أن يكون حسن الحديث، ثم إن حديثه هَذَا له شواهد، قد ذكرت فِي هَذَا الباب وغيره، فيكون صحيحًا بها. والله تعالى أعلم. انظر: ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، محمد بن الشيخ الوَلَّوِي، (ج٣٣/ ص٣١).

الحكم على الحديث:

الحديث اسناده حسن يرتقي للصحيح لغيره، وذلك لورود شواهد تقويه، فله شاهد عند الامام مسلم. انظر: صحيح مسلم، كِتَابُ الْحَيْضِ، بَابُ طَهَارَةِ جُلُودِ الْمَيْتَةِ بِالدِّبَاغِ، (ج١/ ص٢٧٨)، ح١٠٦ -(٣٦٦). والحديث له شواهد كما ذكر الشييخ الولوي: ثم إن حديثه هَذَا له شواهد، قد ذكرت فِي هَذَا الباب وغيره، فيكون صحيحًا بها. والله تعالى أعلم. انظر: ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، محمد بن الشيخ الوَلَّوِي، (ج٣٣/ ص٣١).

وقد صححه ابن حجر في التلخيص، فقال: وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ. انظر: التلخيص الحبير، لابن حجر، (ج١/ ص٢٠٤)، وصححه ابن حبان. انظر: صحيح ابن حبان، ذِكْرُ الْإِبَاحَةِ لِلْإِمَامِ إِذْ مَرَّ فِي طَرِيقِهِ وَعَطَشَ أَنْ يَسْتَسْقِيَ، (ج١٠/ ص٣٨١)، ح ٤٥٢٢.

([1]) انظر: البدر التمام شرح بلوغ المرام، الحسين بن محمد اللاعيّ، (ج١/ ص١٤٣).

لم يغلب على الجيش المسلم أو قائده النبي–صلى الله عليه وسلم–الخشونة في التعامل، بل كانت الرأفة في السؤال والطلب والحوار الهادف والبناء بين النبي– صلى الله عليه وسلم–، وموقف هذه المرأة دليل على انعدام الخوف من الناس لقائد الجيش لحسن معاملته للناس، وهذا أثر واضح لمعاملة النبي– صلى الله عليه وسلم– والصحابة الكرام للناس بالرأفة.

المطلب الثالث: الرأفة والشفقة مع الأصحاب

رأفة النبي– صلى الله عليه وسلم– لم تنقطع في السلم ولا في الحرب، بل كانت نظرته لأمته بأحسن نظرة، وشفقته على أمته أعظم شفقة، ورأفة من قائد وإمام على رعيته وجنده، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ–رضي الله عنه–، قَالَ: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ– صلى الله عليه وسلم– فِي غَزْوَةِ بَطْنِ بُوَاطٍ[1]، وَهُوَ يَطْلُبُ الْمَجْدِيَّ بْنَ عَمْرٍو الْجُهَنِيَّ، وَكَانَ النَّاضِحُ [2] يَعْتَقِبُهُ [3] مِنَّا الْخَمْسَةُ وَالسِّتَّةُ وَالسَّبْعَةُ، فَدَارَتْ عُقْبَةُ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاضِحٍ لَهُ، فَأَنَاخَهُ فَرَكِبَهُ، ثُمَّ بَعَثَهُ فَتَلَدَّنَ عَلَيْهِ بَعْضَ التَّلَدُّنِ[4]، فَقَالَ لَهُ: شَأْ، لَعَنَكَ اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «**مَنْ هَذَا اللَّاعِنُ بَعِيرَهُ؟**»، قَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**انْزِلْ عَنْهُ، فَلَا تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ، لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ**»[5].

([1]) بُوَاطٍ: بالضم، وآخره طاء مهملة: واد من أودية القبلية، ... وقالوا: هو جبل من جبال جهينة بناحية رضوى، غزاه النبي –صلى الله عليه وسلم–. انظر: معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الرومي، (ج١/ ص٥٠٣). وكان الإيواء في صفر سنة اثنتين من الهجرة ووداع فيها بني ضمرة، و (بواط) في ربيع الآخر من السنة المذكورة. انظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، للكرماني، (ج١٥/ ص١٥١).

([2]) النَّاضِحُ: هو البعير الذي يستقى عليه، انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، (ج١٨/ ص١٣٨).

([3]) يَعْتَقِبُهُ: أَيْ يَتَعَاقَبُونَه فِي الرُّكُوب وَاحِدًا بَعْدَ واحدٍ، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (ج٣/ ص٢٦٨)، وأما العقبة بضم العين فهي ركوب هذا نوبة وهذا نوبة قال صاحب العين هي ركوب مقدار فرسخين، انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، (ج١٨/ ص١٣٨).

([4]) التَّلَدُّنِ: أي تلكأ وتمكث وَلم ينبعث، انظر: غريب الحديث، لابن الجوزي، (ج٢/ ص٣٢١).

([5]) صحيح مسلم، كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ حَدِيثِ جَابِرٍ الطَّوِيلِ وَقِصَّةِ أَبِي الْيَسَرِ، (ج٤/ ص٢٣٠٤)، ح (٣٠٠٩).

قال ابن رسلان: "والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وفيه أن لله ساعات مجهولة يستجاب فيها الدعاء، فمن أكثر الدعاء في غالب أوقاته، فجدير أن يوافق ساعة الإجابة، وفيه كثرة شفقته صلى الله عليه وآله وسلم، وعظم رأفته على أمته" [1].

والرأفة والشفقة من النبي- صلى الله عليه وسلم- فيها صلاح للأمة وفيها تحضر للمجتمعات وفيها الرقي والتقدم بما ينفع الناس وفيها نبذ السوء والشر من القلب واللسان والعمل فيستقيم المجتمع وتستقيم الرعية ويعظم التكافل الاجتماعي والأسري بين الناس.

ومن القيم التي يستقيم بها المجتمع في الحروب وأوقات المشقة هي العزم والرخصة التي تكون بحسب المكان والزمان في قوة مشقتها، ولكن من المهم جدًا معرفة عدم التنمر من أولوا العزم على أولي الرخصة بل تَفهُم أن الأمر سيان ولكل أجر وثواب، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: "غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِسِتَّ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْ رَمَضَانَ [2]، فَمِنَّا مَنْ صَامَ وَمِنَّا مَنْ أَفْطَرَ، فَلَمْ يَعِبِ الصَّائِمُ عَلَى الْمُفْطِرِ، وَلَا الْمُفْطِرُ عَلَى الصَّائِمِ" [3].

وقد نوه العلماء في شروحات الحديث أن صاحب العزم لا يتطاول على صاحب الرخصة بل في الأمر سعة والأجر والثواب على قدر المشقة، لكن القيم التي تبنى على أسس صحيحة في أوقات الأزمات والحروب منها تبنى المجتمعات على قيم حضارية يستوعب فيه أفراد المجتمع بعضهم بعضًا فلا يعيب أحدهم على الآخر ما دام كلا الفعلان صحيح، وقد قال الإمام النووي: "فلا يجد الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم يرون أن من وجد قوة فصام فإن ذلك حسن، ويرون أن من وجد ضعفًا فأفطر فإن ذلك حسن، وهذا صريح في ترجيح

([1]) انظر: شرح سنن أبي داود، لابن رسلان، (ج٧/ ٣٥٨ص).

([2]) هي غزوة فتح مكة، لرواية عند مسلم: سَافَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَكَّةَ وَنَحْنُ صِيَامٌ. انظر: صحيح مسلم، كِتَاب الصِّيَامِ، بَابُ أَجْرِ الْمُفْطِرِ فِي السَّفَرِ إِذَا تَوَلَّى الْعَمَلَ (ج٢/ ص٧٨٩)، ح ١٠٢ – (١١٢٠).

([3]) صحيح مسلم، كِتَاب الصِّيَامِ، بَابُ جَوَازِ الصَّوْمِ وَالْفِطْرِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لِلْمُسَافِرِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ إِذَا كَانَ سَفَرُهُ مَرْحَلَتَيْنِ فَأَكْثَرَ، وَأَنَّ الْأَفْضَلَ لِمَنْ أَطَاقَهُ بِلَا ضَرَرٍ أَنْ يَصُومَ، ...، (ج٢/ ص ٧٨٦)، ح٩٣ – (١١١٦).

مذهب الأكثرين، وهو تفضيل الصوم لمن أطاقه بلا ضرر ولا مشقة ظاهرة، وقال بعض العلماء الفطر والصوم سواء لتعادل الأحاديث، والصحيح قول الأكثرين، والله أعلم" [1].

والأمثلة على رفق النبي– صلى الله عليه وسلم– كثيرة في السلم وفي الحرب، فالنبي– صلى الله عليه وسلم– كان كثير الرفق والشفقة بأصحابه– رضي الله عنهم–، يتعاهدهم بالسؤال والمساعدة في التجهيز وفي القتال، كل ذلك يدل على مدى اهتمام النبي– صلى الله عليه وسلم– بالقيم الحضارية، وأهميتها في بناء مجتمع حضاري.

المطلب الرابع: الرفق مع الخصم

رأفة النبي– صلى الله عليه وسلم– لم تنحصر في التعامل مع المسلمين، بل كان– صلى الله عليه وسلم– رؤوفًا رحيمًا بالكفار، حرريصًا على إسلامهم لأنه بُعث رحمة للعالمين، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾. [الأنبياء: ١٠٧]، وفي الغزوات كانت صفة الرفق ظاهرة في تعامله مع الكفار حريصًا على إسلامهم والنفع العام لهم، وكما يخبرنا الصحابي الجليل البَرَاءُ [2] –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أنه قال: " أَتَى النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–رَجُلٌ [3] مُقَنَّعٌ

([1]) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، (ج٧/ ص٢٣٠).

([2]) هو: الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ. انظر: سنن سعيد بن منصور، كِتَابُ الْجِهَادِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الشَّهَادَةِ، (ج٢/ ص٢٥٥)، ح٢٥٥٥.

([3]) اختلف في اسم هذا الرجل، فقال ابن حجر: هذا الرجل لم أعرف اسمه لكنه أنصاري أوسي من بني النبيت كما وقع في مسلم حديث أنس أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة. انظر: فتح الباري، لابن حجر، (ج١/ ص٢٨٩). وقال العيني: قوله: رجل، قال الكرماني: قيل: اسمه الأصرم بالمهملة عمرو بن ثابت الأشهلي وحاله من الغرائب لأنه دخل الجنة، ولم يسجد لله سجدة قط. قلت: قال الذهبي في: باب الألف: أصرم. ويقال أصيرم بن ثابت بن وقش الأشهلي، استشهد يوم أحد، وقال في باب العين: عمرو بن ثابت بن وقش الأوسي الأشهلي، ابن عم عباد بن بشر، استشهد بأحد. وقال أبو عمر: وفي باب الهمزة: أصرم الشقري، كان في النفر الذين أتوا رسول الله، صلى الله عليه وسلم من بني شقرة، فقال له: ما اسمك؟ فقال: أصرم فقال: أنت زرعة. وقال في باب العين: عمرو بن ثابت بن وقش بن رغبة بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي استشهد يوم أحد، وهو الذي قيل: إنه دخل الجنة ولم يصل لله سجدة، فيما ذكره الطبري. وفيه نظر. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني، (ج١٤/ ص١٠٦).

بِالحَدِيدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُقَاتِلُ أَوْ أُسْلِمُ؟ قَالَ: **أَسْلِمْ، ثُمَّ قَاتِلْ**، فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَاتَلَ، فَقُتِلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: **عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا** " [1].

فهذه الحادثة من الغرائب التي يدخل فيها رجل الإسلام، ولم يعمل إلا الغزو، ويقتل في سبيل الله، ويتقبل الله دعوته، ويثني النبي– صلى الله عليه وسلم– عليه بدخوله الجنة، وأي فوز أعظم من دخول الجنة، فلو كان النبي– صلى الله عليه وسلم– حريصًا فقط على القتال ونتائج المعارك لما كان همه مصلحة الآخرين، بل كان همه– صلى الله عليه وسلم– الرفق بالجميع، والله عز وجل القائل: ﴿ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾. [آل عمران: ١٨٥].

يقول الدكتور موسى لاشين محدثًا عن هذا الرجل: "قال محمود بن لبيد: كان يأبى الإسلام، فلما كان يوم أحد بدا له، فأخذ سيفه، حتى أتى القوم فدخل في عرض الناس، فقاتل حتى وقع جريحًا، فوجده قومه في المعركة، فقالوا: ما جاء بك؟ أشفقةً على قومك؟ أم رغبة في الإسلام؟ قال: بل رغبة في الإسلام، قال أبو هريرة: دخل الجنة وما صلى صلاة" [2].

المبحث الثاني: النصح والإرشاد

يتناول هذا المبحث النصح والإرشاد، وسأتناول التعريفات اللغوية الآتية:

١– **النصح في اللغة:** هو في اللغة كما قال ابن فارس: نَصَحَ النُّونُ وَالصَّادُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى مُلَاءَمَةٍ بَيْنَ شَيْئَيْنِ وَإِصْلَاحٍ لَهُمَا، وَمِنْهُ النُّصْحُ وَالنَّصِيحَةُ: خِلَافُ الْغِشِّ. وَنَصَحْتُهُ أَنْصَحُهُ" [3].

٢– **الإرشاد في اللغة:** كما قاله ابن منظور: "وَالْإِرْشَادُ: الْهِدَايَةُ وَالدَّلَالَةُ" [4].

([1]) صحيح البخاري، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابٌ: عَمَلٌ صَالِحٌ قَبْلَ القِتَالِ، (ج٤/ ص٢٠)، ح٢٨٠٨.

([2]) انظر: فتح المنعم شرح صحيح مسلم، لموسى لاشين، (ج٧/ ص٥٤٨).

([3]) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (ج٥/ ص٤٣٥).

([4]) انظر: لسان العرب، لابن منظور، (ج٣/ ص١٧٦).

والنصيحة والحث عليها وإرشاد الناس للخير وتقديرهم لهو من القيم التي عززت الجانب التعاوني في المجتمع المسلم، فقد كانت من الصفات الأسمى للنبي- صلى الله عليه وسلم- والتي ظهرت في السلم والحرب وكانت حاضرةً بين القيادة والجند في المعركة، لمن شارك في الغزوات مع النبي- صلى الله عليه وسلم-، ومن لم يشارك فقد كانت النصيحة مكونًا أساسيًا في حياتهم، وقد وصفهم الله ﷻ فقال: ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾. [التوبة: ٩١]، وقد علّق الامام الطبري على هذه الآية فقال: "ولا على من لا يجد نفقة يتبلَّغ بها إلى مغزاه "حرج"، وهو الإثم، يقول: ليس عليهم إثم، إذا نصحوا لله ولرسوله في مغيبهم عن الجهاد مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-" [١].

فهذه القيم الحضارية العالية كانت حاضرة في غزوات النبي – صلى الله عليه وسلم-، كالنصح والإرشاد، والتي نتناولها في هذا المبحث، والذي يحتوي على خمسة مطالب:

المطلب الأول: النصح من خلال مجالس العلم

مجالس العلم هي حلقة التواصل الأقوى في توصيل العلم، والنصح في طلب الخير والدلالة عليه، في وقت يكون التوتر والانفعال الحاد هما سيدا الموقف، لكن النبي- صلى الله عليه وسلم- القائد والمعلم، يعلمنا القيم الحضارية العالية التي لا تنقطع حتى في المعارك، وقد روى الصحابي الجليل عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: " أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- يَوْمًا يُحَدِّثُ أَصْحَابَهُ فَقَالَ: «مَنْ قَامَ إِذَا اسْتَقَلَّتِ الشَّمْسُ، فَتَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ، كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»[٢].

([١]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، (ج١٤/ ص٤١٩).

([٢]) سنن الدارمي، كِتَابٌ الطَّهَارَةِ، بَابُ الْقَوْلِ بَعْدَ الْوُضُوءِ، (ج١/ ص٥٥٨)، ح٧٤٣.

سند الحديث: قال الدارمي: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ، حَدَّثَنَا حَيْوَةُ، أَنبَأَنَا أَبُو عَقِيلٍ زُهْرَةُ بْنُ مَعْبَدٍ، عَنِ ابْنِ عَمِّهِ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ.

تخريج الحديث: أخرجه أبو داود في السنن، كِتَاب الطَّهَارَةِ، بَابُ مَا يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا تَوَضَّأَ، (ج١/ ص٤٣)، ح١٦٩، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ الْهَمْدَانِيِّ، عَنِ ابْنِ وَهْبٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ سعيد بن هانىء

النصح والعلم متلازمان ولم يهمل النبي –صلى الله عليه وسلم– هذه القيمة الحضارية السامية لا في السلم، ولا في الحرب، وهذا الحديث شاهد على مدى حرص النبي –صلى الله عليه وسلم– في تعليم الصحابة من خلال مجالس العلم، لما فيها من الخير العظيم، وقد قال عقبة لما سمع حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "الحمد لله الذي رزقني أن أسمع هذا من رسول الله – صلى الله عليه وسلم –" [1].

المطلب الثاني: الإرشاد إلى النفع

العلم وحده لا يكفي، والإرشاد لازم في مواطن مهمة كموطن القتال، وزهق الأرواح، وعدم حرف البوصلة الأهم للمسلم، وهي نيل الأجر والثواب، والمحافظة على النفس والجسد، وعدم تمني الموت أو ملاقاة العدو ليس خوفًا ولا جبنًا، ولكن إذا فرض فيكون الاستعداد حاضرًا بين الصفوف، والجنة أقرب موطنًا، فقد قال الصحابي الجليل عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: "إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا العَدُوَّ، انْتَظَرَ حَتَّى مَالَتِ الشَّمْسُ[2]، ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، لاَ تَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ

الخولانى، المصرى، ويقال الشامى، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، به، وأخرجه النسائي في السنن، كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ ثَوَابِ مَنْ أَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، (ج١/ ص٩٥)، ح١٥١، عَنْ مُوسَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَسْرُوقِيِّ، عَنْ زَيْدِ بْنِ الْحُبَابِ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ يَزِيدَ الدِّمَشْقِيِّ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ وَأَبِي عُثْمَانَ، كلاهما عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ. (بنحوه).

دراسة رجال الإسناد: فيه راو لم يسم وهو ابن عم زهرة بن معبد.

الحكم على الحديث: الحديث صحيح بمتابعاته، قد ذكرتها في تخريج الحديث، وفيها تابع جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ وهو ثقة. انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، (ص: ١٣٨)، رقم: ٩٠٤. وقد حكم على الحديث بعض الأئمة منهم الحاكم، فقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ، ووافقه الذهبي، انظر: المستدرك على الصحيحين، للحاكم (ج٢/ ص٤٣٢)، ح ٣٥٠٨. وللحديث إسناد متصل عند أبي داود، والنسائي تنفي علة الابهام للراوي الذي لم يسم، وهو ابن عم زهرة، وتزول علته بالمتابعة التي ذكرتها في تخريج الحديث.

([1]) انظر: النفح الشذي شرح جامع الترمذي، لابن سيد الناس، (ج٢/ ص٩).

([2]) تزول الشمس: انظر: شرح صحيح البخارى، لابن بطال، (ج٥/ ص١٣٤).

العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ» ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ» [1]

في هذا الحديث فوائد كثيرة ذكرها العلماء، لكن نستقي منها رأفة النبي– صلى الله عليه وسلم– ورحمته بأصحابه– رضي الله عنهم– في انتظار انكسار شدة الحرارة، واختار وقتًا لتكون فيه الموعظة مناسبة للموقف والحال، لا أن تكون تحت سياط الشمس الملتهبة، ثم يبدأ في الإرشاد للنفع بما ينفع الجميع ويتحد الجمع في الوجهة والمسؤولية، يقول الشِّيرازيُّ معلقًا على هذا الحديث: "انتظر حتى مالت الشمس"؛ يعني: لم يحارب قبل الظهر لفَرْطِ الحرارة، وانتظر حتى دخل الظهر وانكسر بعض الحرارة، ثم وعظ الناس وحرَّضهم على القتال، وقوله: "واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف"؛ يعني: الجنة تحصل للرجل عند استعمال السيوف في قتال الكفار، وإنما ذكر السيوف من بين آلات الحرب؛ لأنَّ أكثر سلاح العرب السيوف، ولأنَّ استعمال السيوف أشد من استعمال السهم؛ لأنَّ استعمال السيوف إنَّما يكون بمقاربة العدو، ومقاربةُ العدو أشدُّ خوفًا من مباعدته" [2].

ثم إنّ الحث على اللين، ويُسر المعاملة مع الناس، من مقومات نهج النبي– صلى الله عليه وسلم–، وكان يحض في مواطن البأس والقتال ويشير للأقوام التي اتصفت بهذه الصفات مثل أهل اليمن كما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، قَالَ: "أَتَاكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ، أَضْعَفُ قُلُوبًا، وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً، الفِقْهُ يَمَانٍ وَالحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ" [3]

وكما ورد لهذه الرواية شاهد آخر أنه ورد في غزوة تبوك كما ورد عَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ [4]، –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، أنه قَالَ: "خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي غَزْوَةٍ مِنْ مَغَازِيهِ فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: «وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ» [1]،

([1]) صحيح البخاري، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابٌ: لاَ تَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، (ج٤/ ص٦٣)، ح٣٠٢٤.

([2]) انظر: المفاتيح في شرح المصابيح، للشيرازي، (ج٤/ ص٣٩٧).

([3]) صحيح البخاري، كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ قُدُومِ الأَشْعَرِيِّينَ وَأَهْلِ اليَمَنِ، (ج٥/ ص١٧٤)، ح٤٣٩٠.

([4]) أبو كبشة الأنماري المذحجي: مختلف في اسمه، فقال ابن حبّان في ترجمة عبد اللَّه بن أبي كبشة من الثقات: اسم أبي كبشة الأنماري سعيد بن عمر، وقال غيره: نزل الشام، واسمه عمرو بن سعيد، وقيل عمير،

وقَدِ اخْتُلِفَ فى مواضع من هَذَا الْحَدِيثِ وَقَدْ جَمَعَهَا الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللَّهُ وَنَقَّحَهَا مُخْتَصَرَةً بَعْدَهُ الشَّيْخُ أَبُو عَمْرِو بْنُ الصَّلَاحِ رَحِمَهُ اللَّهُ وقد رتبها الإمام النووي فقال: "فَإِنَّهُ يُرْوَى فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ هَذَا الْكَلَامَ وَهُوَ بِتَبُوكَ" [٢]

وقال الطيبي: "قال تعالى:﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾. [آل عمران: ١٥٩]، وثانياً باللين ليؤذن بأن الآيات النازلة والدلائل المنصوبة ناجعة فيها، وصاحبها مقيم على التعظيم لأمر الله، وقوله: "الإيمان يمان والحكمة يمانية"، يشمل حسن المعاملة مع الله تعالى، والمعاشرة مع الناس، فلشدة شكيمة اليهود وعنادهم قيل فيهم:﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾. [البقرة: ٧٤]، وللين جانب المؤمنين وصفوا بقوله:﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾. [الزمر: ٢٣]" [٣].

المطلب الثالث: التحذير من الخطأ

النصح والإرشاد ليس فقط هو التوجيه إلى الأعمال الحسنة، بل أيضًا التحذير من الخطأ هو من باب النصح، وهو قيمة سامية فلا ينتظر وقوع الخطأ حتى يبدأ اللوم والعتاب والتوبيخ فهذه الخصال تتنافى مع تعاليم وقيم اسلامنا الحنيف، بل كانت هذه قيمة حضارية عالية وهي التحذير من الخطأ والوقوع فيه لما فيه من السلامة والأمن من الشر والإثم، فالنصيحة محلها الفعلي هنا، وقد أخرج الامام مسلم في صحيحه عن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله –رضي الله عنه– انه قال: "سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي غَزْوَةٍ بَطْنِ بُوَاطٍ، وَهُوَ

وقيل غير ذلك، وقال أبو أحمد الحاكم: له صحبة، وجزم بأنه عمير بن سعد، وكذا جزم به الترمذي، وحكى الخلاف في اسمه البخاري فيمن اسمه عمرو، قال الآجري، عن أبي داود: أبو كبشة الأنماري له صحبة، وأبو كبشة البلوي ليست له صحبة. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، (ج٧/ ص٢٨٣)، رقم: ١٠٤٤٨.

([١]) الآحاد والمثاني، لابن أبي عاصم، ذِكْرُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ وَالْفِقْهُ يَمَانٍ»، (ج٤/ ص ٢٦٣)، ح٢٢٧٥.

سند الحديث: قال ابن أبي عاصم: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ، نا أَبُو تَوْبَةَ، نا مُحَمَّدُ بْنُ مُهَاجِرٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ رُوَيْمٍ، عَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ.

([٢]) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، (ج٢/ ص٣٢).

([٣]) انظر: الكاشف عن حقائق السنن، للطيبي، (ج١٢/ ص٣٩٥٧).

يَطْلُبُ الْمَجْدِيَّ بْنَ عَمْرٍو الْجُهَنِيَّ، وَكَانَ النَّاضِحُ يَعْتَقِبُهُ مِنَّا الْخَمْسَةُ وَالسِّتَّةُ وَالسَّبْعَةُ، فَدَارَتْ عُقْبَةُ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى نَاضِحٍ لَهُ، فَأَنَاخَهُ فَرَكِبَهُ، ثُمَّ بَعَثَهُ فَتَلَدَّنَ عَلَيْهِ بَعْضَ التَّلَدُّنِ، فَقَالَ لَهُ: شَأْ، لَعَنَكَ اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ هَذَا اللَّاعِنُ بَعِيرَهُ؟، قَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: "انْزِلْ عَنْهُ، فَلَا تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ، لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ" [1].

هذه القيمة الحضارية العالية في تصحيح الأخطاء، لم تتوقف في منهج النبي –صلى الله عليه وسلم– عند انتظار الاخطار وتصحيحها، بل كان من نهجه الوقاية من هذه الأخطاء والتحذير منها قبل وقوعها، أو عدم انتشارها إن وقعت من احد الصحابة بتصرف فردي فكان ذلك مما غرسه النبي– صلى الله عليه وسلم– في صحابته الكرام من النصح والتحذير من الخطأ كما ورد عَنْ أَبِي المَلِيحِ، قَالَ: " كُنَّا مَعَ بُرَيْدَةَ فِي غَزْوَةٍ فِي يَوْمٍ ذِي غَيْمٍ، فَقَالَ: بَكِّرُوا بِصَلاَةِ العَصْرِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: "مَنْ تَرَكَ صَلاَةَ العَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ" [2]. هذا الموقف الذي شهد به الصحابة الكرام عن النبي– صلى الله عليه وسلم– في التحذير من الخطأ كان قد شهده مع النبي –صلى الله عليه وسلم– في بعض غزواته [3]، ونقل هذا الموقف في غزوة بعد ذلك للتحذير من الخطأ للدلالة على أن النصح والإرشاد والتحذير من الخطا يتناقله الصحابة –رضي الله عنهم– في مواقف متشابهة على الأغلب، وكما ذكر الإمام السيوطي: "مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ حَبِطَ عَمَلُهُ أَيْ بَطل قَالَ ابن عَبْدِ السَّلَامِ الْمُرَادُ بِهَذَا تَعْظِيمُ الْمَعْصِيَةِ لَا حَقِيقَة اللَّفْظ وَيكون من مجَاز التَّشْبِيه" [4].

([1]) صحيح مسلم، كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ حَدِيثِ جَابِرٍ الطَّوِيلِ وَقِصَّةِ أَبِي الْيَسَرِ، (ج٤/ ص٢٣٠٤)، ح(٣٠٠٩).

([2]) صحيح البخاري، كِتَابُ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ، بَابُ مَنْ تَرَكَ العَصْرَ، (ج١/ ص١١٥)، ح٥٥٣

([3]) عَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ فَقَالَ: " بَكِّرُوا بِالصَّلَاةِ فِي يَوْمِ الْغَيْمِ فَإِنَّهُ مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ حَبِطَ عَمَلُهُ ". انظر: السنن الكبرى، للبيهقي، (ج١/ ص٦٥٢)، ح٢٠٩١.

([4]) انظر: حاشية السندي على سنن النسائي، للسيوطي، (ج١/ ص٢٣٦).

المطلب الرابع: الشورى

الشورى وخطوات صناعة القرار حتى اتخاذ وتنفيذ هذا القرار يحتاج لمشورة أهل الحل والعقد وأصحاب الحق، وقيمته الحضارية الرفيعة هي في اتخاذ الأفضل والأصلح للعامة وما فيه من مصلحة عليا لا أن يكون القرار فرديا دكتاتوريا مشبعا بالأهواء التي يجني مصائبها الشعوب وأحيانا تكون وبالا حتى على متخذي هذه القرارات، والشورى هي من الفعل شَوُرَ، يقول ابن فارس: "الشِّينُ وَالْوَاوُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ مُطَّرِدَانِ، الْأَوَّلُ: مِنْهُمَا إِبْدَاءُ شَيْءٍ وَإِظْهَارُهُ وَعَرْضُهُ، وَالْآخَرُ: أَخْذُ شَيْءٍ، ... وقَالَ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ: مِنْ هَذَا الْبَابِ شَاوَرْتُ فُلَانًا فِي أَمْرِي. قَالَ: وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنْ شَوْرِ الْعَسَلِ، فَكَأَنَّ الْمُسْتَشِيرَ يَأْخُذُ الرَّأْيَ مِنْ غَيْرِهِ." [1].

وهي قيمة عظيمة اشتهر بها الإسلام عن غيره في التعامل مع الأمور التي تهم المجتمع وتسعى لبناء مجتمع متماسك قوي، وقد كان من أهمية الشورى عند النبي– صلى الله عليه وسلم– أنها لم تغب عن نهجه في الحروب ولا في الغزوات فقد كانت حاضرة بقوة ويأخذ بها حتى وإن خالفت رأيه ما دام في الأمر متسع للاجتهاد وإعمال العقل ما فيه مصلحة للجميع، فقد ورد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–، قَالَ: تَنَفَّلَ رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– سَيْفَهُ ذَا الْفَقَارِ يَوْمَ بَدْرٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَهُوَ الَّذِي رَأَى فِيهِ الرُّؤْيَا يَوْمَ أُحُدٍ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَمَّا جَاءَهُ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ أُحُدٍ كَانَ رَأْيُ رَسُولِ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنْ يُقِيمَ بِالْمَدِينَةِ يُقَاتِلُهُمْ فِيهَا، فَقَالَ لَهُ نَاسٌ: لَمْ يَكُونُوا شَهِدُوا بَدْرًا أَتَخْرُجُ بِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَيْهِمْ نُقَاتِلُهُمْ بِأُحُدٍ، وَرَجَوْا أَنْ يُصِيبُوا مِنَ الْفَضِيلَةِ مَا أَصَابَ أَهْلُ بَدْرٍ، فَمَا زَالُوا بِرَسُولِ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حَتَّى لَبِسَ أَدَاتَهُ فَنَدِمُوا وَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقِمْ فَالرَّأْيُ رَأْيُكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ يَضَعَ أَدَاتَهُ بَعْدَ أَنْ لَبِسَهَا، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ»، قَالَ: وَكَانَ مِمَّا قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَوْمَئِذٍ قَبْلَ أَنْ يَلْبَسَ الْأَدَاةَ: «إِنِّي رَأَيْتُ أَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ، فَأَوَّلْتُهَا الْمَدِينَةَ، وَأَنِّي

([1]) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (ج٣/ ص٢٢٦).

مُرْدِفٌ كَبْشًا، فَأَوَّلْتُهُ كَبْشَ الْكَتِيبَةِ، وَرَأَيْتُ أَنَّ سَيْفِي ذَا الْفَقَارِ، فُلَّ فَأَوَّلْتُهُ فَلًّا فِيكُمْ، وَرَأَيْتُ بَقَرًا تُذْبَحُ، فَبَقَرٌ، وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَبَقَرٌ وَاللَّهِ خَيْرٌ» [1].

([1]) المستدرك على الصحيحين، للحاكم، كِتَابُ قَسْمِ الْفَيْءِ، وَالْأَصْلُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، (ج٢/ ص١٤١)، ح٢٥٨٨.

سند الحديث: قال الحاكم: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، أَنْبَأَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ، أَنْبَأَ ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ.

تخريج الحديث: أخرجه الترمذي في السنن، أَبْوَابُ السِّيَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ فِي النَّفَلِ، ت شاكر، (ج٤/ ص١٣٠)، ح١٥٦١. عَنْ هَنَّادٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ أَبِيهِ، به. (بجزء منه).

وأخرجه ابن ماجه في السنن، كِتَابُ الْجِهَادِ، بَابُ السِّلَاحِ، (ج٢/ ص٩٣٩)، ح٢٨٠٨. – عَنْ أَبِي كُرَيْبٍ، عَنِ ابْنِ الصَّلْتِ، عَنِ ابْنِ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ أَبِيهِ، به. (بجزء منه).

دراسة رجال الاسناد: في إسناده:

١–عبد الرحمن ابن أبي الزناد: عبد الله ابن ذكوان المدني مولى قريش صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد وكان فقيها من السابعة ولي خراج المدينة فحمد مات سنة أربع وسبعين وله أربع وسبعون سنة. انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، (ص: ٣٤٠)، رقم: ٣٨٦١.

قال أبو داود عن ابن معين: أثبت الناس في هشام بن عروة عبد الرحمن بن أبي الزناد، وقال ابن محرز عن يحيى بن معين: ليس ممن يحتج به أصحاب الحديث ليس بشيء، وقال معاوية بن صالح وغيره عن ابن معين: ضعيف، وقال الدوري عن ابن معين: لا يحتج بحديثه وهو دون الدراوردي، وقال صالح بن أحمد عن أبيه: مضطرب الحديث، وقال محمد بن عثمان عن ابن المديني: كان عند أصحابنا ضعيفا، وقال عبد الله بن علي بن المديني عن أبيه: ما حدث بالمدينة فهو صحيح وما حدث ببغداد أفسده البغداديون، ورأيت عبد الرحمن بن مهدي يخط على أحاديثه وكان يقول في حديثه عن مشيختهم فلان وفلان وفلان قال: ولقنه البغداديون عن فقهائهم، وقال صالح بن محمد: روى عن أبيه أشياء لم يروها غيره وتكلم فيه مالك لروايته عن أبيه كتاب السبعة يعني الفقهاء وقال: أين كنا عن هذا، وقال يعقوب بن شيبة: ثقة صدوق وفي حديثه ضعف، سمعت علي بن المديني يقول: حديثه بالمدينة مقارب وما حدث به بالعراق فهو مضطرب، قال علي: وقد نظرت فيما روى عنه سليمان بن داود الهاشمي فرأيتها مقاربة وقال عمرو بن علي: فيه ضعف فيما حدث بالمدينة أصح ما حدث ببغداد كان عبد الرحمن يخط على حديثه وقال في موضع آخر تركه عبد الرحمن، وقال الساجي: فيه ضعف وما حدث بالمدينة أصح مما حدث ببغداد وقال ابن أبي حاتم: سألت أبا زرعة عنه وعن ورقاء وشعيب والمغيرة أيهم أحب= =إليك في أبي الزناد قال: كلهم أحب إلي من عبد الرحمن بن أبي الزناد، وقال النسائي: لا يحتج بحديثه، وقال ابن سعد: قدم في جامعه فسمع منه البغداديون وكان كثير الحديث وكان يضعف لروايته عن أبيه وكان يفتي. انظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر، (ج٦/ ص١٧١).

فحتى في وقت الأزمة لم ينفرد النبي– صلى الله عليه وسلم– بالقرار، بل فتح باب المشاورة مع الجند، وقدم رأيهم على رأيه، مع أن رأيه كان هو الصواب، ولكن ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً، ولم يرد عن النبي– صلى الله عليه وسلم– أنّه عنفهم أو وبخهم على رأيهم، بل قدم في ذلك قوله– صلى الله عليه وسلم–: " وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَبَقَرٌ وَاللَّهِ خَيْرٌ" أي ذلك خير.

وحتى إن كان في حدث عام أهم جميع المسلمين فإن النبي– صلى الله عليه وسلم– يوكل الأمر ويشاور أهله للخروج بقرار موحد ثابت نابع من كافة مقومات المجتمع، فقد رُوي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ الْحَارِثُ الْغَطَفَانِيُّ إِلَى النَّبِيِّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، شَاطِرْنَا تَمْرَ الْمَدِينَةِ، قَالَ: "حَتَّى أَسْتَأْمِرَ السُّعُودَ"، فَبَعَثَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ[1]، وَسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ[2] ، وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ[3]، وَسَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ[1]، وَسَعْدِ بْنِ مَسْعُودٍ[2]، رَحِمَهُمُ اللهُ، فَقَالَ: «إِنِّي

الحكم على الحديث: الحديث إسناده حسن، وذلك لوجود راو قد ضُعف وهو ابن أبي الزناد، وقد صحح البخاري الحديث عندما سُئل عنه فقال: وَحَدِيثُ ابْنِ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ صَحِيحٌ. انظر: العلل الكبير، للترمذي، (ص: ٢٥٨)، ح٤٦٨، وحكم الحاكم بالصحة على الحديث فقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ووافقه الذهبي. انظر: المستدرك على الصحيحين، للحاكم، كِتَابُ قَسْمِ الْفَيْءِ، وَالْأَصْلُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، (ج٢/ ص١٤١)، ح٢٥٨٨، وحكم الترمذي بالحسن فقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ هَذَا الوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ أَبِي الزِّنَادِ. انظر: سنن الترمذي، أَبْوَابُ السِّيَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ فِي النَّفَلِ، (ج٤/ ص١٣٠)، ح١٥٦١،

([1]) سيّد الأوس. وأمه كبشة بنت رافع، لها صحبة، ويكنى أبا عمرو، شهد بدرا باتفاق، ورمي بسهم يوم الخندق، فعاش بعد ذلك شهرا، حتى حكم في بني قريظة، وأجيبت دعوته في ذلك، ثم انتقض جرحه، فمات، وقال المنافقون لما خرجت جنازته: ما أخفها! فقال النبي صلّى اللّه عليه وسلم: «إنّ الملائكة حملته». انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، (ج٣/ ص٧٠)، رقم ٣٢١٢.

([2]) سيّد الخزرج. يكنى أبا ثابت، وأبا قيس. وأمه عمرة بنت مسعود لها صحبة، وماتت في زمن النّبي صلّى اللّه عليه وسلم سنة خمس، وشهد سعد العقبة، وكان أحد النّقباء، واختلف في شهوده بدرا، فأثبته البخاريّ، وقال ابن سعد: كان يتهيأ للخروج فنهس فأقام، وقال النبيّ صلّى اللّه عليه وسلم: «لقد كان حريصا عليها».
قال ابن سعد: وكان يكتب بالعربيّة، ويحسن العوم والرّمي، فكان يقال له الكامل، وكان مشهورا بالجود هو وأبوه وجده وولده، وكان لهم أطم ينادى عليه كل يوم: من أحبّ الشحم واللحم فليأت أطم دليم بن حارثة، وكانت جفنة سعد تدور مع النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلم في بيوت أزواجه. انظر: المرجع السابق، (ج٣/ ص٥٥)، رقم ٣١٨٠.

([3]) بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغرّ بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاريّ الخزرجيّ، أحد نقباء الأنصار، وروى البخاريّ من حديث عبد الرّحمن بن عوف قال: لما قدمنا إلى المدينة آخى

قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَإِنَّ الْحَارِثَ يَسْأَلُكُمْ أَنْ تُشَاطِرُوهُ تَمْرَ الْمَدِينَةِ، فَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَدْفَعُوا إِلَيْهِ عَامَكُمْ هَذَا، حَتَّى تَنْظُرُوا فِي أَمْرِكُمْ بَعْدُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَحْيٌ مِنَ السَّمَاءِ، فَالتَّسْلِيمُ لِأَمْرِ اللهِ، أَوْ عَنْ رَأْيِكَ، أَوْ هَوَاكَ، فَرَأْيُنَا تَبَعٌ لِهَوَاكَ ورَأْيِكَ، فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُ الْإِبْقَاءَ عَلَيْنَا، فَوَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَإِيَّاهُمْ عَلَى سَوَاءٍ مَا يَنَالُونَ مِنَّا تَمْرَةً إِلَّا بِشِرًى، أَوْ قِرًى، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «هُوَ ذَا تَسْمَعُونَ مَا يَقُولُونَ» [٣].

النبي صلّى اللَّه عليه وسلم بيني وبين سعد بن الربيع، فقال سعد: إني أكثر الأنصار مالا، فأقاسمك نصف مالي ... الحديث.

وفي الصّحيحين من حديث أنس نحوه. وقال مالك في الموطأ، عن يحيى بن سعيد: لما كان يوم أحد قال رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلم: «من يأتيني بخبر سعد بن الرّبيع»؟ فقال رجل: أنا يا رسول اللَّه، فجعل يطوف بين القتلى، فلقيه فقال: أقرئ رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلم السلام، وأخبره أنني طعنت اثنتي عشرة طعنة، وأني أنفذت مقاتلي، وأخبر قومك أنهم لا عذر لهم عند اللَّه إن قتل رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلم وواحد منهم حيّ. انظر: المرجع السابق، (ج٣/ ص٤٩)، رقم٣١٦٠.

(١) بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحاط- بالنون والمهملة- ابن كعب بن حارثة بن غنم بن السّلم بن امرئ القيس بن مالك بن أوس الأنصاريّ الأوسي. يكنى أبا خيثمة، وكان أحد النقباء بالعقبة.

ذكره ابن إسحاق وغيره، وساق بإسناده عن كعب بن مالك قال: لما كانت الليلة التي واعدنا رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلم فيها بمنى للبيعة اجتمعنا بالعقبة فأتانا رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلم، واتبعه العبّاس وحده، فقال: «أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيبا» فذكرهم، وفيه: وكان نقيب بني عمرو بن عوف سعد بن خيثمة.

وروى البخاريّ في التاريخ من طريق رباح بن أبي معروف، سمعت المغيرة بن حكيم، سألت عبد اللَّه بن سعد بن خيثمة، هل شهدت بدرا؟ قال: نعم، والعقبة. ولقد كنت رديف أبي وكان نقيبا. انظر: المرجع السابق، (ج٣/ ص٤٦)، رقم٣١٥٥.

(٢) سعد بن مسعود الأنصاريّ: روى الطّبرانيّ، وابن أبي عاصم، من طريق محمد بن عثمان، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة- أنّ الحارث الغطفانيّ جاء إلى رسول اللَّه -صلّى اللَّه عليه وسلم- فقال له يا محمد، شاطرنا تمر المدينة، وذلك في وقعة الأحزاب، قال: حتى استأمر السعود، فبعث إلى سعد بن معاذ، وسعد بن خيثمة، وسعد بن عبادة، وسعد بن مسعود ... الحديث.

قال ابن الأثير: في ذكر سعد بن خيثمة نظر، لأنه استشهد ببدر، والخندق كانت بعدها بثلاث سنين.

قلت: لا يلزم من الغلط في سعد بن خيثمة الغلط في سعد بن مسعود، فإن ثبت الخبر فهو من كبار الأنصار بحيث كان يستشار في ذلك الوقت. انظر: المرجع السابق، (ج٣/ ص٦٨)، رقم٣٢٠٨.

(٣) المعجم الكبير، للطبراني، بَابُ السِّينِ، سَعْدُ بْنُ مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ «كَانَ يَنْزِلُ الْمَدِينَةَ»، (ج٦/ ص٢٨)، ح٥٤٠٩.

هذه الحالة التي تعكس قوة المجتمع وبناءه على الأسس الصحيحة والقيم الحضارية الرفيعة في المشاورة وأخذ الرأي من أهله حتى يتشارك الجميع في القرار كما هم مشتركون في وحدة المصير، فهكذا رسول الله– صلى الله عليه وسلم– أسس، وهكذا بنى وزرع بذور الحضارة في الحرب والسلم لا انفكاك في تقرير المصير ولا دكتاتورية في أمر فيه اجتهاد ما لم ينزل به أمر من السماء، فجمع النبي– صلى الله عليه وسلم– نقيب كل قوم وسيدهم وصاحب مال المتمثلين في السعود الذين جمعهم ليبت في قرار مهم لدفع خطر عام عن أهل المدينة جمعاء.

المطلب الخامس: تقدير رأي الجند

حتى في أحلك الظروف وعند المشاورة بين القيادة والجند تتجلى أخلاق النبي– صلى الله عليه وسلم– في القيم العالية التي فيها متسع لأخذ آراء الجند والاستماع لهم، والأخذ برأيهم السديد، كما حدث عندما "خَرَجَ النَّبِيُّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَامَ الحُدَيْبِيَةِ فِي بِضْعَ عَشْرَةَ مِائَةً

سند الحديث: قال الطبراني: حَدَّثَنَا عَبْدَانُ بْنُ أَحْمَدَ، وَزَكَرِيَّا السَّاجِيُّ، قَالَا: ثنا عُقْبَةُ بْنُ سِنَانٍ الذَّرَّاعُ، ثنا عُثْمَانُ بْنُ عُثْمَانَ الْغَطَفَانِيُّ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

دراسة رجال الإسناد: في إسناده:

١–**محمد بن عمرو:** بن علقمة بن وقاص، الليثي، المدني، صدوق له أوهام، مات سنة خمس وأربعين على الصحيح. انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، (ص: ٤٩٩)، رقم: ٦١٨٨.

وقال إسحاق بن حكيم عن يحيى القطان: محمد بن عمرو رجل صالح ليس بأحفظ الناس للحديث، وقال إسحاق بن منصور سئل يحيى بن معين عن محمد بن عمرو ومحمد بن إسحاق أيهما يقدم فقال محمد بن عمرو، وقال بن خيثمة: سئل بن معين عن محمد بن عمرو فقال: ما زال الناس ينقون حديثه قيل له: وما علة ذلك، قال: كان يحدث مرة عن أبي سلمة بالشيء من روايته ثم يحدث به مرة أخرى عن أبي سلمة عن أبي هريرة وقال الجوزجاني: ليس بقوي الحديث ويشتهى حديثه، وقال أبو حاتم: صالح الحديث يكتب حديثه وهو شيخ، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال مرة: ثقة، وقال بن عدي: له حديث صالح، وقد حدث عنه جماعة من الثقات كل واحد يتفرد عنه بنسخة ويغرب بعضهم على بعض وروى عنه مالك في الموطأ وأرجو أنه لا بأس به وذكره ابن حبان في الثقات وقال يخطئ. انظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر، (ج٩/ ص٣٧٦).

الحكم على الحديث: الحديث حسن لذاته، لوجود الراوي الروي محمد بن عمرو، وقد حكم بعض العلماء على الحديث بالحسن منهم: الهيثمي فقال: وَرِجَالُ الْبَزَّارِ وَالطَّبَرَانِيِّ فِيهِمَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، وَحَدِيثُهُ حَسَنٌ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، (ج٦/ ص١٣٣)، ح ١٠١٤١.

مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا أَتَى ذَا الحُلَيْفَةِ[1]، قَلَّدَ الهَدْيَ وَأَشْعَرَهُ وَأَحْرَمَ مِنْهَا بِعُمْرَةٍ، وَبَعَثَ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُزَاعَةَ، وَسَارَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَتَّى كَانَ بِغَدِيرِ الأَشْطَاطِ[2]، أَتَاهُ عَيْنُهُ، قَالَ: إِنَّ قُرَيْشًا جَمَعُوا لَكَ جُمُوعًا، وَقَدْ جَمَعُوا لَكَ الأَحَابِيشَ[3]، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ، وَصَادُّوكَ عَنِ البَيْتِ، وَمَانِعُوكَ، فَقَالَ: أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ، أَتَرَوْنَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذَرَارِيِّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنِ البَيْتِ، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنَ المُشْرِكِينَ، وَإِلَّا تَرَكْنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا البَيْتِ، لاَ تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ، وَلاَ حَرْبَ أَحَدٍ، فَتَوَجَّهْ لَهُ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ. قَالَ: امْضُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ" [4].

المبحث الثالث: أهمية المرأة

المرأة في المجتمع المسلم هي عنصر مهم، وقد أمر الإسلام في مواطن كثيرة الاهتمام بالمرأة سواء كانت أمًا أو أختًا أو زوجة أو ابنة أو حتى من الاماء، لأنها اللبنة الأساس في بناء المجتمع وتأسيس البيت الصحيح الصحي النظيف في المجتمع المتماسك، فكان لازمًا حتى في الحروب والاستعداد لها عدم تغييب دور المرأة أو إهمالها، ولكن مع عدم إخراجها من مكانها المناسب، فكان هذا المبحث يدور حول ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المحافظة على المرأة المسلمة

الاهتمام بالمرأة سواء كانت زوجة أو أم أو أخت أو ابنة واضح جليٌ في معاملة النبي- صلى الله عليه وسلم- حتى أمر بترك شعيرة الجهاد في سبيل الله والانطلاق لمرافقة المرأة في أمر هام كالحج، لما يدل على مدى علو وسمو مكانة المرأة في الإسلام بعد أن كانت سلعة

([1]) ذو الحليفة: قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة، ومنها ميقات أهل المدينة، وهو من مياه جشم بينهم وبين بني خفاجة من عقيل. انظر: معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الرومي، (ج٢/ ص٢٩٥).

([2]) الأشطاط: بالفتح، والطاءان مهملان، يجوز أن يكون جمع شطّ وهو البعد أو جمع الشّطط وهو الجور، ومجاوزة القدر، وغدير الأشطاط قريب من عسفان. انظر: المرجع السابق، (ج١/ ص١٩٨).

([3]) الأحابيش: هم أحياء من القارة انضموا إلى بني ليث في محاربتهم قريشا والتحبيش التجميع وقال الزبير تحالفت قريش وبنو الحارث بن عبد مناف بن كنانة وعضل والقارة على بني ليث بن بكر فسموا يومئذ الأحابيش وكان ذلك أول إخراج بني ليث من تهامة. انظر: فتح الباري، لابن حجر، (ج١/ ص٧٥).

([4]) صحيح البخاري، كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ غَزْوَةِ الحُدَيْبِيَةِ، (ج٥/ ص١٢٦)، ح٤١٧٨.

مهانة لا قيمة لها في الجاهلية وحتى في الحياة المعاصرة ألبسوها ثوبًا غير ثوبها، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، أَنَّهُ: سَمِعَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَقُولُ: "لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، وَلاَ تُسَافِرَنَّ امْرَأَةٌ إِلَّا وَمَعَهَا مَحْرَمٌ"، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا، وَخَرَجَتِ امْرَأَتِي حَاجَّةً، قَالَ: "اذْهَبْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ" [1].

قيمة عظيمة هي التي غرسها النبي – صلى الله عليه وسلم- فبالرغم من أهمية الجهاد في سبيل الله وعظمته في الدفاع عن حياض الأمة وبيضتها كهدف عام لكل الأمة، أيضًا الدفاع عن المرأة وحراستها هدف خاص حث عليه النبي- صلى الله عليه وسلم- فترك الهدف العام مادام هناك غيره من يقوم به، ويحقق الهدف الخاص الذي لا يقوى غيره على القيام به، في تبادل سلس للأدوار وأهميتها، وقد نوه ابن هبيرة الشيباني: "إنما اشترط المحرم لحراسة المرأة؛ لأنه ذو حمية عليها، والمحرم هو الذي لا يجوز له نكاحها، ويجوز له إنكاحها " [2].

وقد وضح ابن بطال بعض الفوائد من الحديث فقال: "وفى حديث ابن عباس إباحة الرجوع عن الجهاد إلى إحجاج امرأته؛ لأن فرضًا عليه سترها وصيانتها، والجهاد فى ذلك الوقت كان يقوم به غيره، فلذلك أمره عليه السلام أن يحج معها إذ لم يكن لها من يقوم بسترها فى سفرها ومبيتها" [3].

المطلب الثاني: الروابط الأسرية والعدل فيها

لم يكن العدل كقيمة حضارية موجودة في المجتمع المسلم فقط، بل كانت ترسو في أهل بيت النبي- صلى الله عليه وسلم-، فكما كان في وقت الحضر توزيع الأيام على زوجات النبي- صلى الله عليه وسلم-، وفي وقت الحرب والغزوات كان الاقتراع لاختيار الزوجة التي ترافق النبي- صلى الله عليه وسلم- في غزوته، وكما روي عَنْ عَائِشَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-، قَالَتْ: " كَانَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ يَخْرُجُ

([1]) صحيح البخاري، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ مَنِ اكْتُتِبَ فِي جَيْشٍ فَخَرَجَتِ امْرَأَتُهُ حَاجَّةً، أَوْ كَانَ لَهُ عُذْرٌ، هَلْ يُؤْذَنُ لَهُ، (ج٤/ ص٥٩)، ح٣٠٠٦.

([2]) انظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، لابن هُبَيْرَة، (ج٣/ ص٣١).

([3]) انظر: شرح صحيح البخارى، لابن بطال، (ج٧/ ص٣٦٠).

سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا النَّبِيُّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا [١]، فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الحِجَابُ" [٢].

هذا توضيح أن الاختيار لم يكن اختياريًا، بل كان من الحظوظ والقرعة وليس ما يميل إليه النبي- صلى الله عليه وسلم- بالتزكية والاختيار، وهذه لا تضع في النفس شيء من التفكير في الانحياز أو الميل لزوجة دون الأخرى فحتى هذه القيمة الحضارية الأخلاقية من أسس العدل، وقد نوه ابن بطال لهذا فقال: "هذه الترجمة لا تصح إلا بذكر القرعة فيها؛ لأن العدل بين النساء فريضة، فلو خرج بواحدة من أزواجه دون قرعة لم يكن ذلك عدلًا بينهن، وكان ميلًا، فكانت القرعة فضلًا فى ذلك يرجع إليه كما يحكم بالقرعة فى كثير مما يشكل أمره من أمور الشريعة" [٣].

وهذا لا حرج فيه من خروج النساء في الحروب بما يناسبها كمداوة الجرحى وسقيا الجيش والأهم من هذا كله الأمن عليهن من السبي، وهذا ما قاله الحافظ العراقي: "قَوْلُهَا «فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي:» فِيهِ خُرُوجُ النِّسَاءِ فِي الْغَزْوِ؛ قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَخُرُوجُهُنَّ مَعَ الرِّجَالِ فِي الْغَزْوِ مُبَاحٌ إذَا كَانَ الْعَسْكَرُ كَثِيرًا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْغَلَبَةُ" [٤].

المطلب الثالث: تحريم قتل المرأة الكافرة

حتى مع الكفار كان النبي- صلى الله عليه وسلم-، حريصًا على عدم إزهاق الروح والاكتفاء بقتال من قاتل، أما الغير محارب ولم يقاتل فلا يُقتل وإن كان كافرًا، وبالخصوص الفئة الضعيفة من المجتمع ألا وهي فئة النساء والأطفال والشيوخ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ[٥] -رَضِيَ اللَّهُ

---

(١) هَذِهِ الْغَزَاةُ هِيَ غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَهِيَ غَزْوَةُ الْمُرَيْسِيعِ وَكَانَتْ سَنَةَ سِتٍّ مِنْ الْهِجْرَةِ. انظر: طرح التثريب في شرح التقريب، للحافظ العراقي، (ج٨/ ص٤٩).

(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ حَمْلِ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ فِي الغَزْوِ دُونَ بَعْضِ نِسَائِهِ، (ج٤/ ص٣٣)، ح٢٨٧٩.

(٣) انظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال، (ج٥/ ص٧٦).

(٤) انظر: طرح التثريب في شرح التقريب، للحافظ العراقي، (ج٨/ ص٤٩).

(٥) هو: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، انظر: صحيح مسلم، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ تَحْرِيمِ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ فِي الْحَرْبِ، (ج٣/ ص١٣٦٤)، ح٢٥ - (١٧٤٤).

عَنْهُ–، قَالَ: أَنَّ امْرَأَةً وُجِدَتْ فِي بَعْضِ مَغَازِي النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مَقْتُولَةً، "فَأَنْكَرَ رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَتْلَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ" [1].

إنكار قتل النساء والأطفال من الكفار في الحروب اختلف فيه العلماء في توضيح المسألة وتفصيلها بحسب حال المسلمين في الحرب هل متمكن من التمييز أو حال المرأة الكافرة هل هي محاربة تحمل السلاح، وكما قال الصنعاني: "وَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي هَذَا، فَذَهَبَ الشَّافِعِيُّ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَالْجُمْهُورُ إلَى جَوَازِ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ فِي الْبَيَانِ عَمَلًا بِرِوَايَةِ الصَّحِيحَيْنِ وَقَوْلُهُ: هُمْ مِنْهُمْ أَيْ فِي إبَاحَةِ الْقَتْلِ تَبَعًا لَا قَصْدًا إذَا لَمْ يُمْكِنْ انْفِصَالُهُمْ عَمَّنْ يَسْتَحِقُّ الْقَتْلَ.

وَذَهَبَ مَالِكٌ وَالْأَوْزَاعِيُّ إلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ قَتْلُ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ بِحَالٍ حَتَّى إذَا تَتَرَّسَ أَهْلُ الْحَرْبِ بِالنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ أَوْ تَحَصَّنُوا بِحِصْنٍ أَوْ سَفِينَةٍ هُمَا فِيهِمَا مَعَهُمْ لَمْ يَجُزْ قِتَالُهُمْ وَلَا تَحْرِيقُهُمْ وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْهَادَوِيَّةُ إلَّا أَنَّهُمْ قَالُوا فِي التَّتَرُّسِ: يَجُوزُ قَتْلُ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ حَيْثُ جُعِلُوا تُرْسًا وَلَا يَجُوزُ إذَا تَتَرَّسُوا بِمُسْلِمٍ إلَّا مَعَ خَشْيَةِ اسْتِئْصَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَنَقَلَ ابْنُ بَطَّالٍ وَغَيْرُهُ اتِّفَاقَ الْجَمِيعِ عَلَى عَدَمِ جَوَازِ الْقَصْدِ إلَى قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ" [2].

والخلاصة:

قال النووي: "أجمع العلماء على العمل بهذا الحديث وتحريم قتل النساء والصبيان إذا لم يقاتلوا فإن قاتلوا قال جماهير العلماء: يُقتلون" [3].

([1]) صحيح البخاري، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ قَتْلِ الصِّبْيَانِ فِي الحَرْبِ، (ج٤/ ص٦١)، ح٣٠١٤.

([2]) انظر: سبل السلام، للصنعاني، (ج٢/ ص٤٧١).

([3]) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، (ج١٢/ ص٤٨).

المبحث الرابع: تحقيق المصلحة ودرء المفسدة

إنَّ ما يحفظ المجتمع المسلم هو النفع والانتفاع من الموارد التي تخدم الحياة الدنيا، وما تنفع أيضًا في الحياة الآ خرة، لقوله تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾. [القصص: ٧٧]، والنفع في اللغة كما يقول ابن فارس: "النُّونُ وَالْفَاءُ وَالْعَيْنُ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الضَّرِّ. وَنَفَعَهُ يَنْفَعُهُ نَفْعًا وَمَنْفَعَةً. وَانْتَفَعَ بِكَذَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ" [١]، فالنفع خلاف الضرر، والنفع فيه القيم الرفيعة والضرر فيه الفساد والدمار، وسيكون في هذا المبحث خمسة مطالب وهي:

المطلب الأول: الترغيب بالأجر والثواب

الترغيب وجذب النفوس إلى النصرة والتمكين يُبنى على الصدق في القول والعمل، ولا تكون النصرة بالإجبار والاكراه، بل تكون من باب الترغيب لترسخ في القلوب رسوخ الجبال، فتكون المصلحة عامة وقيمة أخلاقية عالية، وهي من أهم مواضع الشحذ والإعداد في المعارك بقيمة حضارية لا تنم إلا عن أخلاق عالية، فقد ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، أَوْ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، - شَكَّ الْأَعْمَشُ - قَالَ: " لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا، فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: افْعَلُوا، قَالَ: فَجَاءَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ، وَلَكِنْ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، ثُمَّ ادْعُ اللهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: نَعَمْ، قَالَ: فَدَعَا بِنِطَعٍ، فَبَسَطَهُ، ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ، قَالَ: وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ، قَالَ: وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَسْرَةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النِّطَعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ، قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، عَلَيْهِ بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: "خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ"، قَالَ: فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ، حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وِعَاءً إِلَّا مَلَئُوهُ، قَالَ: فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وَفَضَلَتْ فَضْلَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

([١]) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (ج٥/ ص٤٦٣).

"أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ، فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ" [1].

بعد أن تحققت معجزة من معجزات النبي– صلى الله عليه وسلم– وشبع القوم من الأكل جدد لهم– صلى الله عليه وسلم– النطق بالشهادتين، ورغب فيهما بالجنة والتصديق بالشهادتين، والمكذب بهما يحرم من الجنة، فكانت التربية بالترغيب بالأجر والثواب الذي يدفع إلى الاحسان إلى الناس، وقد قال الطيبي: "ومعنى الحديث: أن القوم لهم دناءة وخسة، أو في لسانهم بذاء وفحش، فإذا استوليتم عليهم وتمكنتم منهم فأحسنوا إليهم بالصفح والعفو عما تنكرون، ولا يحملنكم سوء أفعالهم، وأقوالهم على الإساءة فإن لهم ذمةً ورحمًا، وذلك لأنَّ هاجر أم إسماعيل عليه الصلاة والسلام، ومارية أم إبراهيم صلى الله عليه وسلم ابن النبي صلى الله عليه وسلم كانتا من القبط" [2].

المطلب الثاني: تحقيق المصلحة بغية الخير

الحث على الأجر وعدم الانجرار وراء متاع الدنيا الزائل من أهم ما يرغب به المسلم، وهي قيمة حضارية عالية السمو، والترغيب لها بتحقيق المصلحة في الميدان وألا تتوقف عججلة الخير عند أول خطأ، أو هفوة، أو زلة، فهي أقرب وسيلة وأنفع في تقريب الهدف وتحقيقه، ما دام الأمر ممكنًا وفيه متسع للتطبيق، ونشر الخصال الحميدة بين الجند في المعركة، والترغيب بما ينفع الأفراد في الدنيا والآخرة، وهي من الأشياء التي حث عليها النبي– صلى الله عليه وسلم– في السلم والحرب، والبعد عن الرياء والسمعة لما فيها من قدح في إخلاص العبد وصدقه مع ربه، وتكون الفرصة سانحة لجبر هذا الخلل بحكمة والترغيب في الأجر والثواب من الله –عزوجل– فكان هذا الترغيب في الأجر والثواب حتى في الغزوات والحروب، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، أَنَّ رَسُولَ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حِينَ قَفَلَ

([1]) صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ مَنْ لَقِي اللهَ بِالْإِيمَانِ وَهُو غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّارِ، (ج١/ ص٥٦)، ح٤٥ – (٢٧).

([2]) انظر: الكاشف عن حقائق السنن، للطيبي، (ج١٢/ ص٣٧٨٨).

مِنْ غَزْوَةِ خَيْبَرَ، سَارَ لَيْلَهُ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْكَرَى[1] عَرَّسَ[2]، وَقَالَ لِبِلَالٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: اكْلَأْ لَنَا اللَّيْلَ[3]، فَصَلَّى بِلَالٌ مَا قُدِّرَ لَهُ، وَنَامَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَصْحَابُهُ، فَلَمَّا تَقَارَبَ الْفَجْرُ اسْتَنَدَ بِلَالٌ إِلَى رَاحِلَتِهِ مُوَاجِهَ الْفَجْرِ، فَغَلَبَتْ بِلَالًا عَيْنَاهُ وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَى رَاحِلَتِهِ، فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَلَا بِلَالٌ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى ضَرَبَتْهُمُ الشَّمْسُ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَوَّلَهُمُ اسْتِيقَاظًا، فَفَزِعَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: أَيْ بِلَالُ، فَقَالَ بِلَالُ: أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ- بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ- بِنَفْسِكَ، قَالَ: اقْتَادُوا، فَاقْتَادُوا رَوَاحِلَهُمْ شَيْئًا، ثُمَّ تَوَضَّأَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَأَمَرَ بِلَالًا فَأَقَامَ الصَّلَاةَ، فَصَلَّى بِهِمُ الصُّبْحَ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ قَالَ: "مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا"، فَإِنَّ اللهَ قَالَ: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾. [طه: ١٤] "[4].

المطلب الثالث: الحث على دفع الأذى

جلب المنفعة ودفع الضرر ودرء المفسدة أولى من جلب المصلحة، فقد كان في نهج النبي -صلى الله عليه وسلم-، في نشر النفع والخير، لا ينحصر في عمل الخير والحث عليه بل كان عدم جلب الضرر على الغير من سمو الأخلاق التي حث عليها النبي -صلى الله عليه وسلم-، وبالأخص في الحروب والمعارك يبتعد المسلم بالضرر عن الآخرين، وكما روي عَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ، قَالَ: "غَزَوْتُ مَعَ نَبِيِّ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- غَزْوَةَ كَذَا وَكَذَا،

([1]) الكرى: بفتح الكاف النعاس وقيل النوم. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، (ج٥/ ص ١٨٢).

([2]) عرس: نزل فِي سَفَره فِي آخر اللَّيْل. انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي، (ج٣/ ص٥٤٩).

([3]) اكلأ لنا الفجر: هو بهمز آخره أي ارقبه واحفظه واحرسه ومصدره الكلأ بكسر الكاف. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، (ج٥/ ص ١٨٢).

([4]) صحيح مسلم، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، بَابُ قَضَاءِ الصَّلَاةِ الْفَائِتَةِ، وَاسْتِحْبَابِ تَعْجِيلِ قَضَائِهَا، (ج١/ ص٤٧١)، ح٣٠٩ - (٦٨٠).

فَضَيَّقَ النَّاسُ الْمَنَازِلَ وَقَطَعُوا الطَّرِيقَ، فَبَعَثَ نَبِيُّ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُنَادِيًا يُنَادِي فِي النَّاسِ "أَنَّ مَنْ ضَيَّقَ مَنْزِلًا أَوْ قَطَعَ طَرِيقًا فَلَا جِهَادَ لَهُ" [1].

([1]) سنن أبي داود، كِتَاب الْجِهَادِ، بَابُ مَا يُؤْمَرُ مِنَ انْضِمَامِ الْعَسْكَرِ وَسَعَتِهِ، (ج٣/ ص٤١)، ح٢٦٢٩.

سند الحديث: قال أبو داود: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ أَسِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخَثْعَمِيِّ، عَنْ فَرْوَةَ بْنِ مُجَاهِدٍ اللَّخْمِيِّ، عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ.

تخريج الحديث: لم يخرج له أصحاب الكتب الستة، وقد أخرجه أحمد في مسنده، (ج٢٤/ ص٤٠٥)، ح ١٥٦٤٨. عَنِ الْحَكَمِ بْنِ نَافِعٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَيَّاشٍ، به. (بمثله).

والطبراني في الكبير، بَابُ الْمِيمِ، مُعَاذُ بْنُ أَنَسٍ الْجُهَنِيُّ، (ج٢٠/ ص١٩٤)، ح ٤٣٥. عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ أُسَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، به. (بمثله).

دراسة رجال الاسناد: في إسناده:

سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ: نزيل مصر لا بأس به، إلا في روايات زبان عنه. انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، (ص: ٢٥٨)، رقم: ٢٦٦٧. قال ابن رسلان: ضعَّفه بعضهم، لكن حسن له الترمذي وصحح أيضًا، واحتج به ابن خزيمة وغيرهما. انظر: شرح سنن أبي داود، لابن رسلان، (ج١١/ ص٣٧٧). قال عَبد اللَّهِ بْن لَهِيعَة: هو من أهل الشام، وَقَال أَبُو بكر بْن أَبي خيثمة، عَن يحيى بْن مَعِين: ضعيف. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، (ج١٢/ ص٢٠٩)، وثقه ابنُ حِبَّان، وقال: وزبان بْن فائد عداده فِي أهل مصر، لَا يعْتَبر حَدِيثه مَا كَانَ من رِوَايَة زبان بْن فائد عَنهُ. انظر: الثقات، لابن حبان، (ج٤/ ص٣٢١)، رقم: ٣١٢٢. لعل تضعيفه روايته عن زبان كما نص بعض العلماء، وهنا لم يرو عنه زبان فيكون صدوق أي حسن الحديث.

إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ: هو أبو عتبة، العنسي، الحمصي، صدوق في روايته عن أهل بلده، مخلط في غيرهم، مات سنة إحدى أو اثنتين وثمانين، وله بضع وسبعون سنة. انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، (ص: ١٠٩)، رقم: ٤٧٣. وَقَال أَحْمَد بْن سعد بْن أَبي مريم، عن علي ابن المديني: رجلان هما صاحبا حديث بلدهما: إِسْمَاعِيل بْن عياش، وعبد اللَّه بْن لَهِيعَة، وَقَال الفضل بْن زياد، عن أَحْمَد بْن حنبل: ليس أحد أروى لحديث الشاميين من إِسْمَاعِيل بْن عياش، والوليد بْن مسلم. قال يعقوب: وتكلم قوم فِي إسماعيل، وإسماعيل ثقة عدل، أعلم الناس بحديث الشام، ولا يدفعه دافع، وأكثر ما تكلموا قَالُوا: يغرب عن ثقات المدنيين والمكيين، وَقَال عَباس الدُّورِيُّ، عن يَحْيَى بْن مَعِين: إِسْمَاعِيل بْن عياش ثقة، وَقَال أَبُو بكر بْن أَبي خيثمة: سئل يَحْيَى بن مَعِين عن إِسْمَاعِيل بْن عياش، فَقَالَ: ليس به بأس فِي أهل الشام، والعراقيون يكرهون حديثه. قيل ليحيى: أيهما أثبت بقية أو إِسْمَاعِيل بْن عياش؟ فَقَالَ: كلاهما صالحان، وَقَال عَمْرو بْن علي: إذا حدث عن أهل بلاده فصحيح، وإذا حدث عن أهل المدينة، مثل هشام بْن عروة، ويحيى بْن سَعِيد، وسهيل بْن أَبي صالح، فليس بشيءٍ، وَقَال فِي موضع آخر: كَانَ عَبْد الرَّحْمَنِ أي ابن مهدي، لا يحدث عن إِسْمَاعِيل بْن عياش، وَقَال عَبْد الرَّحْمَنِ بْن أَبي حَاتِم: سَأَلتُ أَبِي عن إِسْمَاعِيل بْن عياش، فَقَالَ: هُوَ لين، يكتب حديثه، لا أعلم أحدا كف عنه إلا أَبُو إِسْحَاق الفزاري. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، (ج٣/ ص١٧١)، رقم: ٤٧٢. إسماعيل بن عياش مختلط=

كان الضرر الحاصل من الاستيلاء على المنازل التي لا حاجة لهم فيها أو الاستيلاء على منازل المجاهدين ووضع متاعهم في الطريق مما يورث الضرر في وجود مكان يكفي الجميع للنزول فيه والاستراحة،÷ وتضييق الطرق التي تعسر على الناس مرورهم ذهابًا وإيابًا في الوصول لحاجتهم كل هذا من الأضرار لا تقتصر فقط على الضرر الحاصل في الميدان، بل يؤدي لفساد المجتمع والنفور بين الناس والضغينة والمشاجرات التي تفت في عضد الجيش والمجتمع فينهار التماسك المجتمعي بين وبالتالي ذهاب قوة وهيبة المجتمع، فكان مناسبة ضياع الأجر للدلالة على عظم هذه المفسدة، وقد نبه لذلك العظيم آبادي: "فِيهِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ تَضْيِيقُ الطَّرِيقِ الَّتِي يَمُرُّ بِهَا النَّاسُ وَنَفَى جِهَادَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَلَى طَرِيقِ الْمُبَالَغَةِ فِي الزَّجْرِ وَالتَّنْفِيرِ وَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ تَضْيِيقُ الْمَنَازِلِ الَّتِي يَنْزِلُ فِيهَا" [1].

وقد نبه النبي- صلى الله عليه وسلم- للنهي عن هذا الضرر بواسطة منادي، لأن الحدث عام ويهم الجميع وليس مخصوصًا بفرد بل بالجماعات، وقد ذكر الشيخ العزيزي في شرحه على الحديث، فقال: "وفيه دليل على أنه يستحب للإمام إذ رأى بعض الناس فعل شيئًا مما تقدم أن يبعث مناديًا ينادي بإزالة ما تضرر به الناس ويتأذون به، وهذا لا يختص بالجهاد، بل أمير الحاج كذلك، وكذا الأمير والحاكم بالمدينة ومن بتكلم في الحسبة ونحو ذلك" [2].

المطلب الرابع: تصحيح الخطأ بالفعل

تصحيح الخطأ هو أعلى القيم في استدراك الأخطاء التي تقع في الميدان وتصحيحها لهو شرف، وكما معروف أن الإصرار على الخطأ خطأٌ، فكان من منهجه- صلى الله عليه وسلم- الذي هو قيمة رفيعة تصحيح الخطأ وليس تدليسه، وفيه منفعة عامة ومتعاقبة عبر

=عن غير الشاميين وحديثه هنا عن شامي وهو سهل بن معاذ، فتنتفي علة الاختلاط، ويكون ثقة صحيح الحديث، كما نص العلماء.=

=**الحكم على الحديث:** إسناده حسن، لوجود سهل بن معاذ، ولكن في هذا الحديث تنتفي العلة عنه، وإسماعيل بن عياش، توبع إسماعيل بن عياش من الأوزاعي عند الطبراني كما أسلفت في التخريج، فيكون الحديث حسن.

([1]) انظر: عون المعبود وحاشية ابن القيم، للعظيم آبادي، (ج٧/ ص٢١٠).

([2]) انظر: السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير، للعزيزي، (ج٤/ ص٣٠٩).

الأجيال، وقد روى هِشَامٌ [1]، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: " لَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ- الفَتْحِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا، خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ [2]، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ[3]، وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ[4]، يَلْتَمِسُونَ الخَبَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَأَقْبَلُوا يَسِيرُونَ حَتَّى أَتَوْا مَرَّ الظَّهْرَانِ[5]، فَإِذَا هُمْ بِنِيرَانٍ كَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: مَا هَذِهِ، لَكَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ؟ فَقَالَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ: نِيرَانُ بَنِي عَمْرٍو، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: عَمْرٌو أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ، فَرَآهُمْ نَاسٌ مِنْ حَرَسِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَدْرَكُوهُمْ فَأَخَذُوهُمْ، فَأَتَوْا بِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ، فَلَمَّا سَارَ قَالَ لِلْعَبَّاسِ: "احْبِسْ أَبَا سُفْيَانَ عِنْدَ حَطْمِ الخَيْلِ، حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى المُسْلِمِين". فَحَبَسَهُ العَبَّاسُ، فَجَعَلَتِ القَبَائِلُ تَمُرُّ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، تَمُرُّ

([1]) قال ابن حجر: قَوْلُهُ: عَنْ هِشَامٍ هُوَ بن عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، (ج٨/ ص٦).

([2]) مشهور باسمه وكنيته، وكان يكنى أيضا أبا حنظلة، وأمه صفيّة بنت حزن الهلالية، عمة ميمونة زوج النّبي -صلّى اللّه عليه وسلم-، وكان أسنّ من النّبي -صلّى اللّه عليه وسلم- بعشر سنين. وقيل غير ذلك، وهو والد معاوية، أسلم عام الفتح، وشهد حنينا والطّائف، كان من المؤلفة، وكان قبل ذلك رأس المشركين يوم أحد ويوم الأحزاب، قال عليّ بن المدينيّ: مات لستّ خلون من خلافة عثمان. وقال الهيثم: لتسع خلون. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، (ج٣/ ص٣٣٣)، رقم ٤٠٦٦.

([3]) الأسديّ، ابن أخي خديجة زوج النبيّ -صلّى اللّه عليه وسلّم-، واسم أمه صفية، وقيل غير ذلك، ويكنى أبا خالد له حديث في الكتب السّتة، ولد قبل الفيل بثلاث عشرة سنة، وقال: وأنا أعقل حين أراد عبد المطلب أن يذبح عبد اللّه ابنه، وقتل والد حكيم في الفجار وشهدها حكيم، وحكى الزّبير بن بكّار أنّ حكيما ولد في جوف الكعبة، قال: وكان من سادات قريش، وكان صديق النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم قبل المبعث، وكان يودّه ويحبه بعد البعثة، ولكنه تأخر إسلامه حتى أسلم عام الفتح، وكان من المؤلفة، وشهد حنينا وأعطي من غنائمها مائة بعير، ثم حسن إسلامه، وكان قد شهد بدرا مع الكفّار، ونجا مع من نجا، فكان إذا اجتهد في اليمين قال: والّذي نجّاني يوم بدر، مات سنة خمسين، وقيل سنة أربع، وقيل ثمان وخمسين وقيل سنة ستين وهو ممن عاش مائة وعشرين سنة شطرها في الجاهلية في الإسلام. انظر: المرجع السابق، (ج٢/ ص٩٧)، رقم ١٨٠٥.

([4]) الخزاعي، قال ابن السّكن: له صحبة سكن مكة، ويقال: إنه قتل بصفّين، والراجح أنه مات قبل النبي -صلّى اللّه عليه وسلم-، وفي «المغازي» عن ابن إسحاق وغيره أن قريشا لجئوا يوم فتح مكة إلى دار بديل بن ورقاء ودار رافع مولاه، وكان إسلامه قبل الفتح، وقيل يوم الفتح، يقول: لما كان يوم الفتح قال لي رسول اللّه -صلّى اللّه عليه وسلم-، ورأى بعارضي سوادا: «كم سنوك؟» قلت: سبع وتسعون. فقال: «زادك اللّه جمالا وسوادا...» الحديث. انظر: المرجع السابق، (ج١/ ص٤٠٨)، رقم ٦١٤.

([5]) مَرَّ الظَّهْرَانِ: واد قرب مكة وعنده قرية يقال لها مرّ تضاف إلى هذا الوادي فيقال مرّ الظهران. انظر: معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الرومي، (ج٤١/ ص٦٣).

كَتِيبَةً كَتِيبَةً عَلَى أَبِي سُفْيَانَ، فَمَرَّتْ كَتِيبَةٌ، قَالَ: يَا عَبَّاسُ مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: هَذِهِ غِفَارُ، قَالَ: مَا لِي وَلِغِفَارَ، ثُمَّ مَرَّتْ جُهَيْنَةُ [1]، قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ مَرَّتْ سَعْدُ بْنُ هُذَيْمٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَمَرَّتْ سُلَيْمُ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى أَقْبَلَتْ كَتِيبَةٌ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا، قَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الأَنْصَارُ، عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مَعَهُ الرَّايَةُ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: يَا أَبَا سُفْيَانَ، اليَوْمَ يَوْمُ المَلْحَمَةِ، اليَوْمَ تُسْتَحَلُّ الكَعْبَةُ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَا عَبَّاسُ حَبَّذَا يَوْمُ الذِّمَارِ[2]، ثُمَّ جَاءَتْ كَتِيبَةٌ، وَهِيَ أَقَلُّ الكَتَائِبِ، فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَصْحَابُهُ، وَرَايَةُ النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ، فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِأَبِي سُفْيَانَ قَالَ: أَلَمْ تَعْلَمْ مَا قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟ قَالَ: مَا قَالَ؟ قَالَ: كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: كَذَبَ سَعْدٌ، وَلَكِنْ هَذَا يَوْمٌ يُعَظِّمُ اللَّهُ فِيهِ الكَعْبَةَ، وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الكَعْبَةُ" [3].

عند حدوث خطأ في الميدان من أحد الصحابة- رضي الله عنهم- مباشرة يتم تدارك الأمر من القيادة، وتمت مصادرة الصلاحيات حتى يطمئن الناس، وليس منقصة في الصحابي الجليل، فقد دفعت الراية لابنه، وقد وصف ابن حجر ما جرى فقال: "وَقَدْ رَوَى الْأُمَوِيُّ فِي الْمَغَازِي أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ قَالَ لِلنَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمَّا حَاذَاهُ: أُمِرْتُ بِقَتْلِ قَوْمِكَ قَالَ: لَا، فَذَكَرَ لَهُ مَا قَالَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ثُمَّ نَاشَدَهُ اللَّهَ وَالرَّحِمَ فَقَالَ: يَا أَبَا سُفْيَانَ الْيَوْمُ يَوْمُ الْمَرْحَمَةِ الْيَوْمُ يَعِزُّ اللَّهُ قُرَيْشًا وَأَرْسَلَ إِلَى سَعْدٍ فَأَخَذَ الرَّايَةَ مِنْهُ فَدَفعهَا إِلَى ابْنه قيس" [4].

المطلب الخامس: التجاوز لمصلحة أعم وأكبر

النصح قد لا يتضح للرعية من القيادة، وقد يكون شدة الحرص من الرعية في انعدام رؤية أفق زاهر لمستقبل مهم للمسلمين جميعًا، وهذا الأمر يكون جليًا للقيادة فمن القيم العظيمة التي كانت عند النبي- صلى الله عليه وسلم- المبادرة بالفعل من باب النصح، بأن المواقف

([1]) جُهَيْنَةُ: وهي قبيلة من قضاعة. انظر: الأنساب، للسمعاني، (ج٣/ ص٤٣٩).

([2]) يُرِيدُ الحرْبَ؛ لأَنَّ الإِنْسانَ يُقاتِل عَلَى مَا يلزَمُه حِفْظُه، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (ج٢/ ص١٦٧).

([3]) صحيح البخاري، كِتَابُ المَغَازِي، بَابٌ: أَيْنَ رَكَزَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّايَةَ يَوْمَ الفَتْحِ، (ج٥/ ص١٤٦)، ح٤٢٨٠.

([4]) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، (ج٨/ ص٩).

للقيادة في أوقات العسرة، وأوقات البأس تكون للمنفعة العامة والمصلحة العليا للمسلمين، وفي نشر الإسلام، وفي وقف العدوان على الأمة الإسلامية في وقت، هي بحاجة للتكوين والبناء، أكثر من القتال، وقد ورد عن البَرَاء بْن عَازِبٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–، قَالَ: " لَمَّا صَالَحَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَهْلَ الحُدَيْبِيَةِ، كَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بَيْنَهُمْ كِتَابًا، فَكَتَبَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ المُشْرِكُونَ: لاَ تَكْتُبْ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، لَوْ كُنْتَ رَسُولًا لَمْ نُقَاتِلْكَ، فَقَالَ لِعَلِيٍّ: امْحُهُ، فَقَالَ عَلِيٌّ: مَا أَنَا بِالَّذِي أَمْحَاهُ، فَمَحَاهُ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِيَدِهِ، وَصَالَحَهُمْ عَلَى أَنْ يَدْخُلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، وَلاَ يَدْخُلُوهَا إِلَّا بِجُلُبَّانِ السِّلاَحِ، فَسَأَلُوهُ مَا جُلُبَّانُ السِّلاَحِ؟ فَقَالَ: القِرَابُ بِمَا فِيهِ" [1].

والحديث فيه ثلاث مسائل تتكافأ فيها القيم الحضارية:

الأولى: وهي مسألة محو اسم الله الرحمن من وثيقة العهد بعد اعتراض المشركين عليها فلا يقدح في الاعتقاد أو الأصول ولا حتى الفروع في العقيدة، بل هو فعل ظاهري ما دام القلب مطمئن بالإيمان، وقد وضح ابن بطال هذا الفعل فقال: "ومحوه لحظة النبوة إنما كان لأن الكلام في الصلح وميثاق العقد كان إخبارًا عن أهل مكة، ألا تراهم قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك ولا قاتلناك فخشوا أن ينعقد عليهم إقرارهم برسالته، فلذلك قالوا ما قالوا هربًا من الشهادة بذلك. وأما محو اسم الرحمن من الكتاب فلن يمح من الصدور" [2].

والثانية: إباء الصحابي الجليل عليّ بن أبي طالب– رضي الله عنه–، محو اسم الرحمن إنما هي أدب من أن يقدم على هذا الفعل فلا يستطيع محوه، ولذلك لم يعنفه النبي– صلى الله عليه وسلم– ولم ينكر عليه فعله، وكما قال ابن بطال معلقًا على هذا الحدث: "وإباءة عليّ من محو رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، أدب منه وإيمان وليس بعصيان فيما أمره به، والعصيان هاهنا أبر من الطاعة له وأجمل في التأدب والإكرام" [3].

([1]) صحيح البخاري، كِتَابُ الصُّلْحِ، بَابٌ: كَيْفَ يُكْتَبُ هَذَا: مَا صَالَحَ فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ، وَفُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ، وَإِنْ لَمْ يَنْسُبْهُ إِلَى قَبِيلَتِهِ أَوْ نَسَبِهِ، (ج٣/ ص١٨٤)، ح٢٦٩٨.

([2]) انظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال، (ج٨/ ص٨٨).

([3]) انظر: المرجع السابق، (ج٨/ ص٨٨).

الثالثة: وهي رأس الأمر وعموده، حال المسلمين في ذلك الوقت من الاستضعاف بين الأمم، وفي لحظات الاستضعاف يتعين على القيادة كقيمة حضارية اتجاه شعبها ومجتمعها تجنب الويلات والقتال والحروب بقدر الاستطاعة بهدف البناء والتمكين وردع الكافرين، وقد بيّن ابن بطال هذا الموقف، فقال: "وكان فعله ذلك والمسلمون يومئذ في قلة من العدد وضعف من القوة، والمشركون فى كثرة من العدد وشدة من الشوكة، فتبيّن أن نظير ذلك إذا حدثت للمسلمين حالة تشبه حالة المسلمين يوم الحديبية في القلة والضعف، وامتنع المشركون من الصلح إلا على حذف بعض أسماء الله أو صفاته، أو حذف بعض محامده أو بعض الدعاء لرسوله أو حذف بعض صفاته، ورأى القيم بأمر المسلمين أن النظر للمسلمين إتمام الصلح أن له أن يفعل كفعل النبي– صلى الله عليه وسلم– في ذلك" [1].

المبحث الخامس: مقومات الأمن والأمان

من أهم قيم الحضارة والأخلاق والواجبات على القيادة تجاه شعبها هي وجود وإيجاد مقومات الأمن والأمان لهم، فهو المعيار والضابط لحالة استقرار الشعوب، ونموها وحضارتها وازدهارها وقد عرف ابن فارس كلمة الأمن فقال: "(أَمَنَ) الْهَمْزَةُ وَالْمِيمُ وَالنُّونُ أَصْلَانِ مُتَقَارِبَانِ: أَحَدُهُمَا الْأَمَانَةُ الَّتِي هِيَ ضِدُّ الْخِيَانَةِ، وَمَعْنَاهَا سُكُونُ الْقَلْبِ، وَالْآخَرُ التَّصْدِيقُ. وَالْمَعْنَيَانِ كَمَا قُلْنَا مُتَدَانِيَانِ. قَالَ الْخَلِيلُ: الْأَمَنَةُ مِنَ الْأَمْنِ. وَالْأَمَانُ إِعْطَاءُ الْأَمَنَةِ. وَالْأَمَانَةُ ضِدُّ الْخِيَانَةِ" [2].

يتضح من التعريف السابق أن الأمن يمتد من الأمانة وعدم الخيانة وسكون القلب أي طمأنينته والتصديق والصدق بين جميع الأطراف يتحقق الأمن في المجتمع وتحقق قيمه الحضارية فهو معيار وضابط مهم في نمو الشعوب والأمم، فكان قوام هذا المبحث من ثلاثة مطالب:

([1]) انظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال، (ج٨/ ص٨٩).

([2]) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (ج١/ ص ١٣٣).

المطلب الأول: التحذير من خطر وجهد شديد قبل الغزو

الأمن ليس فقط السرية والإخفاء، كما يعتقد بعض الناس، بل هو منظومة متكاملة الأركان والأسباب، ومنه التحذير من الأخطار التي فيها ضرر والتحذير بقوته وعموميته يكون بحسب الخطر الداهم الذي يتوقع أن يحل بالمجتمع، وهو أولى ما يكون في الغزوات والحروب فلا يعقل أن تحافظ قيادة الأمة على أمنها الخاص وتترك الرعية تلاقي أشر وأمر ما في الحدث، لكن الإحساس بالأمان منه أن يوضع الأمر بين الناس ليستعدوا لما هو آت، وهو من باب تحمل الجميع للمسؤولية ومن باب الشعور بالأمان لا العيش في وهم الخطر والأوهام، ولما كان التحذير هو أحد أركان الشعور بالأمن كما وضحه ابن فارس: " وَفِي الْمَثَلِ: " مِنْ مَأْمَنِهِ يُؤْتَى الْحَذِرُ " وَيَقُولُونَ: " الْبَلَوِيُّ أَخُوكَ وَلَا تَأْمَنْهُ "، يُرَادُ بِهِ التَّحْذِيرُ " [1].

وهناك مواطن لا يعلم بها عامة الجيش أو عامة الناس لأنها قد تتسبب بالبلبلة أو الخوف الشديد، أما الأمور التي فيها مصلحة عامة ولا يتم الأمر إلا بها فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فيكون لزاما التحذير كالتجهز لسفر بعيد أو الاستعداد لملاقاة خطر عظيم فعندئذ القيادة الحكيمة تكون عندها روح المسؤولية والحرص على مصلحة الجميع باطلاع الجند على ما يهمهم وهو قيمة حضارية عالية فيها ترابط ما بين الرعية والقيادة، وقد روي عَنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، قَالَ: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَلَّمَا يُرِيدُ غَزْوَةً يَغْزُوهَا إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا [2]، حَتَّى كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ[3]، فَغَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي

([1]) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (ج١/ ص ١٣٥).

([2]) قوله ورى بغيرها التورية أن يريد إنسان الشيء فيظهر غيره. انظر: معالم السنن، للخطابي، (ج٢/ ص٢٦٩).

([3]) تَبُوكَ: موضع بين وادي القرى والشام، وقيل بركة لأبناء سعد من بني عذرة وقال أبو زيد: تبوك بين الحجر وأول الشام على أربع مراحل من الحجر نحو نصف طريق الشام، وهو حصن به عين ونخل وحائط ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم. انظر: معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الرومي، (ج٢/ ص١٤).

حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا، وَاسْتَقْبَلَ غَزْوَ عَدُوٍّ كَثِيرٍ، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ، لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ عَدُوِّهِمْ، وَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ" [1].

في هذا الحديث بعض المسائل التي تتعلق بأمن الوطن والمواطن ومصلحة عامة منها:

الأولى: في عدم البوح بوجهة الجيش والغزو يتعلق بالمندسين في الجيوش والجواسيس الذين قد يتسببوا في مصائب تعرض الجيش والوطن جميعًا لخطر داهم، فلذلك كان لزامًا في بعض الغزوات إخفاء الوجهة من باب الحرص، لقوله تعالى:﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٤١]، والخفة من معانيها الخفاء وعدم الظهور بحسب ما يتطلبه الميدان، وهذا ما قاله العلماء ومنهم النووي قال: "ينبغي لأمير الجيش إذا أراد غزوة أن يوري بغيرها لئلا يسبقه الجواسيس ونحوهم بالتحذير إلا إذا كانت سفرة بعيدة فيستحب أن يعرفهم البعد ليتأهبوا" [2].

والثانية: إخفاء الوجهة إن كانت بسبب فهو جائز، وتتقبله النفس السليمة، ولكن إن كان الخفاء بدون ابداء سبب ففيه نفور من النفس، وتقزيم من قيمة الجند عند القيادة الحكيمة، وقد قال ابن الملقن: "وكذلك كان- صلى الله عليه وسلم- إِذَا خرج إلى جهة ورى بغيرها، ولو كان غطه له بغير سبب؛ لكان ذَلِكَ زيادة في النفور والوحشة" [3].

والثالثة: وهي واضحة في الحديث، وهي ما يرافق من أحداث عند التجهز للغزو، وقد حدث ذلك في غزوة تبوك عدة عقبات منها:

الحر الشديد، وقد وصف الله المنافقين في هذا المقام: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ [التوبة: ٨١].

([1]) صحيح البخاري، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ مَنْ أَرَادَ غَزْوَةً فَوَرَّى بِغَيْرِهَا، وَمَنْ أَحَبَّ الخُرُوجَ يَوْمَ الخَمِيسِ، (ج٤/ ص٤٨)، ح٢٩٤٨.

([2]) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، (ج١٧/ ص١٠٠).

([3]) انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن، (ج٢/ ص٣٢٧).

السفر البعيد، وهو ما يلزمه من عدة وعتاد وطعام وشراب يكفي المسافة الهائلة التي سيقطعها الجيش، والوقت الذي سيستغرقه في عبور الجزيرة العربية بكاملها حتى يصل إلى تبوك.

والنظر لحال فقر المدينة وشح المواد والموارد حتى يتم تجهيز جيش بتعداد ضخم لملاقاة جيش الروم ذي العدد الكثير.

ولعل إجلاء وجهة الجيش لها مغزيان:

الأول: للاستعداد الكافي للجيش في هذا المسير الطويل مع الحر الشديد لملاقاة جيش مدجج بالعتاد متباهي بالتعداد.

والثانية: أن وجود جواسيس في وسط المسلمين للروم مستبعد نوعا ما ولو فرضنا بوجود جاسوس وتحرك فطول الطريق وبعد المسير سيكون فيه مشقة كبيرة تدفعه للعدول في وقت لن يجدي نفعا التحذير، والروم قد جمعت وتجهزت بعتادها لملاقاة المسلمين فلم يعد إخفاء الوجهة أمر ذي جدوى، كما ذكره ابن سعد فقال: " بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أن الروم قد جمعت جموعا كثيرة بالشام وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة. وأجلبت معه لخم وجذام وعاملة وغسان وقدموا مقدماتهم إلى البلقاء. فندب رَسُول اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – النَّاسَ إلى الخروج وأعلمهم المكان الَّذِي يريد ليتأهبوا لذلك" [1].

المطلب الثاني: الحفاظ على أمن الرعية في سربهم

تأمين الشعب قبل الخروج لملاقاة الأعداء هو قيمة حضارية لكل من أراد أن يبني أمة تحقق لها حياة آمنة فكيف بالجند والجيش الذي هو قوامه من أفراد الشعب بالخروج لملاقاة الأعداء وبيته وزوجه وأهله غير آمنين خلفه.

لكن من القيم العالية التي اتصف بها النبي– صلى الله عليه وسلم– ليعملها لمن بعده من أمته المجاهدة، أن تكون هناك فرقة أو طائفة تجاهد في سبيل وطائفة أخرى تحرس بيوت

([1]) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (ج٢/ ص١٢٥).

المجاهدين وتحمي بيضة الأمة من المرجفين، وكل من أراد سوءًا بأمة الإسلام، وقد يؤخذ بالقياس من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]، فكما كان مكروهًا وخلاف الأولى خروج جميع المسلمين للجهاد وترك من خلفهم من تعليم وعبادة، بل يتبدلوا الأدوار فرقة تجاهد وفرقة تتفقه في الدين ليعلموا أهليهم، ومن باب القياس ألا ينفر جميع المسلمين ويتركوا قراهم وبيوتهم خاوية بدون حراسة ولا أمن للنساء والأطفال وكافة طبقات المجتمع الضعيفة، وقد ذكر الطبري رأيًا موازيًا لهذا الاستنباط: "وقال آخرون: معنى ذلك: وما كان المؤمنون لينفروا جميعًا إلى عدوّهم، ويتركوا نبيهم- صلى الله عليه وسلم- وحده [١]، وعَنْ سَعْدٍ[٢]، "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا، فَقَالَ: أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ؟ قَالَ: " أَلاَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي" [٣].

شبه النبي- صلى الله عليه وسلم- ما بين استخلاف عليّ، على أمة الإسلام، كما استخلف موسى هارون على بني إسرائيل لملاقاة ربه، لكن موسى- عليه السلام- استخلف نبيًا وهو هارون، والنبي محمد- صلى الله عليه وسلم- استخلف صحابيًا، ولكن المهمة من وراء الاستخلاف المحافظة على الرعية في غياب الراعي وغياب أفراد من المجتمع في مهمة جماعية مصلحتها عامة تهم الجميع.

المطلب الثالث: المحافظة على حياة الطفل

فتح باب التجنيد هو للمصلحة عامة تهم المسلمين، يشارك فيه من يقوى على القتال ولا يسمح للأطفال بالقتال، حفاظا عليهم، فلا ينتهز الفرص ولا يستغل المقومات البشرية للزج بهم في الحروب والمعارك، بل هو مشروع حياة وهو صمام الأمان للآباء بأن يوقنوا أن الاستغلال

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، (ج١٤/ ص٤٥٧).

(٢) هو: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ. انظر: صحيح مسلم، كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، (ج٤/ ص١٨٧٠)، ح٣١ - (٢٤٠٤).

(٣) صحيح البخاري، كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهِيَ غَزْوَةُ العُسْرَةِ، (ج٦/ ص٣)، ح٤٤١٦.

للثروة البشرية لا تكون إلا لمن يحتملها، وليس فقط جمع الأعداد حتى لو صغارًا لضرب الأعداء، وقد ورد عن الصحابي الجليل ابْنِ عُمَرَ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَرَضَهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَلَمْ يُجِزْنِي ثُمَّ عَرَضَنِي يَوْمَ الخَنْدَقِ، وَأَنَا ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَأَجَازَنِي"، قَالَ نَافِعٌ فَقَدِمْتُ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ وَهُوَ خَلِيفَةٌ، فَحَدَّثْتُهُ هَذَا الحَدِيثَ فَقَالَ: "إِنَّ هَذَا لَحَدٌّ بَيْنَ الصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ، وَكَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ أَنْ يَفْرِضُوا لِمَنْ بَلَغَ خَمْسَ عَشْرَةَ" [1].

الأمن الذي يتحقق للمجتمع في تربية الصغار، وإعدادهم ليتجهزوا لميادين الدولة المختلفة التي تطلبهم لخوض غمارها والمحافظة عليها، وهذه الشفقة والرحمة هي محل أمان للرعية للاطمئنان أنهم يخدمون وطنًا لا شخصًا، فإذا احتمل الصبي مشاق الجهاد والحرب وكان أهلًا لها يسمح له لكي يكون جنديًا يعتمد عليه لا أن يكون عالة على الجيش.

لذلك كان ابن عمر يحدث الناس ويخبرهم عن الاستطاعة فيقول: " كُنَّا نُبَايِعُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، يَقُولُ لَنَا:"**فِيمَا اسْتَطَعْتَ**" [2].

وقد علق النووي على الحديث فقال: " وَهَذَا مِنْ كَمَالِ شَفَقَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَأْفَتِهِ بِأُمَّتِهِ يُلَقِّنُهُمْ أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ فِيمَا اسْتَطَعْتُ لِئَلَّا يَدْخُلَ فِي عُمُومِ بيعة مالا يُطِيقُهُ وَفِيهِ أَنَّهُ إِذَا رَأَى الْإِنْسَانُ مَنْ يلتزم مالا يُطِيقُهُ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ لَهُ لَا تَلْتَزِمْ مالا تطيق فيترك بَعْضَهُ وَهُوَ مِنْ نَحْوِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ" [3].

والشيء المميز والمهم أن الصبية هم من يعرضون أنفسهم للقتال والتطوع في صفوف الجيش والخروج لملاقاة الأعداء لما وجدوه من تسابق من الرجال نحو هذا الشرف العظيم والخير الوفير والأجر الكبير، لكن النبي– صلى الله عليه وسلم–، كان لا يجيز من لم يبلغ سن البلوغ لقوته، ويرده لضعفه، كما وضح هذا ابن بطال في شرحه فقال: "وقال أبو حنيفة: إنما

([1]) صحيح البخاري، كِتَابُ الشَّهَادَاتِ، بَابُ بُلُوغِ الصِّبْيَانِ وَشَهَادَتِهِمْ، (ج٣/ ص١٧٧)، ح٢٦٦٤.

([2]) صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ الْبَيْعَةِ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِيمَا اسْتَطَاعَ، (ج٣/ ص١٤٩٠)، ح 90 – (١٨٦٧).

([3]) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، (ج١٣/ ص١١).

أجاز النبى– صلى الله عليه وسلم–، ابن عمر لقوته لا لبلوغه، ورده لضعفه. قال الطحاوى: ولا ينكر أبو حنيفة أن يفرض للصبيان إذا كانوا يحتملون القتال ويحضرون الحرب، وإن كانوا غير بالغين"[1].

المبحث السادس: الصدق والاخلاص

الصدق هو أوثق العرى التي يبنى عليها المجتمع، وهو أشد ما يحتاج إليه في الحروب والغزوات، وهو قيمة حضارية حافظ عليها النبي– صلى الله عليه وسلم–، في غزواته فلم يكن مقتصرًا فقط في السلم، وقد كانت دعوة إبراهيم– عليه السلام–، بالصدق في قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾. [الشعراء: ٨٤].

وعرف ابن فارس الصدق، فقال: "الصَّادُ وَالدَّالُ وَالْقَافُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ فِي الشَّيْءِ قَوْلًا وَغَيْرَهُ. مِنْ ذَلِكَ الصِّدْقُ: خِلَافُ الْكَذِبِ، سُمِّيَ لِقُوَّتِهِ فِي نَفْسِهِ، وَلِأَنَّ الْكَذِبَ لَا قُوَّةَ لَهُ، هُوَ بَاطِلٌ. وَأَصْلُ هَذَا مِنْ قَوْلِهِمْ شَيْءٌ صَدْقٌ، أَيْ صُلْبٌ" [2].

وقد أوردت في هذا المبحث أربعة مطالب وهي:

المطلب الأول: الصدق في العبادات

الصدق مع الله يتمثل في العبادات، وفي كل عمل يرضي الله– عز وجل–، ومنه: المحافظة على الصلوات بما يناسب حال الجندي في أرض المعركة، ومن المعلوم أن حال السلم والاستقرار تختلف كليًا عن حال الحرب والغزو والسفر، وقد ورد عن الصحابي الجليل مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، أنه قَالَ: "جَمَعَ رَسُولُ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ بَيْنَ الظُّهْرِ

([1]) انظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال، (ج٨/ ص٥١).

([2]) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (ج٣/ ص ٣٣٩).

وَالْعَصْرِ، وَبَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ"، قَالَ: فَقُلْتُ: مَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَ: فَقَالَ: "أَرَادَ أَنْ لَا يُحْرِجَ أُمَّتَهُ" [1].

إنّ الجمع بين الصلوات فيه فقه النوازل وفقه الواقع الذي يفرضه عليهم السفر، ومع ذلك لم يضيعوا صدقهم مع الله في أداء صلواتهم فكانت لهم الرخصة في كسب الوقت، فرفع الحرج عنهم، وهذا ما قال به ابن الجوزي: "وعَلى هَذَا يخرج قَول ابْن عَبَّاس: أَرَادَ أَلا يحرج أمته: أَي لَا يضيق عَلَيْهَا الْوَقْت"[2].

المطلب الثاني: الصدق مع الرعية

مشاركة الجند بصدق وأمانة في الميدان من تجهيز وإعداد للحرب والدفاع عن حيضة الأمة هي مهمة مشتركة بين القيادة والجند، وهي من القيم الحضارية العالية في صدق الانتماء وصدق القرار وصدق التوجه، مما يبعث في النفس طمأنينة وجرأة على مواصلة الطريق بكل الصعاب والعقبات، وما جرى في تجهيز الخندق هو مثال مهم حيث قال الصحابي الجليل البَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ: "لَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَحْزَابِ، وَخَنْدَقَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، رَأَيْتُهُ يَنْقُلُ مِنْ تُرَابِ الخَنْدَقِ، حَتَّى وَارَى عَنِّي الغُبَارُ جِلْدَةَ بَطْنِهِ، وَكَانَ كَثِيرَ الشَّعَرِ، فَسَمِعْتُهُ يَرْتَجِزُ بِكَلِمَاتِ ابْنِ رَوَاحَةَ، وَهُوَ يَنْقُلُ مِنَ التُّرَابِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا،..." [3].

فهذا مثال وقع في حياة الصحابة ورأوه بأعينهم وعايشوه في زمانهم في مشاركة القيادة للجند في ميدان المعركة وما قبلها من تجهيز وإعداد فلم تكن القيادة في الفنادق تتنعم ملذات الحياة، والجند في الخنادق يلقَون أشد ويلات التعب والنصب، بل كان النبي- صلى الله عليه وسلم- ينقل التراب معهم حتى غطى التراب بياض بطنه دلالة على استغراقه في العمل الشاق والدؤوب.

([1]) صحيح مسلم، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ الْجَمْعِ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ فِي الْحَضَرِ، (ج١/ ص٤٩٠)، ٥٣ -(٧٠٦).

([2]) انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي، (ج٢/ ص٣٧٨).

([3]) صحيح البخاري، كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ غَزْوَةِ الخَنْدَقِ وَهِيَ الأَحْزَابُ، (٥/ ١١٠)، ح٤١٠٦.

فكان الصدق الذي مثله النبي –صلى الله عليه وسلم– في مشاركة الصحابة في التجهيز والإعداد، هو المقدمة لكي يعرف الناس أنّ الهدف الذي شرع من أجله الجهاد في سبيل الله، هو نشر الإسلام بين الناس، ونقل العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، لذلك كان يمتنع مشاركة غير المسلم في الغزوات والحروب التي تشنها الدولة الإسلامية وهي قيمة عالية في المحافظة على الهدف الأسمى، وهو الدين، فلم يجمع النبي– صلى الله عليه وسلم– المرتزقة، ولم يحشد لمعركة لأجل النصر وقهر الأعداء، بل كان اشتراط الإيمان للفرد الذي يرغب بالجهاد، وهذا في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾. [الأنفال: ٦٥].

ومما روي عن عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنَّهَا قَالَتْ: "خَرَجَ رَسُولُ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قِبَلَ بَدْرٍ، فَلَمَّا كَانَ بِحَرَّةِ الْوَبَرَةِ[1]، أَدْرَكَهُ رَجُلٌ قَدْ كَانَ يُذْكَرُ مِنْهُ جُرْأَةٌ وَنَجْدَةٌ، فَفَرِحَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حِينَ رَأَوْهُ، فَلَمَّا أَدْرَكَهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: جِئْتُ لِأَتَّبِعَكَ، وَأُصِيبَ مَعَكَ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «تُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَارْجِعْ، فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ»، قَالَتْ: ثُمَّ مَضَى حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالشَّجَرَةِ أَدْرَكَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، قَالَ: «فَارْجِعْ، فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ»، قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ فَأَدْرَكَهُ بِالْبَيْدَاءِ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ: «تُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ؟»، قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «فَانْطَلِقْ» [2].

([1]) حرَّةُ الوَبرَةِ: بثلاث فتحات مضبوط في كتاب مسلم، وقد سكّن بعضهم الباء: وهي على ثلاثة أميال من المدينة، ذكرها في حديث أهبان في أعلام النبوّة. انظر: معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الرومي، (ج٢/ ص٢٥٠).

([2]) صحيح مسلم، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ كَرَاهَةِ الِاسْتِعَانَةِ فِي الْغَزْوِ بِكَافِرٍ، (ج٣/ ص١٤٤٩)، ح١٥٠ – (١٨١٧).

نرى القائد الإسلامي في هذا الموقف، يرفض أشد الرفض أن يستعين بمشرك على قتال مشرك، وأقل ما نُعَنون به هذا الموقف الحضاري المتكرر في السيرة الغراء، هو عنوان الحرب الشريفة النظيفة، التي تكون من أجل العقائد والمثل، لا من أجل القهر والظفر بالمغانم.

وقد فصل القاضي عياض في هذه المسألة فقال: " وقول النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – للذى قال له: جئت لأتبعك وأصيب معك –: " ارجع فلن أستعين بمشرك "، كافة العلماء على الأخذ بهذا الحديث، والتمسك بهذه السنة، وهو قول مالك وغيره. وقال مالك وأصحابه: ولا بأس أن يكونوا نواتية وخدّاماً، وقال ابن حبيب: ويستعملون فى رمِى المجانيق، وكره رميهم بالمجانيق غيره من أصحابنا، وأجاز ابن حبيب أن يستعمل من سالمه فى قتال من حاربه منهم، ويكونوا ناحية من عسكره لا فى داخله، وقال بعض علمائنا: إنما قال النبى –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– هذا فى وقت مخصوص لا على العموم، واختلفوا بعد إذا استعين بهم ما يكون لهم؟ فذهب الكافة – مالك والشافعى وأبو حنيفة وأبو ثور – إلى أنه لا يسهم لهم. وذهب الزهرى والأوزاعى إلى أن لهم كسهام المسلمين، وهو قول سحنون، إذا كان جيش المسلمين إنما قوى بهم، وإلا فلا شىء لهم. وقال الشافعى مرة: لا يعطوا من الفىء شيئاً، ويعطوا من سهم النبى –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وقال قتادة: لهم ما صولحوا عليه فى ذلك" [1].

والمفهوم من هذه الأقوال أنّ المشركين المحاربين لا يستعان بهم في الحروب، وأن المشركين عامة لا يدخلون في صفوف وتركيب الجيش المسلم فلا أمان لهم على وحدة الجيش وقوته في الميدان، بل توكل لهم مهام تحت رقابة ومتابعة من قائد مسلم لهذه المهمة بحيث لا يكون دور المشرك فيها إلا التنفيذ تحت المراقبة والمتابعة المباشرة، ولذلك من اشترط لهم سهم في غنائم المعركة بعد انتهائها أنّ يكون لهم يد في غلبة الجيش المسلم وإلا فلا، وهذا كله يؤكد أنّ الإسلام شرط مهم في الالتحاق بالجهاد في سبيل الله ونشر الإسلام بين الناس وهذا قطعا ليس من أهداف مشاركة المشرك للمسلمين في جيش الإسلام.

([1]) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض، (ج٦/ ص٢١٣).

وقد ورد أن صفوان بن أمية خرج مع النبي– صلى الله عليه وسلم– في بعض غزواته وهو على كفره، فحل هذا الخلاف الطحاوي، فقال: "قال: بشر: فقلت لمالك بن أنس: أليس ابن شهاب يحدث أن صفوان بن أمية سار مع رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، فشهد حنينًا والطائف وهو كافر؟، قال: بلى، ولكن سار مع رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، ولم يأمره رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بذلك "[١].

المطلب الثالث: المبادرة أثر من الصدق

المبادرة من الفعل "(بَدَرَ) الْبَاءُ وَالدَّالُ وَالرَّاءُ، أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا كَمَالُ الشَّيْءِ وَامْتِلَاؤُهُ، وَالْآخَرُ الْإِسْرَاعُ إِلَى الشَّيْءِ"[٢]، والمبادرة في الأعمال الحسنة والعامة لهو خير دليل على صدق السريرة، وحب العمل الطوعي فيها يرفع درجة التكافل والتعاون المجتمعي بين الجند والرعية، وهو نتيجة لغرس القائد في رعيته من الحب والوفاء والصدق معهم حتى في وقت الحروب والمجاعات كما دل قوله تعالى: ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾.[البلد: ١٤]، وقد فسرها الطبري، فقال: "أو أطعم في يوم ذي مجاعة، والساغب: الجائع" [٣].

وقد بادر أحد الصحابة في إطعام المسلمين، وهو جَابِر بْن عَبْدِ اللَّهِ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– فقَالَ: " لَمَّا حُفِرَ الخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– خَمَصًا شَدِيدًا، فَانْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِي، فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟، فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– خَمَصًا [٤] شَدِيدًا، فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ[٥]، فَذَبَحْتُهَا، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ، فَفَرَغَتْ إِلَى فَرَاغِي، وَقَطَّعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا، ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَقَالَتْ: لاَ تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَبِمَنْ مَعَهُ، فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا وَطَحَنَّا صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا، فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ، فَصَاحَ

---

(١) انظر: شرح مشكل الآثار، للطحاوي، (ج٦/ ص٤١٠).

(٢) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (ج١/ ص ٢٠٨).

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، (ج٢٤/ ص٤٤٢).

(٤) خَمَصًا: ضَامِر البطْن. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (ج٢/ ص٨٠).

(٥) دَاجِنٌ: سمينة والداجن التي تترك في البيت ولا تفلت للمرعى ومن شأنه. انظر: فتح الباري، لابن حجر، (ج٧/ ص٣٩٧).

النَّبِيُّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَقَالَ: "يَا أَهْلَ الخَنْدَقِ، إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُورًا [1]، فَحَيَّ هَلًا بِهَلًكُمْ"، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "لاَ تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ، وَلاَ تَخْبِزُنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ"، فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي، فَقَالَتْ: بِكَ وَبِكَ، فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ، فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِينًا فَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ، ثُمَّ قَالَ: «ادْعُ خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعِي، وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلاَ تُنْزِلُوهَا» وَهُمْ أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا[2] لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُوَ".[3].

عنون النووي في صحيح الإمام مسلم: " بَابُ جَوَازِ اسْتِتْبَاعِهِ غَيْرَهُ إِلَى دَارِ مَنْ يَثِقُ بِرِضَاهُ بِذَلِكَ، وَبِتَحَقُّقِهِ تَحَقُّقًا تَامًّا، وَاسْتِحْبَابِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى الطَّعَامِ"، وكأنه أخذ هذه الصفة الحميدة من غزوات النبي– صلى الله عليه وسلم– وتعامل أصحابه معه ليتم تعميمها في نواحي الحياة فوضعها في كتاب الأشربة للدلالة على هذه القيمة وإنها حدثت في وقت حرب وهي أحق أن تكون في نواحي حياة المسلم جميعا.

المطلب الرابع: الوفاء من نتاج الصدق

الوفاء هو الإكتمال والإنجاز المشروط الذي قطعه الرجل على نفسه، ومعناه في اللغة كما قال ابن فارس: " وَفَى: الْوَاوُ وَالْفَاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ، كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى إِكْمَالٍ وَإِتْمَامٍ. مِنْهُ الْوَفَاءُ: إِتْمَامُ الْعَهْدِ وَإِكْمَالُ الشَّرْطِ" [4]، والوفاء بالعهود حث عليه القرآن الكريم: ﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾. [آل عمران: ٧٦].

([1]) سُورًا: قال الطبري: السور بغير همز الصنيع من الطعام الذي يدعى إليه، وقيل الطعام مطلقا وهو بالفارسية، وقيل بالحبشية، وبالهمز بقية الشيء، والمراد هنا قول الطبري. انظر: المرجع السابق، (ج٦/ ص١٨٤).

([2]) البُرْمَة: القِدر مُطْلَقًا، وَجَمْعُهَا بِرَام، وَهِيَ فِي الْأَصْلِ المتَّخَذة مِنَ الْحَجَرِ الْمَعْرُوفِ بِالْحِجَازِ وَالْيَمَنِ. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (ج١/ ص١٢١).

([3]) صحيح البخاري، كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ غَزْوَةِ الخَنْدَقِ وَهِيَ الأَحْزَابُ، (ج٥/ ص١٠٩)، ح٤١٠٢.

([4]) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (ج٦/ ص ١٢٩).

والوفاء بالعهود ليس فقط في السلم ولا فقط بين المسلمين فيما بينهم، بل أيضًا الوفاء مع الكفار وفي وقت الحرب الذي هو أشد اللحظات التي يحتاج الجيش لكل فرد مسلم قادر على القتال، وهذا ما كان سببًا في تغيب حذيفة بن اليمان– رضي الله عنه– عن غزوة بدر، فقال: "مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٌ، قَالَ: فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا، فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ، فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَا نُقَاتِلُ مَعَهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: "انْصَرِفَا، نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللهَ عَلَيْهِمْ"[1].

النووي عنون لهذا الحديث بـ " بَابُ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ " ووضعه في كتاب الجهاد والسير، في صحيح مسلم، للدلالة على عظم قدر الوفاء بالعهد حتى في الحرب.

وهذا الموقف من رسول الله– صلى الله عليه وسلم– يُعدُّ من مفاخر أخلاقيات الحروب في تاريخ الإنسانية، فلم ير المؤرخون في تاريخ الحروب قاطبة موقفًا يُنَاظر هذا الموقف الباهر، ذلك الموقف الذي نرى فيه القيادة الإسلامية تحترم العهود والمواثيق لأقصى درجة، حتى العهود التي أخذها المشركون على ضعفاء المسلمين أيام الاضطهاد، برغم ما يعلو هذه العقود من شبه الإكراه.

المبحث السابع: التواضع والتساوي

التَّواضُعُ: التَّذَلُّلُ. وتَواضَعَ الرجلُ: ذَلَّ. وَيُقَالُ: دَخَلَ فُلَانٌ أَمْراً فَوَضَعَه دُخُولُه فِيهِ فاتَّضَعَ. وتَواضَعَتِ الأَرضُ: انْخَفَضَتْ عَمَّا يَلِيهَا، وأَراه عَلَى الْمَثَلِ. وَيُقَالُ: إِنَّ بَلَدَكُمْ لمُتَواضِعٌ، وَقَالَ الأَصمعي: هُوَ المُتَخاشِعُ مِنْ بُعْدِه تراهُ مِنْ بَعيدٍ لاصِقاً بالأَرض. وتَواضَعَ مَا بَيْنَنَا أَي بَعُدَ"[2]

([1]) صحيح مسلم، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، (ج٣/ ص ١٤١٤)، ح٩٨ – (١٧٨٧).

([2]) انظر: لسان العرب، لابن منظور، (ج٨/ ص٣٩٧).

وكما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–، قَالَ: " كَانَ النَّبِيُّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الإِيمَانُ؟ ..." [1].

وفي رواية عند النسائي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي ذَرٍّ، –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا–، قَالَا: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَجْلِسُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَصْحَابِهِ، فَيَجِيءُ الْغَرِيبُ فَلَا يَدْرِي أَيُّهُمْ هُوَ حَتَّى يَسْأَلَ، فَطَلَبْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنْ نَجْعَلَ لَهُ مَجْلِسًا يَعْرِفُهُ الْغَرِيبُ إِذَا أَتَاهُ"[2].

من صور التواضع عند النبي – صلى الله عليه وسلم–، في المظهر العام، أنّ الغريب عن المدينة كان لا يستطيع تمييزه وهو جالس بين أصحابه، ومن صور تواضعه في ميدان الحرب والتجهيز، أنّه كان لا يميز نفسه عن باقي الصحابة في العمل، ولا يمتاز عن الجند، في الجهد والمشاركة، وهذه من القيم الحضارية العالية التي كانت من تواضع النبي– صلى الله عليه وسلم.

والمساواة والتسوية وعدم الميل لكفة على حساب كفة أخرى، والمساواة في اللغة: "السِّينُ وَالْوَاوُ وَالْيَاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى اسْتِقَامَةٍ وَاعْتِدَالٍ بَيْنَ شَيْئَيْنِ. يُقَالُ هَذَا لَا يُسَاوِي كَذَا، أَيْ لَا يُعَادِلُهُ. وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ عَلَى سَوِيَّةٍ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ، أَيْ سَوَاءٍ. وَمَكَانٌ سُوًى، أَيْ مَعْلَمٌ قَدْ عَلِمَ الْقَوْمُ الدُّخُولَ فِيهِ وَالْخُرُوجَ مِنْهُ. وَيُقَالُ أَسْوَى الرَّجُلُ، إِذَا كَانَ خَلَفُهُ وَوَلَدُهُ سَوِيًّا" [3].

وقد أوردت في هذا المبحث مطلبين وهما:

([1]) صحيح البخاري، كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الإِيمَانِ، وَالإِسْلاَمِ، وَالإِحْسَانِ، وَعِلْمِ السَّاعَةِ، (١/ ١٩)، ح٥٠.

([2]) سنن النسائي، كِتَابُ الْإِيمَانِ وَشَرَائِعِهِ، صِفَةُ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، (ج٨/ ص١٠١)، ح٤٩٩١.

سند الحديث: قال النسائي: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ قُدَامَةَ، عَنْ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِي فَرْوَةَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَبِي ذَرٍّ، قَالَا.

([3]) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (ج٢٣/ ص ١١٢).

المطلب الأول: مشاركة التجهيز مع الجند

مشاركة القيادة للجند في ميدان التضحية والجهاد، من معالم التواضع بين الجند والقيادة حتى في التجهيز الأولي والمشاركة بالجهد البدني كما يروي الصحابي الجليل الْبَرَاءِ، أنه قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ الْأَحْزَابِ يَنْقُلُ مَعَنَا التُّرَابَ، وَلَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بَيَاضَ بَطْنِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللهِ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا، فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا، إِنَّ الْأُلَى قَدْ أَبَوْا عَلَيْنَا – قَالَ: وَرُبَّمَا قَالَ: إِنَّ الْمَلَا قَدْ أَبَوْا عَلَيْنَا – إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا، وَيَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ"[1].

وهذا الحديث يدل على مدى تواضع النبي- صلى الله عليه وسلم-، بين أصحابه فلم تكن معاملته لهم أنه القائد وهم الجند، بل كان يشارك ويحث ويعمل بنفسه وبدنه في سبيل الله، وفيه الإنشاد في الميدان من باب رفع الهمم وذهاب التعب والنصب.

المطلب الثاني: سواسية القيادة والجند

السواسية قيمة حضارية عالية، وهي ميزة أساسية ميزت الحضارة الإسلامية والدولة الإسلامية، فالناس سواسية كأسنان المشط ولا فرق بين عربي أعجمي إلا بالتقوى، وقد أخبر الصحابي الجليل عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، فقَالَ: " كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ كُلُّ ثَلَاثَةٍ عَلَى بَعِيرٍ، كَانَ أَبُو لُبَابَةَ[2]، وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، زَمِيلَيْ رَسُولِ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: وَكَانَتْ عُقْبَةُ

([1]) سبق دراسته. انظر: حاشية رقم (٣)، ص (٧٠).

([2]) يقال اسم أبي لبابة هو: خارجة بن عبد المنذر الأنصاري، قال ابن إسحاق: زعموا أن النبي صلى اللّه عليه وسلّم ردّ أبا لبابة والحارث بن حاطب بعد أن خرجا معه إلى بدر، فأمّر أبا لبابة على المدينة، وضرب لهما بسهميهما وأجرهما مع أصحاب بدر، وقالوا: كان أحد النقباء ليلة العقبة، يقال: مات في خلافة علي. وقال خليفة: مات بعد مقتل عثمان، ويقال: عاش إلى بعد الخمسين. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، (ج٧/ ص٢٩٠)، رقم ١٠٤٧٠.

رَسُولِ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: فَقَالَا نَحْنُ نَمْشِي عَنْكَ، فَقَالَ: " مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي، وَلَا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا " [1].

([1]) مسند أحمد، مُسْنَدُ الْمُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ، مُسْنَدُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، (ج٧/ ص١٧)، ح٣٩٠١.

سند الحديث: قال أحمد: حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، أَخْبَرَنَا عَاصِمٌ ابْنُ بَهْدَلَةَ، عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ.

دراسة الاسناد:

١-**حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ:** هو أبو سلمة، حماد بن سلمة، بن دينار، البصري، ثقة عابد، أثبت الناس في ثابت، وتغير حفظه بأخرة، مات سنة سبع وستين. انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، (ص: ١٧٨)، رقم: ١٤٩٩.

وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه ضاع كتاب حماد عن قيس بن سعد وكان يحدثهم من حفظه وأورده له ابن عدي في الكامل عدة أحاديث مما ينفرد به متنًا أو إسنادًا، قال: وحماد من أجلة المسلمين وهو مفتي البصرة وقد حدث عنه من هو أكبر منه سنًا وله أحاديث كثيرة وأصناف كثيرة ومشائخ وهو كما قال بن المديني: من تكلم في حماد بن سلمة فاتهموه في الدين وقال الساجي: كان حافظا ثقة مأمونا وقال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث وربما حدث بالحديث المنكر وقال العجلي: ثقة رجل صالح حسن الحديث، وقال: إن عنده ألف حديث حسن ليس عند غيره، وحكى أبو الوليد الباجي في رجال البخاري: إن النسائي سئل عنه فقال ثقة، قال الحاكم بن مسعدة: فكلمته فيه فقال: ومن يجترئ يتكلم فيه. انظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر، (ج٣/ ص١٥).

وتنتفي علة الاختلاط هنا عن حماد بن سلمة لأن عفان بن مسلم هو أثبت الناس في حماد كما نقل عن عبد الله بن أحمد أنه قال: سمعت يحيى بن معين يقول: من أراد أن يكتب حديث حماد بن سلمة فعليه بعفان بن مسلم. انظر: الكواكب النيرات، ابن الكيال، (ص ٤٦١).

٢-**عَاصِمٌ بْنُ بَهْدَلَةَ:** هو أبو بكر، بْنِ أَبِي النَّجُودِ، الأسدي، مولاهم الكوفي، المقرىء صدوق له أوهام حجة في القراءة وحديثه في الصحيحين مقرون، مات سنة ثمان وعشرين. تقريب التهذيب، لابن حجر، (ص: ٢٨٥)، رقم: ٣٠٥٤. ذكره محمد بن سعد فِي الطبقة الثانية من أهل الكوفة، قال: وهو مولى لبني جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين بن أسد، وكان ثقة، إلا أنه كان كثير الخطأ في حديثه، وَقَال عَبد اللَّهِ بْن أَحْمَد بْن حنبل: سَأَلتُ أبي عنه، فَقَالَ: كان رجلا صالحا قارئا للقرآن، وأهل الكوفة يختارون قراءته وأنا أختار قراءته، وكان خيرًا ثقة، والأعمش أحفظ منه، وكان شعبة يختار الأعمش عليه، في تثبيت الحديث، وَقَال عَبد الله أيضا: سَأَلتُ أبي عن حماد بن أَبي سُلَيْمان وعاصم، فقال: عاصم أحب إلينا، عاصم صاحب قرآن، وحماد صاحب فقه، وَقَال عَبد الله أيضا، عن يحيى بْن مَعِين: لا بأس بِهِ، وَقَال أَحْمَد بْن عَبد الله العجلي: عاصم صاحب سنة وقراءة للقرآن، وكان ثقة، رأسا في القراءة، ويُقال: إن الأعمش قرأ عليه وهو حدث، وكان يختلف عليه في زر وأبي وائل، وَقَال يعقوب بن سفيان: في حديثه اضطراب، وهو ثقة، وَقَال عَبْد الرَّحْمَنِ بْن أَبي حَاتِم: سَأَلتُ أَبِي عَنْهُ فَقَالَ: صالح وهو أكثر حديثا من أبي قيس الأَوْدِيّ، وأشهر منه، وأحب إليّ منه، قال: وسئل عن عاصم بن أَبي النجود وعبد الملك بن عُمَير، فقال: قدم عاصم على عَبد المَلِك، عاصم أقل اختلافا عندي من عبد الملك، قال: وسألت أبا

السواسية والتواضع أمران متلازمان لا يكاد ينفكان عن بعضهما البعض حتى في المشي، والتناوب على ركوب البعير كان النبي– صلى الله عليه وسلم–، يساوي نفسه بالصحابة– رضي الله عنهم–، ويشاركهم في المشي والركوب والتساوي، وهو غاية التواضع كما أخبر الطيبي فقال:" ضَمَّنَ الْمَشْيَ مَعْنَى الِاسْتِغْنَاءِ ؛ أَيْ: نَسْتَغْنِيكَ عَنِ الْمَشْيِ يَعْنِي نَمْشِي بَدَلَكَ (قَالَ: مَا أَنْتُمَا) ؛ أَيْ: لَسْتُمَا (بِأَقْوَى مِنِّي) ؛ أَيْ: فِي الدُّنْيَا (وَمَا أَنَا) ؛ أَيْ: وَلَسْتُ (بِأَغْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمَا) ؛ أَيْ: فِي الْعُقْبَى. قَالَ الطِّيبِيُّ: فِيهِ إِظْهَارُ غَايَةِ التَّوَاضُعِ مِنْهُ، وَالْمُوَاسَاةِ مَعَ الرُّفْقَةِ، وَالِافْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى" [1].

زرعة عنه،= =فقال: ثقة، فذكرته لأبي، فقال: ليس محله هذا، أن يقال: إنه ثقة، وقد تكلم فيه ابن علية. فقال: كان كل من كان اسمه عاصم، سيء الحفظ، قال: وذكره أبي فقال: محله عندي محل الصدق، صالح الحديث، ولم يكن بذاك الحافظ. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، (ج١٣/ ص٤٧٧).

الحكم على الحديث: الحديث إسناده حسن، لوجود عاصم، وقد حكم الحاكم على الحديث بصحة الإسناد فقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ". وتابعه الذهبي. انظر: المستدرك على الصحيحين، للحاكم، كِتَابُ الْجِهَادِ، (ج٢/ ص١٠٠)، ح٢٤٥٣. وصححه ابن حبان. انظر: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لابن حبان، باب الخروج وكيفية الجهاد، ذِكْرُ إِبَاحَةِ تَعَاقُبِ الْجَمَاعَةِ الْبَعِيرَ الْوَاحِدَ فِي الْغَزْوِ عِنْدَ عَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى غَيْرِهِ، (ج١١/ ص٣٥)، ح٤٧٣٣، وحسنه الهيثمي فقال: "وَفِيهِ عَاصِمُ بْنُ بَهْدَلَةَ، وَحَدِيثُهُ حَسَنٌ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِ أَحْمَدَ رِجَالُ الصَّحِيحِ". انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، (ج٦/ ص٦٩)، ح ٩٩٤٣.

([1]) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري، (ج٦/ ص٢٥١٩).

الفصل الثاني:

القيم الحضارية في أثناء الغزوة وآثارها

الفصل الثاني: القيم الحضارية في أثناء الغزوة وآثارها

القيم الحضارية عند الإنسان تظهر في السلم، ويتجاوز عنها في الحرب فالحرب هي مكان القتل وإزهاق الأرواح، ولكن أن تكون واضحة جلية عند النبي- صلى الله عليه وسلم- لهو مؤشر واضح على مدى سمو هذا الدين الحنيف، ومدى اهتمامه بالحياة الكريمة الشريفة ذات القيم الحضارية العالية، والتي تجلت في نهج النبي- صلى الله عليه وسلم- في أثناء الغزوات التي خاضها النبي- صلى الله عليه وسلم- وخاضها من بعده الصحابة الكرام، والتي سنفصلها في هذا الفصل الذي يشتمل على ستة مباحث وهي:

المبحث الأول: المحبة والعطاء

المحبة تدل على قيمة عظيمة راقية تقوم على أساسها المجتمعات المتحضرة والمتماسكة، ومنها تنبثق أخلاقيات هذه المجتمعات، وتنعكس على المجتمعات المجاورة سواء في السلم أو الحرب في نشر الحب والوئام بين الناس مع البعد عن العادات السيئة مثل الأنانية والتباغض والتناحر، وقد أفردت في هذا المبحث أربعة مطالب، وهي:

المطلب الأول: تخصيص المحبة

إنَّ من أعظم أنواع المحبة والود في هذه الدنيا حب الله وحب رسوله، ويكون الهم ليس لدنيا ولا مكسب، بل الهم لنشر الدين ونشر المحبة التي لا تنطلق إلا من محبة الله، والله- عز وجل- يقول: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾. [آل عمران: ٣١]، حتى في القتال والحروب يكون الهدف وحتى التنافس في الغزوات هو حب الله، وهذا ما ورد عن الصحابي سَهْل بْن سَعْدٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ خَيْبَرَ:" لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ"، فَبَاتَ النَّاسُ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَى، فَغَدَوْا كُلُّهُمْ يَرْجُوهُ، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيٌّ؟»، فَقِيلَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ فَقَالَ: أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: "

انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ" [1].

كانت المنافسة بليل ولا أدري كيف بات الصحابة في هذه الليلة ليلة الجائزة بالفوز بحب الله وحب رسول الله، ويكون سببًا في فتح مؤزر وثمرة عظيمة للإسلام والمسلمين، ومحبة الله ورسوله فوق كل شيء، وهي السبب في التوفيق والفلاح، وكما ذكر صاحب مطالع الأنوار: "وكل ما جاء من ذكر محبة العبد لله أو محبة الله لعبده كل ذلك محمول على إرادة الله به الخير وهدايته إياه وتوفيقه له، ومحبة العبد لله ترجع إلى طاعته له وإيثار أمره على سواه، وأما المحبة التي هي الميل إلى المحبوب فالبارئ- سبحانه وتعالى- منزه عنها لا يميل ولا يقال إليه، وأما محبة الرسول والملائكة لمن يحبهم ويحبونه فتكون على ظاهرها من الميل اللائق بالخلق، وتكون من الملائكة بمعنى الاستغفار، وحسن الذكر، والثناء الجميل، وكذلك من البشر التعظيم لهم والذكر الجميل، ومن الرسول لأمته إرادته هداهم ونجاتهم والدعاء لهم والشفاعة لهم، ومحبتهم له طاعتهم إياه والصلاة عليه والثناء وتقديم أمره وقبول قوله" [2].

والمحبة من القيادة للجند تكون قيمة حضارية عالية ممتزجة بالصدق والثقة، ومن ذلك: ما روي عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، " أَنَّ رَسُولَ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَامَ غَزْوَةِ تَبُوكَ قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يُصَلِّي، فَاجْتَمَعَ وَرَاءَهُ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَحْرُسُونَهُ، حَتَّى إِذَا صَلَّى وَانْصَرَفَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: " لَقَدْ أُعْطِيتُ اللَّيْلَةَ خَمْسًا، مَا أُعْطِيَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: أَمَّا أَنَا فَأُرْسِلْتُ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ عَامَّةً، وَكَانَ مَنْ قَبْلِي إِنَّمَا يُرْسَلُ إِلَى قَوْمِهِ، وَنُصِرْتُ عَلَى الْعَدُوِّ بِالرُّعْبِ، وَلَوْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ مَسِيرَةُ شَهْرٍ لَمُلِئَ مِنْهُ رُعْبًا، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ آكُلُهَا، وَكَانَ مَنْ قَبْلِي يُعَظِّمُونَ أَكْلَهَا، كَانُوا يُحْرِقُونَهَا، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسَاجِدَ وَطَهُورًا، أَيْنَمَا أَدْرَكَتْنِي الصَّلَاةُ تَمَسَّحْتُ وَصَلَّيْتُ، وَكَانَ مَنْ قَبْلِي يُعَظِّمُونَ ذَلِكَ، إِنَّمَا كَانُوا يُصَلُّونَ فِي كَنَائِسِهِمْ وَبِيَعِهِمْ، وَالْخَامِسَةُ هِيَ

([1]) صحيح البخاري، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ فَضْلِ مَنْ أَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ رَجُلٌ، (ج٤/ ص٦٠)، ح٣٠٠٩.

([2]) انظر: مطالع الأنوار على صحاح الآثار، لأبي إسحاق ابن قرقول، (ج٢/ ص٢١١).

مَا هِيَ، قِيلَ لِي: سَلْ فَإِنَّ كُلَّ نَبِيٍّ قَدْ سَأَلَ، فَأَخَّرْتُ مَسْأَلَتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ لَكُمْ وَلِمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ " [1].

([1]) مسند أحمد، مُسْنَدُ الْمُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ، مُسْنَدُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، (ج١١/ ص٦٣٩)، ح٧٠٦٨.

سند الحديث: قال أحمد: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ مُضَرَ، عَنْ ابْنِ الْهَادِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ.

دراسة رواة الإسناد:

-عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، صدوق، مات سنة ثماني عشرة ومائة. انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، (ص ٤٢٣)، رقم: ٥٠٥٠.

قال صدقة بن الفضل عن يحيى بن سَعِيد القطان: إذا روى عنه الثقات فهو ثقة يحتج به، وَقَال علي بْن المديني، عن يحيى بن سَعِيد: حديثه عندنا واه، وَقَال علي، عن سفيان بن عُيَيْنَة، كان إنما يحدث عَن أبيه، عن جده، وكان حديثه عند الناس فيه شيء، وَقَال أحمد بن سُلَيْمان، عن معتمر بن سُلَيْمان: سمعت أبا عَمْرو بن العلاء يقول: كان لا يعاب على قتادة، وعَمْرو بن شعيب إلا أنهما كانا لا يسمعان شيئا إلا حدثا به.

وَقَال أبو بكر الأثرم: سئل أبو عبد الله عن عَمْرو بن شعيب، فقال: أنا أكتب حديثه، وربما احتججنا به، وربما وجس في القلب منه شيء، ومالك يروي عن رجل عنه، وقَال البُخارِيُّ: رأيت أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، وإسحاق بن راهويه، وأبا عُبَيد، وعامة أصحابنا يحتجون بحديث عَمْرو بن شعيب، عَن أَبِيهِ، عَنْ جده، ما تركه أحد من المسلمين، وقال البخاري: من الناس بعدهم؟، وَقَال أبو زُرْعَة: روى عنه الثقات وإنما أنكروا عليه كثرة روايته عَن أبيه، عن جده، وَقَالوا: إنما سمع أحاديث يسيرة وأخذ صحيفة كانت عنده، فرواها وما أقل ما نصيب عنه مما روى عن غير أبيه، عن جده من المنكر، وعامة هذه المناكير التي تروى عنه إنما هي عن المثنى بن الصباح، وابن لَهِيعَة والضعفاء وهو ثقة في نفسه إنما تُكلم فيه بسبب كتاب عنده، وَقَال عَبْد الرَّحْمَنِ بْن أَبي حاتم: سئل أبي: أيما أحب إليك عَمْرو بن شعيب عَن أبيه عن جده، أبو بهز بْن حكيم عَن أبيه عَنْ جده؟ فقال: عَمْرو أحب إلي. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (ج٢٢/ ص٧١)، رقم: ٤٣٨٥.

قلت: يبقى في عداد المقبول والمناكير التي رواها لا تتحقق في حديثنا لأنه لم يرو عن الضعفاء الذين ذكرهم العلماء كالمثنى بن الصباح وابن لهيعة، وروى عنه ثقة.

- شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، صدوق ثبت سماعه من جده. انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، (ص ٢٦٧)، رقم: ٢٨٠٦. ذكره ابنُ حِبَّان في كتاب "الثقات"، وقال: "وَيُقَال أَن شُعَيْب بْن مُحَمَّد سمع جده وَلَيْسَ ذَلِك عِنْدِي بِصَحِيح". انظر: الثقات، لابن حبان، (ج٤/ ص٣٥٧)، رقم٣٣٢٧. وذكر البخاري، وأَبُو داود وغير واحد أنه سمع من جده عَبد الله بْن عَمْرو... حديث عَمْرو بْن شعيب عَن أَبِيهِ، عَنْ جده صحيح متصل إذا صح الإسناد إليه، وأن من ادعى فيه خلاف ذلك، فدعواه مردودة حتى يأتي عليها بدليل صحيح يعارض ما ذكرناه واللَّه أعلم. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، (ج١٢/ ص٥٣٥)، رقم ٢٧٥٦. قلت يبقى في عداد المقبول.=

في الحديث يظهر موقفان للمحبة:

الأول: أن النبي– صلى الله عليه وسلم– قام ليصلي فقام أصحابه يحرسونه من المحبة التي زرعت في قلوبهم من حسن خلق النبي– صلى الله عليه وسلم– مع صحابته ولينه معهم، وقد وصفه الله عز وجل في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾. [آل عمران: ١٥٩]، فهذه القيمة الحضارية متواجدة حتى في الحروب التي يخشى منها ازهاق الروح واسالة الدماء وتقطيع الأطراف لكن المحبة كانت أقوى من الخوف المجبول في النفوس.

والآخر: وهي محبة النبي– صلى الله عليه وسلم– لأمته والظاهرة في قوله: "فَأَخَّرْتُ مَسْأَلَتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ لَكُمْ وَلِمَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ "، تأخير الشفاعة ليوم القيامة يوم تكثر فيه الرحمة من الله لعباده المؤمنين ومن محبته– صلى الله عليه وسلم– لأمته أخبرهم بهذا من وسط المعركة وداخل أرض الغزوة في وقت يكون المسيطر هو الخوف والرعب والحذر، وعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: "غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَوْمًا مِنْ جُهَيْنَةَ، فَقَاتَلُونَا قِتَالًا شَدِيدًا، فَلَمَّا صَلَّيْنَا الظُّهْرَ قَالَ الْمُشْرِكُونَ: لَوْ مِلْنَا عَلَيْهِمْ مَيْلَةً لَاقْتَطَعْنَاهُمْ، فَأَخْبَرَ جِبْرِيلُ رَسُولَ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ذَلِكَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَنَا رَسُولُ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، قَالَ: وَقَالُوا: إِنَّهُ سَتَأْتِيهِمْ صَلَاةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْأَوْلَادِ، فَلَمَّا حَضَرَتِ الْعَصْرُ قَالَ: صَفَّنَا صَفَّيْنِ، وَالْمُشْرِكُونَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ، قَالَ: فَكَبَّرَ رَسُولُ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَكَبَّرْنَا، وَرَكَعَ فَرَكَعْنَا، ثُمَّ سَجَدَ، وَسَجَدَ مَعَهُ الصَّفُّ الْأَوَّلُ، فَلَمَّا قَامُوا سَجَدَ الصَّفُّ الثَّانِي، ثُمَّ تَأَخَّرَ الصَّفُّ الْأَوَّلُ، وَتَقَدَّمَ الصَّفُّ الثَّانِي، فَقَامُوا مَقَامَ الْأَوَّلِ، فَكَبَّرَ رَسُولُ الله– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَكَبَّرْنَا، وَرَكَعَ، فَرَكَعْنَا، ثُمَّ سَجَدَ وَسَجَدَ مَعَهُ الصَّفُّ الْأَوَّلُ، وَقَامَ الثَّانِي، فَلَمَّا سَجَدَ الصَّفُّ الثَّانِي، ثُمَّ جَلَسُوا جَمِيعًا، سَلَّمَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– " [1].

= **الحكم على الحديث:** الحديث إسناده صحيح، وقد صححه من العلماء كأمثال: المنذري فقال: رواه أحمد بإسناد صحيح. انظر: الترغيب والترهيب، للمنذري، (ج٤/ ص٤٣٣). والهيثمي فقال: رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، (ج١٠/ ص٣٦٧).

([1]) صحيح مسلم، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ صَلَاةِ الْخَوْفِ، (ج١/ ص٥٧٥)، ح٣٠٨ – (٨٤٠).

إن ميدان المعركة غالبًا ما يعكر صفو العبادات في الجهد والتعب والحذر، ولكن أن ينتظر المسلمون بشرى من الله- عز وجل- بصلاة هي أحب إليهم من الأولاد فهذا لتوطيد المحبة في الدين، والمحبة في الله، وهي قيمة عظيمة حرص الإسلام عليها وهي من مقدمات النصر التمكين.

المطلب الثاني: المحبة من أسباب اعتناق الإسلام

مما يدل على أن النبي- صلى الله عليه وسلم- ما كان حريصاً على الغنائم في الغزوات ولا ملذات الدنيا، بل كان همه نشر الدين ونشر المحبة في الدين والتعاون وبناء جسور الثقة، كل ذلك عبر بوابة الحب والود بين الناس وأحب إليه محبة دخول الناس في الإسلام والاعتصام بعصمة الإسلام، وفي غزوة خيبر يروي الصحابي الجليل أَبُو هُرَيْرَةَ، " أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: "لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ"، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: مَا أَحْبَبْتُ الْإِمَارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ، قَالَ فَتَسَاوَرْتُ لَهَا رَجَاءَ أَنْ أُدْعَى لَهَا، قَالَ فَدَعَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، وَقَالَ: " امْشِ، وَلَا تَلْتَفِتْ، حَتَّى يَفْتَحَ اللهُ عَلَيْكَ"، قَالَ فَسَارَ عَلِيٌّ شَيْئًا ثُمَّ وَقَفَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ، فَصَرَخَ: يَا رَسُولَ اللهِ عَلَى مَاذَا أُقَاتِلُ النَّاسَ؟ قَالَ: "قَاتِلْهُمْ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ" [1].

في الحديث دلالة قاطعة على الدين الإسلامي هو دين القيم والحضارة، وأن النبي- صلى الله عليه وسلم- قد جاء لينشر هذا الدين القيم، وهذا ما أوصى به عليًّا بعد سؤاله على كيفية القتال ومتى ينتهي وكيف ينتهي، ينتهي فقط بدخول الكفار الإسلام فلا تستلب أموالهم ولا تراق دمائهم ويدخلوا في عصمة الإسلام، وهذا ما حكاه النووي، فقال: "وفي الرواية الأخرى ادعهم إلى الإسلام هذا الحديث فيه الدعاء إلى الإسلام قبل القتال، وقد قال بإيجابه طائفة على

---

(1) صحيح مسلم، كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، (ج٤/ ص١٨٧١)، ح٣٣ - (٢٤٠٥).

الإطلاق ومذهبنا ومذهب آخرين أنهم إن كانوا ممن لم تبلغهم دعوة الإسلام وجب إنذارهم قبل القتال وإلا فلا يجب لكن يستحب" [1].

إنَّ التسامح قد يكون متفاضلًا ومتفاوتًا، وفي بعض المواضع يكون التسامح فيها صعب على النفس، لكن النبي– صلى الله عليه وسلم– عندما يتعرض لمحاولة اغتيال والقتل من أحد الكفار، يكون عندئذ عقاب هذا الكافر القتل، لكن الهدف عند النبي– صلى الله عليه وسلم– أسمى من هذه العقوبات، وهذا ما يرويه الصحابي الجليل جَابر بْن عَبْدِ اللَّهِ، حيث قَالَ: "غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ نَجْدٍ[2]، فَلَمَّا أَدْرَكَتْهُ القَائِلَةُ، وَهُوَ فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ [3]، فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَاسْتَظَلَّ بِهَا وَعَلَّقَ سَيْفَهُ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الشَّجَرِ يَسْتَظِلُّونَ، وَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجِئْنَا، فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: " إِنَّ هَذَا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاخْتَرَطَ سَيْفِي[4]، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي، مُخْتَرِطٌ صَلْتًا[5]، قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُ، فَشَامَهُ [6] ثُمَّ قَعَدَ، فَهُوَ هَذَا " قَالَ: وَلَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" [7].

هذا النبي– صلى الله عليه وسلم– ينام تحت شجرة وإذا بأحد الكفار يستل سيفه ليقتله ويحاول قتل النبي– صلى الله عليه وسلم–، لكن اسم الله يمنع هذا الكافر فيقعد فلم يعاقبه رسول الله – صلى الله عليه وسلم– بل كان ينظر لينضم إلى الإسلام والمسلمين هذا المحبة

([1]) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، (ج١٥/ ص١٧٧).

([2]) نَجْدٍ: كل ما ارتفع من بلاد العرب، والكلام على غزوة ذات الرقاع. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، (ج٢/ ص٤٣٠). ثُمَّ غَزَا نَجْدًا: يُرِيدُ بَنِي مُحَارِبٍ وَبَنِي ثَعْلَبَةَ مِنْ غَطْفَانَ وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا ذَرٍّ. انظر: السيرة النبوية، لابن كثير، (ج٣/ ص١٦٠).

([3]) العِضَاهِ: هي كل شجرة ذات شوك. انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، (ج١٥/ ص٤٤).

([4]) فَاخْتَرَطَ سَيْفِي: أي سله. انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني، (ج٦/ ص٣٣٧).

([5]) صَلْتًا: مجردًا من غمده. انظر: المرجع السابق.

([6]) فَشَامَهُ: رده في الغمد، وهو من الأضداد، يقال: شامه: إذا سلَّه، وشامه: إذا رده في غمده. انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن، (ج٢١/ ص٢٦٩).

([7]) صحيح البخاري، كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ غَزْوَةِ بَنِي المُصْطَلَقِ، مِنْ خُزَاعَةَ، وَهِيَ غَزْوَةُ المُرَيْسِيعِ، (ج٥/ ص١١٦)، ح٤١٣٩.

تحدث عنها ابن الملقن فقال: "وإنما لم يواجهه؛ لأنَّه كان يستميلهم بذلك ليرغبهم في الدخول في الإسلام" [1].

المطلب الثالث: العرض بالمحبة ثم الاختيار للمحب

التعرض للأخطار تنفر منه النفس البشرية، والطلب قليل ونادر، وغير محبب للنفس، ولكن عندما يتعلق الأمر برسول الله– صلى الله عليه وسلم– وطاعته من محبته فالأمر مختلف، فهذه مهمة نفذها الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان في غزوة الأحزاب ويروي ويقول: "لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ، وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: " أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟"، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: " أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟"، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: "أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟"، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَقَالَ: "قُمْ يَا حُذَيْفَةُ، فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ"، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قَالَ: "اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ"، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم–: "وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ"، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَفَرَغْتُ قُرِرْتُ، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا، فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ: "قُمْ يَا نَوْمَانُ" [2].

في هذا الموقف نرى النبي– صلى الله عليه وسلم– يعرض على الصحابة– رضي الله عنهم– مهمة مقابلها جائزة عظيمة وهي مرافقته يوم القيامة، ولكن الغريب أنه عرضها عليهم ثلاثا فلم يستجب أحد من الصحابة، وقد وضحت بعض معالم هذا الموقف رواية الحاكم حيث روى عن الصحابي حذيفة– رضي الله عنه–، قال: "أَنَّ النَّاسَ تَفَرَّقُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ، فَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، فَأَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

([1]) انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن، (ج٢١/ ص٢٦٩).

([2]) صحيح مسلم، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ، (ج٣/ ص١٤١٤)، ح٩٩ – (١٧٨٨).

وَسَلَّمَ- وَأَنَا جَاثِي مِنَ الْبَرْدِ، وَقَالَ: «يَا ابْنَ الْيَمَانِ، قُمْ فَانْطَلِقْ إِلَى عَسْكَرِ الْأَحْزَابِ فَانْظُرْ إِلَى حَالِهِمْ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا قُمْتُ إِلَيْكَ إِلَّا حَيَاءً مِنْكَ مِنَ الْبَرْدِ، قَالَ: «فَابْرُزْ الْحَرَّةَ» [1] وَبَرْدَ الصُّبْحِ، انْطَلِقْ يَا ابْنَ الْيَمَانِ، وَلَا بَأْسَ عَلَيْكَ مِنْ حَرٍّ وَلَا بَرْدٍ حَتَّى تَرْجِعَ إِلَيَّ»"[2].

ولكن بعد انهاء المهمة والرجوع سالمًا غانمًا إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- غطاه بعبائته ونام، فهذا التواضع والمحبة من القيادة للجند، وقد وصفها صاحب الافصاح، فقال: "غطى حذيفة بفضل ثوبه ولم يزعجه ولم يجذب ثوبه عنه حتى الصباح، فحينئذ قال له كلمة تدل على أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لم يضجر من طول مقام ثوبه عليه، ولا تأثر لذلك؛ لأن الكلمة تدل على انبساط رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وسروره. وهي قوله- صلى الله عليه وسلم-: يا نومان" [3]، وهذا من باب الملاطفة والمحبة التي كانت بين القيادة والجند حتى في المعارك والغزوات وأماكن البأس، وقد تحدث عن هذه النقطة الهرري فقال: "ومن عادة العرب إذا قصدت الملاطفة أن تسمي المخاطب باسم مشتق من الحالة التي هو فيها كقوله صلى الله عليه وسلم لحذيفة رضي الله عنه: "قم يا نومان"[4].

المطلب الرابع: عيادة الجرحى في خضم المعركة

جرت العادة أن تكون زيارات الجرحى بعد انتهاء المعركة، حيث يتم تفقد الجرحى وعلاجهم والاطمئنان عليهم، لكن المحبة درجات، والزيارة نوع من أنواع بناء أواصر المحبة وبقاء باب الود مفتوحًا، وقد روت أم المؤمنين عَائِشَةَ- رضي الله عنها-، أنها قَالَتْ: " أُصِيبَ سَعْدٌ[5] يَوْمَ الخَنْدَقِ فِي الأَكْحَلِ[1]، فَضَرَبَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَيْمَةً فِي المَسْجِدِ،

([1]) والحَرَّة هَذِهِ: أرضٌ بِظَاهِرِ الْمَدِينَةِ بِهَا حجَارة سُودٌ كَثِيرَةٌ، وَكَانَتِ الْوَقْعَةُ بِهَا. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (ج١/ ص٣٦٥).

([2]) انظر: المستدرك على الصحيحين، للحاكم، كِتَابُ الْمَغَازِي وَالسَّرَايَا، (ج٣/ ص٣٣)، ح ٤٣٢٥.

([3]) انظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، لابن هُبَيْرَة، (ج٢/ ص٢٥٢).

([4]) انظر: الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم، لمحمد الأمين الهرري، (ج٤/ ص١٥٧).

([5]) هو: أبو عمرو سعد بن معاذ بن النعمان الأنصاريّ الأشهليّ، سيّد الأوس، وأمه كبشة بنت رافع، لها صحبة، شهد بدرا باتفاق، ورمي بسهم يوم الخندق، فعاش بعد ذلك شهرا، حتى حكم في بني قريظة، وأجيبت

لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ فَلَمْ يَرُعْهُمْ، وَفِي المَسْجِدِ خَيْمَةٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ، إِلَّا الدَّمُ يَسِيلُ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا أَهْلَ الخَيْمَةِ، مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِينَا مِنْ قِبَلِكُمْ؟ فَإِذَا سَعْدٌ يَغْذُو جُرْحُهُ دَمًا، فَمَاتَ فِيهَا" [٢]، ومعلوم أنّ محبة رسول الله– صلى الله عليه وسلم– مميزة لسعد بن معاذ– رضي الله عنه– فقد سبقت مواقف عظيمة لسعد نصرة للنبي– صلى الله عليه وسلم–، وأثر المعروف بين الناس والحث على التعاون والوقوف بجانب الحق لهو أثر نبيل زرعه رسول الله– صلى الله عليه وسلم– في الصحابة– رضي الله عنهم–، حتى تحت رمي السهام القاتلة، والرعب يسطر على الأنفس، يبرز النبل والوفاء والحرص من ذوي الأخلاق الحميدة، ومن صوره ما حدث في حصار الأحزاب للمدينة في غزوة الخندق عندما نادت أم المؤمنين عائشة فقالت: " يَا أُمَّ سَعْدٍ، لَوَدِدْتُ أَنَّ دِرْعَ سَعْدٍ كَانَتْ أَسْبَغَ مِمَّا هِيَ؛ فَخَافَتْ عَلَيْهِ حَيْثُ أَصَابَ السَّهْمُ مِنْهُ... سعد بن معاذ هذا الفارس العظيم والمؤمن النقي الذي لا يخشى في الله أحدًا والذي دافع عن عرض النبي – صلى الله عليه وسلم – أثناء إشاعة الإفك" [٣]، هذا النبل الذي أبدته عائشة تجاه خوفها على سعد بن معاذ وحديثها الموجه لأمه إنما هو وفاء لسعد في عدم خوضه في عرضها مع من خاضوا في حادثة الإفك.

المبحث الثاني: الشجاعة

الشجاعة قيمة حضارية عالية ذات هدف نبيل، فيها معالم القوة التي تحمي الذات والضعفاء، وفيها زمام المبادرة من غير خشية للأخطار بحسب الحال، وهي في معاجم اللغة: "(شَجَعَ) الشِّينُ وَالْجِيمُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى جُرْأَةٍ وَإِقْدَامٍ، وَرُبَّمَا كَانَ هُنَاكَ بِبَعْضِ الطُّولِ،

دعوته في ذلك، ثم انتقض جرحه، فمات، أخرج ذلك البخاريّ، وذلك سنة خمس، وقال المنافقون لما خرجت جنازته: ما أخفها! فقال النبي –صلّى اللّه عليه وسلم–: «إنّ الملائكة حملته»، وفي الصحيحين وغيرهما من طرق أنّ النبي –صلّى اللّه عليه وسلم– قال: «اهتزّ العرش لموت سعد بن معاذ». انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، (ج٣/ ص٧٠)، رقم: ٣٢١٢.

(١) الْأَكْحَل: بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالْمُهْمَلَةَ بَيْنَهُمَا كَافٌ سَاكِنَةٌ وَهُوَ عِرْقٌ فِي وَسَطِ الذِّرَاعِ قَالَ الْخَلِيلُ هُوَ عِرْقُ الْحَيَاةِ وَيُقَالُ إِنْ فِي كُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ شُعْبَةً فَهُوَ فِي الْيَدِ الْأَكْحَلُ. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، (ج٧/ ص٤١٣).

(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ الصَّلاَةِ، بَابُ الخَيْمَةِ فِي المَسْجِدِ لِلْمَرْضَى وَغَيْرِهِمْ، (ج١/ ص١٠٠)، ح٤٦٣.

(٣) انظر: السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، لمحمد بن حمد الصوياني، (ج٣/ ص١٠٢).

وَهُوَ بَابٌ وَاحِدٌ. مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلُ الشُّجَاعُ، وَهُوَ الْمِقْدَامُ، وَجَمْعُهُ شَجْعَةٌ وَشُجَعَاءُ" [1]، وقد أوردت في المبحث مطلبين وهما:

المطلب الأول: تقدم الصفوف

"عند الشدائد تعرف الرجال" مثل شعبي مشتهر في الوسط العربي ينم على أن ميدان الشجاعة هو ميدان المعركة الحقيقي الذي تظهر فيه معادن الرجال، وينكشف صدق الوعود من بطلانها وزيفها، وفيها يظهر من يثبت ويصبر ويحتسب، تشارك فيه القيادة مصير الجند فلا يفر من الزحف ولا يرمى بجنده في مهاوي الردى، فالشجاعة قيمة حضارية تعبر عن صدق الانتماء والاعتقاد السليم، ورسول الله– صلى الله عليه وسلم–، من أشجع الناس في الحروب لا يترك المسلمين لوحدهم في ميدان المعركة، وقد سُئل الْبَرَاء بْن عَازِبٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: "أَكُنْتُمْ وَلَّيْتُمْ يَوْمَ حُنَيْنٍ يَا أَبَا عُمَارَةَ؟ فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى نَبِيِّ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مَا وَلَّى، وَلَكِنَّهُ انْطَلَقَ أَخِفَّاءُ[2] مِنَ النَّاسِ، وَحُسَّرٌ[3] إِلَى هَذَا الْحَيِّ مِنْ هَوَازِنَ، وَهُمْ قَوْمٌ رُمَاةٌ، فَرَمَوْهُمْ بِرِشْقٍ مِنْ نَبْلٍ كَأَنَّهَا رِجْلٌ مِنْ جَرَادٍ، فَانْكَشَفُوا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ إِلَى رَسُولِ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ يَقُودُ بِهِ بَغْلَتَهُ، فَنَزَلَ وَدَعَا وَاسْتَنْصَرَ، وَهُوَ يَقُولُ: " أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ، اللهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ"، قَالَ الْبَرَاءُ: "كُنَّا وَاللهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ نَتَّقِي بِهِ، وَإِنَّ الشُّجَاعَ مِنَّا لَلَّذِي يُحَاذِي بِهِ، يَعْنِي النَّبِيَّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–" [4].

في هذا الموقف المخيف من مواقف الحرب التي وصفت بالبأس لشدة وقعها على النفس مشهد فيه انهيال النبال على المسلمين كالجراد كناية عن كثرة سقوطها، وفرار المسلمين لا من الزحف بل هربًا من تساقط النبال القاتلة، يثبت رسول الله– صلى الله عليه وسلم– في المعركة وينادي على الصحابة الكرام– رضي الله عنهم– ليدحض أمرين:

([1]) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (ج٣/ ص٢٤٧).

([2]) أَخِفَّاءُ: أو أخفاؤهم جمع خَفِيف وهم المسارعون المستعجلون. انظر: الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، للسيوطي، (ج٤/ ص٣٨٧).

([3]) حُسَّرٌ: "بضم المهملة وتشديد السين المهملة ليس عليهم سلاح". انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، (ج٨/ ص٢٩).

([4]) صحيح مسلم، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابٌ فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ، (ج٣/ ص١٤٠١)، ح٧٩ – (١٧٧٦).

- الأول: إشاعة مقتله– صلى الله عليه وسلم–.
- والآخر: عدم هربه فهو ثابت موجود بكامل قوته، بل يتجه نحو الأعداء مما غير قواعد المعركة جملةً وتفصيلاً.

وقد وصف المشهد الدكتور موسى لاشين فقال: "ومن ثباته– صلى الله عليه وسلم– شجاعته في الحروب والشدائد، ففي هذا الحديث أنه كان يركض بغلته نحو الكفار، وقد فر الناس، وأنه نزل إلى الأرض حين غشوه، وهذه مبالغة في الثبات والشجاعة والصبر.

وقيل: فعل ذلك مواساة لمن كان نازلاً على الأرض من المسلمين، وقد أخبر البراء في هذا الحديث أن الشجاع من الصحابة هو الذي يحاذي برسول الله– صلى الله عليه وسلم– فلا أشجع منه، وأنهم كانوا يتقون به ويحتمون فيه وأخبار الصحابة بشجاعته– صلى الله عليه وسلم– كثيرة" [1].

المطلب الثاني: شجاعة النساء

جرت العادة في ذلك الوقت أن خروج النساء مع النبي– صلى الله عليه وسلم– في الجهاد في سبيل الله إنما يكون لمداواة الجرحى وسقاية الجيش، لذلك كان مكان النساء في مؤخرة الركب حتى يكون ملاذا آمنا لهن من بطش الأعداء ورفقا بالقوارير[2] والنساء بطبيعتهن عامل الخوف والفزع حاضر بقوة في التكوين النفسي لديهن ولكن هذا لا يمنع وجود شجاعة عند بعضهن قد تفوق شجاعة بعض الرجال، وكما روي عَنْ أَنَسٍ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: "أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ اتَّخَذَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ خِنْجَرًا، فَكَانَ مَعَهَا، فَرَآهَا أَبُو طَلْحَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذِهِ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَهَا خِنْجَرٌ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَا هَذَا الْخِنْجَرُ؟ " قَالَتْ: اتَّخَذْتُهُ إِنْ: دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَهُ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَضْحَكُ،

([1]) انظر: فتح المنعم شرح صحيح مسلم، لموسى لاشين، (ج٧/ ص٢٣٩).

([2]) المراد هنا النِّسَاءَ، شَبَّهَهُن بالقَوارير مِنَ الزُّجَاجِ؛ لِأَنَّهُ يُسْرِع إِلَيْهَا الْكَسْرُ. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (ج٤/ ص٣٩).

قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، اقْتُلْ مَنْ بَعْدَنَا مِنَ الطُّلَقَاءِ انْهَزَمُوا بِكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، إِنَّ اللهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ" [1].

هذا الحديث يؤكد على أنّ خروج النساء في الغزو لا يكون للقتال، وقد اختلف العلماء في ذلك، ولكن تقتصر وظيفتهن على بعض المهام المهمة، لكن دون القتال كما ذكره صاحب الفتح: "وَقِتَالِهِنَّ مَعَ الرِّجَالِ أَيْ هَلْ هُوَ سَائِغٌ أَوْ إِذَا خَرَجْنَ مَعَ الرِّجَالِ فِي الْغَزْوِ يَقْتَصِرْنَ عَلَى مَا ذُكِرَ مِنْ مُدَاوَاةِ الْجَرْحَى وَنَحْوِ ذَلِكَ"[2]، وهذا ما جعل النبي- صلى الله عليه وسلم- مستغربًا من حمل أم سُلَيْم- رضي الله عنها- السلاح، فقال الدكتور لاشين: " فجعل رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، يضحك لغرابة الأمر، فالمرأة عادة تخاف السلاح، ولا تقوى على استعماله، بل لا تقوى على رؤية الدم"[3].

وقد وضح الإمام النووي مهام المرأة للمحارم والأزواج، وما دون ذلك على حسب الحاجة، كما قال: "فِيهِ خُرُوجُ النِّسَاءِ فِي الْغَزْوِ وَالِانْتِفَاعِ بِهِنَّ فِي السَّقْيِ وَالْمُدَاوَاةِ وَنَحْوِهِمَا وَهَذِهِ الْمُدَاوَاةُ لِمَحَارِمِهِنَّ وَأَزْوَاجِهِنَّ وَمَا كَانَ مِنْهَا لِغَيْرِهِمْ لَا يَكُونُ فِيهِ مَسُّ بَشَرَةٍ إِلَّا فِي مَوْضِعِ الْحَاجَةِ"[4].

وهذا المتعارف عليه في ذلك الزمن لم يمنع أم سُلَيْم- رضي الله عنها- من شجاعتها التي وصفها القسطلاني: "وقد روي أن أم سليم كانت تسبق الشجعان في الجهاد وثبتت يوم حنين والأقدام قد تزلزلت والصفوف قد انتقضت" [5]، ولم ينكر عليها رسول الله- صلى الله عليه

([1]) صحيح مسلم، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ غَزْوَةِ النِّسَاءِ مَعَ الرِّجَالِ، (ج٣/ ص١٤٤٢)، ح١٣٤ - (١٨٠٩).

([2]) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، (ج٦/ ص٧٨).

([3]) انظر: فتح المنعم شرح صحيح مسلم، لموسى لاشين، (ج٧/ ص٣٧٥).

([4]) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، (ج١٢/ ص١٨٨).

([5]) انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني، (ج٥/ ص٨٤).

وسلم- بل ضحك وأقرها على هذه الشجاعة المستغربة وهذه القيمة الحضارية العالية، أن تكون في النساء، وقد بشرت فيما بعد بالشهادة في سبيل الله وأنها من المبشرين بالجنة [١].

المبحث الثالث: التجاوز والرحمة

التجاوز والرحمة من معالم القيم الحضارية التي تتسم بها المجتمعات الحضارية التي هي ميزة ثبتها الإسلام، وأقرها رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في معاملات الصحابة وتعاملاتهم التي نقولها إلينا- رضوان الله عليهم-، وهما في اللغة:

أولًا: التجاوز في اللغة والاصطلاح: من الفعل جوز وجاوز وكما عرفه ابن منظور:" وجاوَزْتُ الشَّيْءَ إِلى غَيْرِهِ وتجاوَزْتُه بِمَعْنًى أَي أَجَزْتُه. وتَجاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ أَي عَفَا، وَفِي الْحَدِيثِ: كُنْتُ أُبايِع الناسَ وَكَانَ مِنْ خُلُقي الجَواز: أَي التَّسَاهُلُ وَالتَّسَامُحُ فِي الْبَيْعِ والاقْتِضاء" [٢].

ثانيا: الرحمة في اللغة والاصطلاح: من الفعل رحم، وقد عرفه ابن فارس فقال: رَحِمَ: الرَّاءُ وَالْحَاءُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الرِّقَّةِ وَالْعَطْفِ وَالرَّأْفَةِ. يُقَالُ مِنْ ذَلِكَ رَحِمَهُ يَرْحَمُهُ، إِذَا رَقَّ لَهُ وَتَعَطَّفَ عَلَيْهِ. وَالرُّحْمُ وَالْمَرْحَمَةُ والرَّحْمَةُ" [٣].

ولكن أن يكون هناك مساحة للتجاوز والرحمة في الغزوات والحروب فهذا أمر مهم، ويجدر التوقف عند مواقفه، ومنها ما هو رحمة القيادة بجندها، والتجاوز عن أخطاء معينة وفن التعامل معهم، والشفعة مع الخصم، وفي هذا المبحث مطلبان هما:

المطلب الأول: التجاوز بديل للعتاب مع الجند

جرت العادة في الميدان الحربي على الخشونة في التعامل، والأمر العسكري ينفذ بدون مناقشة، ولكن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان قائدًا عسكريًا حكيمًا، وكان ذا لباقة وحكمة في الميدان، وقد حدثت حادثة تنم عن مدى رأفته بأصحابه- رضي الله عنهم- ورحمة قيادته

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ مَا قِيلَ فِي قِتَالِ الرُّومِ، (ج٤/ ص٤٢)، ح٢٩٢٤.
(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور، (ج٥/ ص٣٢٨).
(٣) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (ج٢/ ص٤٩٨).

على جنده الأطهار، كما رُوي عَنْ الصحابي الجليل عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو- رضي الله عنهما-، قَالَ: "حَاصَرَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَهْلَ الطَّائِفِ، فَلَمْ يَنَلْ مِنْهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ: " إِنَّا قَافِلُونَ إِنْ شَاءَ اللهُ "، قَالَ أَصْحَابُهُ: نَرْجِعُ وَلَمْ نَفْتَتِحْهُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: " اغْدُوا عَلَى الْقِتَالِ "، فَغَدَوْا عَلَيْهِ، فَأَصَابَهُمْ جِرَاحٌ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: " إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا"، قَالَ: فَأَعْجَبَهُمْ ذَلِكَ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-" [1].

وفي حصار الطائف استعصى أحد الحصون على المسلمين فأشفق بهم رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، وقد وضح القرطبي ما حدث، فقال: "وكان النبي- صلى الله عليه وسلم- لما رأى جدهم وامتناعهم قال لأصحابه: إنا قافلون غدًا إن شاء الله؛ على جهة الرحمة بهم، والشفقة عليهم، فعظم عليهم أن يرجعوا ولم يفتحوا ذلك الحصن.

ورأوا أن هذا العرض من النبي- صلى الله عليه وسلم- على جهة المشورة"[2]، فلم يكن الأمر معصية لأمر النبي- صلى الله عليه وسلم-، بل ظنوا أنه من باب المشورة، فأمرهم أن يكملوا القتال، وعند تعاظم الجراح أشفق بهم فأمرهم بالرجوع غدًا، فسُروا بذلك لما أصابهم من جراح، وفي الحديث فائدة فقهية ذكرها القرطبي في المفهم: "وفيه من الفقه: جواز محاصرة العدو، والتضييق عليهم، الإمام أصحابه، وعرضه عليهم ما في نفسه، وسلوكه بهم طريق الرفق والرحمة"[3].

وضحك النبي –صلى الله عليه وسلم- دليل على تجاوز العتاب منه لصحابته الكرام.

المطلب الثاني: الدعاء بالرحمة للخصم

الرحمة والرأفة عادة ما يكون مع الأصدقاء والأحباب والمقربين، لكن أن يكون مع الأعداء والمتخاصمين فهذا شيء مغاير للعادة، وكثيرًا ما كان النبي- صلى الله عليه وسلم- يشفق على أمته، ويشفق على الناس من عذاب أليم، وقد ورد عن النبي- صلى الله عليه

([1]) صحيح مسلم، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ غَزْوَةِ الطَّائِفِ، (ج٣/ ص١٤٠٢)، ح٨٢ - (١٧٧٨).
([2]) انظر: المُفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس القرطبي، (ج٣/ ص٦٢٥).
([3]) انظر: المرجع السابق، (ج٣/ ص٦٢٥).

وسلم– قصته المشهورة مع الغلام اليهودي الذي كان يخدم رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، ولمّا أسلم الغلام في مرضه الذي مات فيه ورسول الله– صلى الله عليه وسلم– عند رأسه " فَخَرَجَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَهُوَ يَقُولُ: "الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ" [١]، هذا في السلم والحل ولكن في الحرب أيضًا الرأفة والرفق لم تغادر نهج النبي– صلى الله عليه وسلم–، وقد ورد عَنْ أَنَسٍ– رضي الله عنه–، " أَنَّ رَسُولَ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ [٢] عَنْهُ، وَيَقُولُ: كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ؟، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾. [آل عمران: ١٢٨] " [٣].

رسول الله– صلى الله عليه وسلم– شجت رأسه ويسيل الدم على وجهه الكريم ويمسحه، وفي خضم هذا المشهد المفجع لم ينتبه النبي– صلى الله عليه وسلم– لجرحه ولا لدمه الذي يغطي وجهه، بل كان همه أمته وهمه قومه الذين كفروا بالله، ويتمنى لو يؤمنوا رفقا بهم ورأفة لحالهم، وقد صوّر هذا المشهد الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود– رضي الله عنه– قال: "كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ" [٤].

هذا الدعاء بالرحمة والمغفرة لقومه الذين أدموه وجرحوه لهو قيمة حضارية عالية في تعامل النبي –صلى الله عليه وسلم– مع خصومه.

المبحث الرابع: التقدير والاحترام

التقدير والاحترام من القيم الحضارية التي تقوي جسور الثقة بين القيادة الحكيمة والجند في الميدان، والتقدير في اللغة كما بينه ابن فارس: " قَدَرَ: الْقَافُ وَالدَّالُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ،

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كِتَابُ الجَنَائِزِ، بَابُ إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ، هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَهَلْ يُعْرَضُ عَلَى الصَّبِيِّ الإِسْلاَمُ (ج٢/ ص٩٤)، ح ١٣٥٦.

(٢) يَسْلُتُ الدَّمَ: مسحه، وأزاله عنه. انظر: المفاتيح في شرح المصابيح، للشيرازي، (ج٦/ ص١٧٢).

(٣) صحيح مسلم، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ غَزْوَةِ أُحُدٍ، (ج٣/ ص١٤١٧)، ح١٠٤ – (١٧٩١).

(٤) صحيح البخاري، كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ حَدِيثِ الغَارِ، (ج٤/ ص١٧٥)، ح٣٤٧٧.

يَدُلُّ عَلَى مَبْلَغِ الشَّيْءِ وَكُنْهِهِ وَنِهَايَتِهِ، فَالْقَدْرُ: مَبْلَغُ كُلِّ شَيْءٍ، يُقَالُ: قَدْرُهُ كَذَا، أَيْ مَبْلَغُهُ، وَكَذَلِكَ الْقَدَرُ، وَقَدَرْتُ الشَّيْءَ أَقْدِرُهُ وَأَقْدُرُهُ مِنَ التَّقْدِيرِ" [1]، فالتقدير يبعث في النفس الطمأنينة والثقة بالنفس والاحترام يعلم الأخلاق واللباقة وحسن السلوك، وفي هذا المبحث مطلبان:

المطلب الأول: احترام رأي الجند

احترام النبي– صلى الله عليه وسلم– للجند في الحرب، والاعتبار برأيهم، والأخذ بقولهم لهذا من مبادئ الإسلام، وذلك مثل ما حدث مِن أخذه برأي الحباب بن المنذر– رضي الله عنه– في تخيّر مكان نزول الجيش، ورأي سعد بن معاذ– رضي الله عنه– في بناء العريش؛ واستشارة أصحابه– رضي الله عنهم– في القتال، لما علم بخروج قريش في جموعها، وفي الأسارى أيقتلون أم يفادون.

وكان الرسول– صلى الله عليه وسلم– يوزع الألقاب على الصحابة– رضي الله عنهم– من وسط صليل السيوف، وفي دوران رحى الحرب في الميدان، تقديرًا لهم واحترامًا لجهدهم وجهادهم، كما روي عن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله– رضي الله عنهما– قوله: " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَوْمَ الأَحْزَابِ: " مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ القَوْمِ"، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ: "مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ القَوْمِ"، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ: " مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ القَوْمِ"، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا، ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيَّ [2]، وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ" [3]. لمّا عرض النبي– صلى الله عليه وسلم– ثلاثًا المهمة على الصحابة– رضي الله عنهم– والزبير بن العوام في الثلاث يعرض نفسه لهذه المهمة، فيستحق لقبًا بمعنى أفضل الأصحاب.

([1]) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (ج٥/ ص٦٢).

([2]) حَوَارِيَّ: الخالص من الأصحاب وقيل: سمي أصحاب عيسى بذلك لشدة بياض ثيابهم. وقيل: كانوا قصارين، وكلُّ ما بيَّضْتَهُ فقد حَوَّرْتَه، قَال أبو بكر: ومعنى "حواري الزبير" أنه مختص من بين أصحابي ومفضل؛ وسمي خبز الحواري لأنه أشرف الخبز، أو لبياضه. انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن، (ج١٧/ ص٤٩١).

([3]) صحيح البخاري، كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ غَزْوَةِ الخَنْدَقِ وَهِيَ الأَحْزَابُ، (ج٥/ ص١١١)، ح٤١١٣.

وقد تنوعت الألقاب التي أطلقها النبي– صلى الله عليه وسلم– على صحابته الكرام في المعارك والغزوات تتويجًا لشجاعتهم واحترامًا لجهادهم وتفانيهم في الجهاد في سبيل الله، وهذ الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص– رضي الله عنه– يخبر ويَقُولُ: "نَثَّلَ[1] لِي النَّبِيُّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كِنَانَتَهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي" [2].

أن يجمع النبي – صلى الله عليه وسلم– والديه لرجل من الصحابة– رضي الله عنهم–، ويفدي بهما، فلم تقل لأحد قبل سعد، وهذا الاحترام الكبير يدل على مدى احترام النبي د– صلى الله عليه وسلم–، وتقديره له ومعنى فداك أبي وأمي كما وضحها ابن الملقن: "ارم فداك أبي" أو "فدتك أمي" وهي كلمة تقال للتبجيل ليس على الدعاء ولا على الخبر" [3].

المطلب الثاني: تقدير الخصم بما يناسبه

بعد بدء المعركة لا يكون للخصم في القتال إلا القتل أو الجرح أو الأسر، ولكن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– يعامل الخصوم وفق ما يراه مناسبًا لهم، ويرى من يكون خصمًا دائمًا للإسلام مهما فعل ومهما حدث، ومنهم من هو لين في الخطاب أو القول، ومن المؤلفة قلوبهم ممن يرجى إسلامهم فتعامله هنا يختلف في المعركة، بدون أن يكون شاهرًا سلاحه نحو رقاب المسلمين ودمائهم.

وهذه القيم الحضارية العالية تتناقلها الأجيال جيلًا بعد جيل، كما روي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَبَاحٍ، قَالَ: "وَفَدْنَا إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَفِينَا أَبُو هُرَيْرَةَ، فَكَانَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا يَصْنَعُ طَعَامًا يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ، فَكَانَتْ نَوْبَتِي، فَقُلْتُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، الْيَوْمُ نَوْبَتِي، فَجَاءُوا إِلَى الْمَنْزِلِ وَلَمْ يُدْرِكْ طَعَامُنَا، فَقُلْتُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، لَوْ حَدَّثْتَنَا عَنْ رَسُولِ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حَتَّى يُدْرِكَ طَعَامُنَا، فَقَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَوْمَ الْفَتْحِ...، فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ:

([1]) نَثَّلَ: أَي اسْتَخْرج مَا فِيهَا مِنَ السِّهام. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (ج٥/ ص١٦).

([2]) صحيح البخاري، كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلاَ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ﴾. [آل عمران: ١٢٢]، (ج٥/ ص٩٧)، ح٤٠٥٥.

([3]) انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن، (ج١٧/ ص٤٩١).

يَا رَسُولَ اللهِ، أُبِيحَتْ خَضْرَاءُ قُرَيْشٍ، لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ، ثُمَّ قَالَ: " مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ"[1]، يدل الحديث على مدى أهمية الموقف وما تبعه من قيم حضارية عظيمة في غزوة فتح مكة، وهي مفصل تاريخي مهم في العمل الإسلامي، وكيف النبي– صلى الله عليه وسلم– تعامل مع الموقف في هلع أبي سفيان– رضي الله عنه– عندما رأى هلاك قريش ورأى قوة الجيش المسلم، وقد علق ابن رسلان على هذا الموقف فقال: "أبيحت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم ومعنى أبيحت: استؤصلت بالقتل فلا وجود لقريش بعد هذِه الوقعة، وذلك لما رأى أبو سفيان من هول الأمر والغلبة والقهر والاستيلاء عليهم"[2]، وقدر النبي– صلى الله عليه وسلم– هلع أبي سفيان– رضي الله عنه– مع أنه أسلم قبيل هذا الموقف وجعل له قدرًا بين قومه بجعل بيته أمنا آمنا لهم من القتل ما داموا ألقوا السلاح.

المبحث الخامس: الاهتمام والمتابعة

من أعظم الوسائل في شحذ الهمم، ومن القيم الحضارية العالية والمطلوبة بقوة في ميدان المعركة هو بناء الثقة والشعور من قبل الجند بالثقة من القيادة، والشعور من القيادة بثقة الجند فيهم، وهذا يتحقق أولاً بالاهتمام الحقيقي بالجند والمتابعة المباشرة في الميدان، فالجند لا يذهبوا في الميدان لملاقاة مصيرهم لوحدهم بدون اهتمام ومتابعة وحرص عليهم، وقد أوردت في هذا المبحث ثلاثة مطالب، وهي:

المطلب الأول: اهتمام القيادة بالجند

المتابعة من النبي– صلى الله عليه وسلم– للجند في الغزوات والسرايا التي يبعثها سواء كان في الميدان معهم مشاركًا لهم في القتال، أو خارج الميدان لم تنقطع المتابعة بما أعطاه الله– عزّ وجل– من حواس وقدرة خاصة يستخدمها في متابعة الجند والحرص عليهم، كما حدث في غزوة مؤتة برواية الصحابي الجليل أَنَس بْن مَالِكٍ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، قَالَ: " قَالَ النَّبِيُّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:" أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ

([1]) صحيح مسلم، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ فَتْحِ مَكَّةَ، (ج٣/ ص١٤٠٧)، ح ٨٦ – (١٧٨٠).
([2]) انظر: شرح سنن أبي داود، لابن رسلان، (ج١٣/ ٨٦ص).

بْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ- وَإِنَّ عَيْنَيْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَتَذْرِفَانِ-، ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ مِنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ فَفُتِحَ لَهُ" [1].

المتابعة والاهتمام من النبي- صلى الله عليه وسلم-، لجنده في ميدان المعركة بعد أن كشف الله- عزّ وجل- له الحجاب ما بين المدينة والشام، وهو يخبر الصحابة- رضي الله عنهم- وينعى قادة جيشه الأوفياء من الصحابة الأخيار، ويبكي عليهم بكاء الحزن للفراق ويبشر بدخولهم الجنة، هذه المتابعة والبكاء دليلان على قيمة حضارية عالية تكمن في وجدان النبي- صلى الله عليه وسلم- متابعته ميدان الجهاد بالنظرة المتفحصة، ثم بالاستغفار لهم والدعاء لهم، ثم بكاءه عليهم حزنًا لفراق الأحبة منهم.

المطلب الثاني: مشاركة الميدان مع الجند

مشاركة القيادة في المعارك، وخصوصًا المعارك الكبرى التي تشكل خطرًا على الأمة يتوجب المشاركة لما فيها من قيمة حضارية عالية تتمثل في وحدة القيادة والجند ومشاركتهم في المصير، وبناء الجيل والدولة الحضارية التي يدافعون عنها بدمائهم وأجسادهم في سبيل الله تعالى، وأن القيادة تشارك بمضاعفة المجهود، وبذل المستطاع لتثبيت الجند في الميدان حتى في أحلك الظروف، لأنَّ هذا الطريق لا يشقه إلا المخلصون بالتعاون، والتكاتف في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى، كما حدّث سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، وقَالَ: " رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ أُحُدٍ، وَمَعَهُ رَجُلاَنِ يُقَاتِلاَنِ عَنْهُ، عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، كَأَشَدِّ القِتَالِ مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلاَ بَعْدُ" [2].

كان النبي- صلى الله عليه وسلم- من أشجع الناس، وأكثرهم إقدامًا على الحروب، ولكن في غزوة أحد لما انكشف جيش المسلمين، وحدث فيه اضطرابا تجمع بعض الصحابة- رضي الله عنهم- لحماية النبي- صلى الله عليه وسلم- من الكفار وضرباتهم، وكان حول النبي- صلى الله عليه وسلم-، رجلين يقاتلان عنه هما جبريل وميكائيل، كما ورد عند الإمام

([1]) صحيح البخاري، كِتَابُ الجَنَائِزِ، بَابُ الرَّجُلِ يَنْعَى إِلَى أَهْلِ المَيِّتِ بِنَفْسِهِ، (ج٢/ ص٧٢)، ح١٢٤٦.
([2]) صحيح البخاري، كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلاَ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ﴾. [آل عمران: ١٢٢]، (ج٥/ ص٩٦)، ح٤٠٥٤.

مسلم[1]، وقتالهم مدافعة وحماية وكرامة للنبي– صلى الله عليه وسلم– لا يخرج عن عادة قتال رجل كما هو موضح في الكوكب الوهاج: "وقتال الملائكة للكفار يوم بدر ويوم أحد لم يخرج عن عادة القتال المعتاد بين الناس، ولو أذن الله تعالى لملك من أولئك الملائكة بأن يصيح صيحة واحدة لهلكوا في لحظة واحدة، أو لخسف بهم موضعهم، أو أسقط عليهم قطعة من الجبل المطل عليهم"[2].

وهذا الجانب مهم في إبراز شجاعة النبي– صلى الله عليه وسلم– في الميدان، وأنَّه لم يغادر الميدان، ولم يفر من المعركة، وثبت في ميدان الحرب، وهذه قيمة حضارية عظيمة فقد عُرف عن الملوك وأصحاب المناصب والأوسمة منهم الفرار من الميدان وترك الجند يلاقوا حتفهم، وهذا لم يكن من قيم النبي– صلى الله عليه وسلم–، وكثير من الوقائع في السير تثبت شجاعة النبي– صلى الله عليه وسلم– ووجوده في ميدان المعركة مؤازرةً ومشاركةً ودفاعًا ومقاتلاً في سبيل الله.

المطلب الثالث: مداواة الجرحى

لم يهمل النبي – صلى الله عليه وسلم– مداواة الجرحى والاهتمام بهم حتى من وسط ميدان القتال كان النبي– صلى الله عليه وسلم– يولي هذه القيمة الحضارية العالية اهتمامًا بالغًا، ولقد روت أم المؤمنين عَائِشَةَ– رضي الله عنها–، فقَالَتْ: "أُصِيبَ سَعْدٌ يَوْمَ الخَنْدَقِ فِي الأَكْحَلِ[3]، فَضَرَبَ النَّبِيُّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– خَيْمَةً فِي المَسْجِدِ، لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ فَلَمْ يَرُعْهُمْ[4]، وَفِي المَسْجِدِ خَيْمَةٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ، إِلَّا الدَّمُ يَسِيلُ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا أَهْلَ الخَيْمَةِ، مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِينَا مِنْ قِبَلِكُمْ؟ فَإِذَا سَعْدٌ يَغْذُو جُرْحُهُ دَمًا، فَمَاتَ فِيهَا" [5]، لما أصيب سعد بن معاذ–

([1]) انظر: صحيح مسلم، كتاب الْفَضَائِلِ، بَابٌ فِي قِتَالِ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ، (ج٤/ ص١٨٠٢)، ح٤٦ – (٢٣٠٦).

([2]) انظر: الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم، لمحمد الأمين الهَرَري، (ج٢٣/ ص١٠٥).

([3]) الأَكْحَلُ: عِرْق فِي وَسَطِ الذِّرَاعِ يَكْثُرُ فَصْدُهُ. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (ج٤/ ص١٥٤).

([4]) فَلَمْ يَرُعْهُمْ: يفزعهم. انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن، (ج٥/ ص٦٠٣).

([5]) صحيح البخاري، كِتَابُ الصَّلاَةِ، بَابُ الخَيْمَةِ فِي المَسْجِدِ لِلْمَرْضَى وَغَيْرِهِمْ، (ج١/ ص١٠٠)، ح ٤٦٣.

رضي الله عنه– في عرق في يده يوم غزوة الخندق، جعل النبي– صلى الله عليه وسلم– له خيمة في المسجد، وقد كانت الخيام في ذلك الوقت لمداواة الجرحى في الحرب، وكما ذكر صاحب المصابيح: "فضرب النبي– صلى الله عليه وسلم – خيمة في المسجد: ذكر ابن سعد في الطبقات: أنه –عليه الصلاة والسلام– أمر أن يجعل في خيمة رُفَيْدَةَ الأَسلَمية، وفي "الروض الأنف": وذكر رفيدة، وهي امرأة من أسلمَ، كان سعد يُمَرَّض في خيمتها" [1]، ولما أطلق على الخيمة خيمة بني غفار، لكن هي خيمة رفيدة فقد أزال ابن حجر هذا الاشكال فقال: "خيمة من بني غفار: هِيَ خيمة رفيدة الأسْلَمِيَّة نزلها قوم من بني غفار"[2].

والغاية من نصب الخيمة ليس فقط المداواة من الجراح، بل الاطلاع على والاهتمام بهم وعيادتهم للاطمئنان عليهم مثلما كان مع الصحابي الجليل سعد بن معاذ– رضي الله عنه–، وقد اجتهد الشراح في استنباط الفوائد من هذه القيمة الحضارية العظيمة منهم: ابن بطال، قال: "وفيه: أن السلطان أو العالم إذا شق عليه النهوض إلى عيادة مريض يزوره ممن يهمه أمره، أن ينقل المريض إلى الموضع الذي يخف عليه فيه زيارته ويقرب منه" [3].

ومن الفوائد– أيضًا– ما ذكره صاحب ذخيرة العقبي، فقال: "ما كان عليه النبي– صلى الله عليه وسلم – من حسن الخلق، وشدة الرأفة بأصحابه، ومنها: مشروعية عيادة المريض، ومنها: جواز ترك المريض في المسجد، وإن كان في ذلك مظنة" [4].

المبحث السادس: المحافظة على الجانب الروحي والديني

الجانب المادي مهم إبرازه بصورة حسنة أمام الناس، وهذا ما جبلت عليه بعض طباع الناس مثل الإنفاق والكرم والجود، ولكن ينبغي ألّا يغفل المسلم إبراز الجانب الروحي والديني

([1]) الأَكْحَلُ: عِرْق فِي وَسَطِ الذِّرَاعِ يَكْثُرُ فَصْدُهُ. انظر: مصابيح الجامع، لبدر الدين الدماميني، (ج٨/ ص٤٣).

([2]) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، (ج١/ ص٢٦٠).

([3]) انظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال، (ج٢/ ص١١١).

([4]) انظر: ذخيرة العقبى في شرح المجتبى، محمد بن الشيخ الوَلَّوِي، (ج٨/ ص٦٩٧).

لتعليمه للناس، وبيان مدى أهميته في حياة المسلم، وهو من أهم ما يُبنى عليه من قيم حضارية وأخلاقية في حياة المسلم.

لذلك كان له جانب مهم في القيم التي دعا إليها النبي– صلى الله عليه وسلم–، وحث الصحابة الكرام عليها، ولم تنقطع لا في السلم ولا في الحرب، بل كانت حاضرة ولكن تختلف باختلاف الحال في أدائها وتمامها، وقد اشتمل هذا المبحث على مطلبين هما:

المطلب الأول: الحرص على أداء الصلاة

الصلاة منها الفريضة ومنها النافلة، والفريضة لا تسقط في الحروب بحسب حال المقاتل مما يتبع في أمور الفقه المتخصصة في هذا الجانب، وصلاة الفريضة من شدة أهميتها لم تفرض بواسطة بين الله تعالى وبين نبيه– صلى الله عليه وسلم–، فكانت في الإسراء والمعراج، ولم يتخل المسلمون عنها وحافظوا عليها في المعارك، ولكن بهيئات تناسب حال القتال مثلما صلاة الخوف في المعركة وقد سئل الامام الزُّهْرِيِّ، "هَلْ صَلَّى النَّبِيُّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– صَلاَةَ الخَوْفِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَالِمٌ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–، قَالَ: غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قِبَلَ نَجْدٍ، فَوَازَيْنَا العَدُوَّ، فَصَافَفْنَا لَهُمْ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يُصَلِّي لَنَا، فَقَامَتْ طَائِفَةٌ مَعَهُ تُصَلِّي وَأَقْبَلَتْ طَائِفَةٌ عَلَى العَدُوِّ، وَرَكَعَ رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِمَنْ مَعَهُ وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا مَكَانَ الطَّائِفَةِ الَّتِي لَمْ تُصَلِّ، فَجَاءُوا، فَرَكَعَ رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِهِمْ رَكْعَةً وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ، فَقَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَرَكَعَ لِنَفْسِهِ رَكْعَةً وَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ"[1].

حتى في تراص الصفوف، والعدو مقابلًا لهم يستعد للقتال لم تسقط الصلاة، ولكن أُديت بطريقة تناسب حال الميدان وساحة القتال بالكيفية المذكورة في الحديث، هذا الجانب الديني المهم الذي حافظ عليه النبي– صلى الله عليه وسلم– يبنى عليه كثير في نفس المقاتل المسلم، منها زيادة التقرب إلى الله، ومنها استحضار الخشوع والخوف من الله وطلب النصر والتمكين من الله، كل هذه تدفع باتجاه أن يكون القتال كما فرض له في الإسلام ليس للقتل، بل لإفساح

([1]) صحيح البخاري، أَبْوَابُ صَلاَةِ الخَوْفِ، باب...، (ج٢/ ص١٤)، ح ٩٤٢.

الطريق للدعوة إلى بعيدًا عن همجية الجيوش التي نراها، وعن الدمار الذي يحل بلا هدف ولا غاية إلا تعذيب الناس وملاحقتهم في حقوقهم وواجباتهم.

المطلب الثاني: الحرص على قضاء الصلاة

هذه القيمة الحضارية العظيمة التي زرعها النبي– صلى الله عليه وسلم– في سلوك الصحابة الكرام، والتي هي عنوانها تعزيز الجانب الديني الذي يقّوم كافة سلوكيات النفس ويهذبها ويذكرها بربها، وعدم البطش ولا البغي على الناس، بل حب إخراج الناس من الظلمات إلى النور لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وهذا ما ظهر في يوم الخندق مما رواه الصحابي الجليل جَابِر بْن عَبْدِ اللَّهِ– رضي الله عنهما–: "أَنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– جَاءَهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ يَوْمَ الخَنْدَقِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ: مَا كِدْتُ أَنْ أُصَلِّيَ، حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ تَغْرُبُ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا أَفْطَرَ الصَّائِمُ، فَقَالَ النَّبِيُّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: " وَاللَّهِ مَا صَلَّيْتُهَا" فَنَزَلَ النَّبِيُّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَى بُطْحَانَ[1]، وَأَنَا مَعَهُ، فَتَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى – يَعْنِي العَصْرَ – بَعْدَ مَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى بَعْدَهَا المَغْرِبَ" [2].

هذه القيمة الحضارية العظيمة التي تشبعت بها نفوس الصحابة وأصبحت شغلهم الشاغل فيها والتي لم يلههم عنها ميدان الحروب، وإن حدث فلا تسقط بل يسارعوا لأدائها مع تحمل وزرها على الكافرين أعداء الدين وأعداء الإنسانية والحضارة، وهذا ما جعل الصحابي الجليل عمر بن الخطاب– رضي الله عنه–، يسارع إلى النبي– صلى الله عليه وسلم– شاكيًا إليه فوات الصلاة في المعركة بسبب المشركين فيوجهه النبي– صلى الله عليه وسلم– نحو الكيفية في قضاء الفائتة وأداء الحاضرة.

([1]) بُطْحَانَ: وهو واد بالمدينة، وهو أحد أوديتها الثلاثة، وهي العقيق وبطحان وقناة. انظر: معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الرومي، (ج١/ ص٤٤٦).

([2]) صحيح البخاري، كِتَابُ الأَذَانِ، بَابُ قَوْلِ الرَّجُلِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا صَلَّيْنَا، (ج١/ ص١٣٠)، ح٦٤١.

الفصل الثالث:

القيم الحضارية ما بعد الغزوة وآثارها

الفصل الثالث: القيم الحضارية ما بعد الغزوة وآثارها

القيم الحضارية في الغزوات والمعارك في الإسلام تتشابه مع بعضها، وتختلف مع الأخريات بحسب حال الميدان ما قبل وأثناء وما بعد الغزوات، ولعل ما يبرز ويتجلى من القيم الحضارية المرتبطة بالغزوات والحروب هي القيم التي حدثت بعد انتهاء المعركة سواء كانت بعد المعركة مباشرة أو بفاصل قصير أو طويل الأمد، لكن تتبع في حدوثها هذه الغزوة أو المعركة، وقد اشتمل هذا الفصل على عشرة مباحث، وهي:

المبحث الأول: حرية التعبير والمشاورة والسؤال

من القيم الحضارية السامية التي تحافظ على مكانة الانسان في السلم، وتتجدد هذه القيم في الحروب، ويكون لها مكانة طبيعية في الجيش، فإن ذلك يدل على مدى قيمة هذا الجيش وحضارية جنده وقيادته، والتي كادت ان تختفي في جيوش اليوم التي تمنع النقاش وتجعل من الجندي مجرد أداة يتلاعب بها ويتحكم بها بلا مشاعر ولا تقدير، فكان النبي– صلى الله عليه وسلم– المعلم والقائد مما أعطى مكانة خاصة له عند صحابته الكرام التي ما يجدوا خوفًا ولا هلعًا في طرح ما يخطر عليهم من سؤال وتعبير ومشاورة الأمر الذي أدى لتكاتف الجهود ووحدة العمل في سبيل الله، وقد تفرع من هذا المبحث خمسة مطالب، وهي:

المطلب الأول: مشاورة القائد للجند

الشورى وأخذ رأي الآخرين وعرضه بين أهل الحل والعقد هو من أساسيات وسياسات العمل في الدولة الإسلامية التي أسس لها رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، وكانت حاضرة بقوة عقب انتهاء الغزوات كما هي قبل بداية الغزوات، وهي قيمة حضارية عالية في توزيع الآراء والأفهام والتعليقات مما تُرك للمسلمين الاجتهاد فيه واختيار الأحسن والأصلح لهم، مما يقلل نسبة الخطأ في التخطيط والتنفيذ، ويروي أمير المؤمنين عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ– رضي الله عنه– أنه: " لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ،

وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ...، فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ، قَالَ أَبُو زُمَيْلٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَلَمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَى، قَالَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: مَا تَرَوْنَ فِي هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى؟، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللهِ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟، قُلْتُ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ، فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ ..." [1].

فحوى الخطاب الذي دار بين النبي- صلى الله عليه وسلم- وصحابته الكرام، وطريقة المحاورة المجدية والمفيدة في احترام متبادل لجميع الآراء المختلفة والمتضادة، وتقبل الصحابة- رضي الله عنهم- ميل النبي- صلى الله عليه وسلم- لرأي من الآراء بناء على معايير وضوابط، مثلما مال النبي- صلى الله عليه وسلم- للقرابة التي بين الأسرى من قريش والمهاجرين، والاستفادة من أموال الفدية التي ستكون في قتال الكافرين قوة لهم وعونًا في تجهيز الجيوش، وهو ما وضحه القرطبي، فقال: "وقوله- صلى الله عليه وسلم- لأصحابه: ما ترون في هؤلاء الأسارى؛ يدل على أنه -صلى الله عليه وسلم -ما كان أوحي إليه في أمرهم بشيء، فاستشارهم لينظروا في ذلك بالنظر الأصلح، فاختلف نظر أبي بكر وعمر. فمال أبو بكر إلى الإبقاء طمعًا في إسلامهم، وإلى الفداء ليكون ذلك قوة عليهم. ومال عمر إلى القتل محقًا للكفر، وقصاصًا منهم، وردعًا لأهله، فمال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إلى ما قال أبو بكر

([1]) صحيح مسلم، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ الْإِمْدَادِ بِالْمَلَائِكَةِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَإِبَاحَةِ الْغَنَائِمِ، (ج٣/ ص١٣٨٤)، ح٥٨ - (١٧٦٣).

على مقتضى رأفته ورحمته بالمؤمنين؛ ليتقووا على عدوهم، وعلى مقتضى حرصه على إيمان من أسر منهم، وكل من النظرين له أصول تشهد بصحته" [1].

هذه القيمة الحضارية العالية في المشورة الحقيقة التي تسهم في اشراك الجميع في القرار وتنفيذه وعدم سيطرة الواحد على الكل لهو مما يدفع بعجلة التقدم الحضاري للأمام.

المطلب الثاني: مشاورة الجند للقائد

طبيعة تكوين الانسان فيها الجسدية، وفيها الروحية، وهي بحاجة لموازنة ما بينهما، وهذا ما كان واضحًا في هدي النبي- صلى الله عليه وسلم- في تعلميهم عند سؤالهم، وهذا العلم بحاجة إلى الحب، فلولا محبة الصحابة للنبي- صلى الله عليه وسلم- ما جاءوا لسؤاله عن جانب من جوانب حياتهم سواء في الجماع أو في أمور حياتهم كالتجارة أو البيع أو الشراء، ويبحثون عما يحققوا به أكثر من جانب من جوانب الحياة بما لا يخالف شرع الله تعالى، وكما روي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ، عَنِ ابْنِ مُحَيْرِيزٍ، أَنَّهُ قَالَ: "دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَرَأَيْتُ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَسَأَلْتُهُ عَنِ العَزْلِ[2]، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: "خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فِي غَزْوَةِ بَنِي المُصْطَلِقِ، فَأَصَبْنَا سَبْيًا مِنْ سَبْيِ العَرَبِ، فَاشْتَهَيْنَا النِّسَاءَ، وَاشْتَدَّتْ عَلَيْنَا العُزْبَةُ وَأَحْبَبْنَا العَزْلَ، فَأَرَدْنَا أَنْ نَعْزِلَ، وَقُلْنَا نَعْزِلُ وَرَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَيْنَ أَظْهُرِنَا قَبْلَ أَنْ نَسْأَلَهُ، فَسَأَلْنَاهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لاَ تَفْعَلُوا، مَا مِنْ نَسَمَةٍ كَائِنَةٍ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ إِلَّا وَهِيَ كَائِنَةٌ" [3].

المعنى العام من الحديث هو حيرة الصحابة-رضي الله عنهم-، في السبايا هل يجعلونهن للمتعة أم للفداء والبيع وكسب المال؟، لأنَّ الأمة إن حملت فلا يجوز بيعها، وبالتالي

([1]) انظر: المُفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس القرطبي، (ج٣/ ص٥٧٨).

([2]) العَزْل: «تلك الْمَوْءُودَةُ الصُّغْرى» جَعَل العَزْل عَنِ الْمَرْأَةِ بمَنْزلة الْوَأْدِ، إِلَّا أَنَّهُ خَفِيٌّ؛ لأَنَّ مَن يَعْزِل عَنِ امْرَأَتِهِ إِنَّمَا يَعْزِل هَرَباً مِنَ الوَلَد، وَلِذَلِكَ سَمَّاه الْمَوْءُودَةُ الصغرى. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (ج٥/ ص١٤٣).

([3]) صحيح البخاري، كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ غَزْوَةِ بَنِي المُصْطَلِقِ، مِنْ خُزَاعَةَ، وَهِيَ غَزْوَةُ المُرَيْسِيعِ، (ج٥/ ص١١٦)، ح٤١٣٨.

يذهب عليه الفداء، كما وضحه ابن بطال، فقال: "وأما قولهم: وأحببنا الفداء وأردنا أن نعزل، فقد استدل به جماعة من العلماء في منع بيع أم الولد، وقالوا: معلوم أن الحمل منهن يمنع الفداء ويذهب بالثمن، والعلماء مجمعون على أنه لا يجوز بيعها وهي حامل، فإذا وضعت فهي على الأصل الذي اتفقوا عليه من منع البيع، ولا يجوز الانتقال عنه إلا باتفاق آخر" [1].

ولكن المعنى المراد من الحديث هو مسارعتهم إلى سؤال النبي– صلى الله عليه وسلم– عقب الغزوة، وما وقع بأيديهم من سبي، وكيف كان رد النبي– صلى الله عليه وسلم– لطيفًا هينًا معهم، كما وضحه صاحب بذل المجهود فقال:" فسألناه عن ذلك، فقال: ما عليكم أي لا بأسَ عليكم، أن لا تفعلوا أي ليس عليكم ضرر أن لا تفعلوا العزل" [2].

هذه القيمة الحضارية في مشاورة الجند للقائد ما كانت لتكون لولا هذا اللطف وجمال الأسلوب الذي تمتع به النبي– صلى الله عليه وسلم– مما دفع الصحابة الكرام لكسر كل حواجز الخوف والرهبة في الحضر وفي ميدان المعركة التي أضفت قيمة حضارية عالية ما بين القيادة والجند.

المطلب الثالث: قبول العرض من الخصم

التفاوض والجلوس مع الخصم بعد الانتصار عليهم وفتح حصونهم هو قيمة حضارية قد تغيب عن أذهان الناس في الواقع المؤلم اليوم، فالمنتصر اليوم لا يألو جهدًا ولا طريقًا إلا لكسر وإذلال المنهزم، لكن هذا السلوك لم يكن من نهج النبي– صلى الله عليه وسلم– مطلقًا، بل كان النبي– صلى الله عليه وسلم– يعطي سلوكًا بحسب الحال، وبحسب المنفعة التي ستعود على الإسلام والمسلمين، كما حدث بعد فتح حصون خيبر عنوة، فيما رواه الصحابي الجليل عَبْد اللَّهِ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، قَالَ: "أَعْطَى النَّبِيُّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– خَيْبَرَ اليَهُودَ: أَنْ يَعْمَلُوهَا وَيَزْرَعُوهَا، وَلَهُمْ شَطْرُ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا "[3]، وكما ورد في السير[1] أن اليهود في خيبر هم

([1]) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، (ج٧/ ص٦٠).

([2]) بذل المجهود في حل سنن أبي داود، للسهارنفوري، (ج٨/ ص١١٩).

([3]) صحيح البخاري، كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ مُعَامَلَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلَ خَيْبَرَ، (ج٥/ ص١٤٠)، ح٤٢٤٨.

من اقترح على النبي– صلى الله عليه وسلم– بعد ما افتتح حصونها عنوة على أن يزرعوا في الأرض ولهم النصف في المحصول، فهذا العرض قد قبله النبي– صلى الله عليه وسلم– بعد أن أجهدتهم خيبر بحصونها، فلم ينتقم منهم ولم يحرق بيوتهم فوق رؤوسهم، بل قبل اقتراحًا منهم، لأنّهم أخبر في الزراعة والاعتناء بالأرض.

هذه القيمة الحضارية العالية كغيرها من القيم الحضارية التي يراها العدو والصديق كانت أهلًا لأن يسود الإسلام العالم ويرى العالم حضارته وقيمه العالية.

المطلب الرابع: حرية السؤال الهادف

الحوار البناء له صور كثيرة منها حرية السؤال، وله مقدمات منها الرفق واللين في التعامل من القيادة مع الجند، وهذا يفتح أبواب الحب والتعاون وجسور التضحية والفداء، ويعطي قيمة حضارية عظيمة عند الجند في السؤال الهادف، واللجوء إلى قيادتهم الحكيمة في النصح والإرشاد، وتقديم الأفضل في الإجابات في وقت الحروب والغزوات، وفي عهد النبي– صلى الله عليه وسلم–، يأتي السؤال من الصحابة عقب انتهاء المعركة، عن تقويم سلوك أو إرشاد نحو الأفضل والأحسن، كما روت أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها–، أَنَّهَا قَالَتْ: " سُئِلَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَنْ سُتْرَةِ الْمُصَلِّي؟ فَقَالَ: مِثْلُ مُؤْخِرَةِ الرَّحْلِ" [٢]، وقد ورد في روايات أخرى أن هذه المسألة كانت في غزوة تبوك [٣]، عندما أتى هذا الرجل في الحرب يسأل عن سترة المصلي لكمال خشوعه في الصلاة، وإجابة النبي– صلى الله عليه وسلم– فلم يعنفه أن المكان والزمان غير مناسب، والأنسب السؤال بعد الفراغ والرجوع إلى الديار، بل أجابه بكل بساطة ووضح له بالمثال، وهو مؤخرة الرحل، واختياره هذا المثل لأنهم في سفر، ومن المعلوم أن ضرب المثل الصحيح يكون لشيء يراه ويعرفه السائل أو السامع، لذلك كانت هذه القيمة

([١]) انظر: السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، لأكرم ضياء العمري، (ج١/ ص٣٢٨).

([٢]) صحيح مسلم، كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ سُتْرَةِ الْمُصَلِّي، (ج١/ ص٣٥٨)، ح٢٤٣ – (٥٠٠).

([٣]) انظر: المسنَد الصَّحيح المُخَرّج عَلى صَحِيح مُسلم، لأبي عوانة، كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَيَانُ مِقْدَارِ السُّتْرَةِ الَّتِي لَا يَضُرُّ الْمُصَلِّي مَنْ يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ وَرَائِهَا...، (ج١/ ص٣٨٥)، ح١٣٩٧.

الحضارية التي أفسح النبي – صلى الله عليه وسلم– لها المجال من الصحابة الكرام في السؤال عما ينفعهم ويرتقي بهم في الدين الحنيف برغم الزمان والمكان في الحرب والغزوات.

المطلب الخامس: حرية التطوع للتجنيد

إن الجندية وحياة الجيش هي حياة تبنى على القسوة وعلى تنفيذ الأوامر والعقوبات التي قد تصل في شدتها إلى العذاب الجسدي والاهانة، كل هذا لاستمرار حالة الضبط والانضباط التي تسيطر على هاجس قادة الجيوش.

ولكن نهج النبي– صلى الله عليه وسلم– يختلف في التعامل في الجيش اختلافًا كاملاً، فالجيش هو أساس الدفاع عن حيضة الأمة، وبالتالي هذا الجيش يجب أن يشعر بالمسؤولية وتحمل الأمانة لا بالعقوبات والإهانة، لذلك كانت القيم الحضارية للنبي– صلى الله عليه وسلم– في المعارك واضحة جلية، ومنها طلب الخدمة العسكرية أثناء وعقب الغزوة بالطلب والعرض، وليس بالإختيار والإجبار، كما رواه الصحابي الجليل عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ– رضي الله عنه– ما حدث عقب غزوة الحديبية، قَالَ: "أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: مَنْ يَكْلَؤُنَا[1]، فَقَالَ بِلَالٌ: أَنَا، فَنَامُوا حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَقَالَ: «افْعَلُوا كَمَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ»، قَالَ: فَفَعَلْنَا، قَالَ: فَكَذَلِكَ فَافْعَلُوا لِمَنْ نَامَ أَوْ نَسِيَ"[2].

([1]) الكِلَاءة: الحِفْظُ والحِراسة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (ج٤/ ص١٩٤).

([2]) سنن أبي داود، كِتَاب الصَّلَاةِ، بَابٌ فِي مَنْ نَامَ عَنِ الصَّلَاةِ، أَوْ نَسِيَهَا، (ج١/ ص١٢٢)، ح٤٤٧.

سند الحديث: قال أبو داود: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ، سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي عَلْقَمَةَ، سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ، قَالَ.

تخريج الحديث: لم يخرج له أصحاب الكتب الستة، وأخرج له أحمد في مسنده، مُسْنَدُ الْمُكْثِرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ، مُسْنَدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، (ج٦/ ص١٧٠)، ح٣٦٥٧. عَنْ يَحْيَى، عَنْ شُعْبَةَ، به. (بمثله). أخرجه النسائي في الكبرى، كِتَابُ السِّيَرِ، نُزُولُ الدَّهَاسِ مِنَ الْأَرْضِ بِاللَّيْلِ، (ج٨/ ص١٣١)، ح٨٨٠٢.عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُثَنَّى، ومُحَمَّدِ بْنِ بَشَّارٍ، كلاهما، عَنْ يَحْيَى، عَنْ شُعْبَةَ، به. (بمثله).

دراسة رواة الإسناد: في إسناده:

عقب الانتهاء من الحديبية جاء النبي– صلى الله عليه وسلم– يعرض على الصحابة– رضي الله عنهم– وبدأ بقول لمن شاء أن يتطوع، ولم يجبر أحدًا، وهذه قيمة حضارية عظيمة في زرع حب المبادرة، والتطوع للقيام بمهمة هو معتقد بأهميتها يتفانى في حفظها أدائها قدر ما يستطيع.

المبحث الثاني: التعليم والمدارسة

العلم النافع لا ينقطع لا في السلم ولا في الحرب، لأنَّه من بديهيات الحياة الحضارية النافعة التي ينتفع بها المجتمع جميعًا، ومدارسة ما يحتاج إليه يدلل بقوة على عظم قيمة العلم في الغزوات، وأنها جانب مهم لا يستغنى عنه، وقد اشتمل هذا المبحث على مطالبين، وهما:

المطلب الأول: التعليم بالفعل في الغزوات

التعليم السكوتي، أو ما يعرف عند التربويين في العصر الحالي بالتعليم بالاكتشاف أو التعليم الموجه، وهو يهدف إلى إنشاء متعلمين واثقين بالنجاح، حيث يقول مؤلفا كتاب التدريس:

١–**مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ**: هو الهذلي البصري المعروف بغندر ثقة صحيح الكتاب إلا أن فيه غفلة مات سنة ثلاث أو أربع وتسعين ومائة. انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، (ص ٤٧٢/رقم٥٧٨٧). وَقَال عبد الخالق بن منصور: سمعت يحيى بن مَعِين وسئل عن غندر فقال: كان من أصح الناس كتابا، وأراد بعضهم أن يخطئه فلم يقدر عليه –كأنه يريد بذلك ثبته – وَقَال علي بن المديني: هو أحب إليّ من عَبْد الرَّحْمَن في شعبة، وَقَال أيضا: قال عَبْد الرحمن بْن مهدي: كُنَّا نستفيد من كتب غندر في حياة شعبة، وَقَال أَبُو حاتم الرازي، عَنْ مُحَمَّد بن أبان البلخي: قال عبد الرحمن بن مهدي: غندر في شعبة أثبت مني، وَقَال عبد الرحمن بن أَبي حاتم: سَأَلتُ أبي عَن غندر، فقال: كان صدوقا وكان مؤديا، وفي حديث شعبة ثقة. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، (ج٢٥/ ص٧). قلت: هو ثقة ثبت في شعبة وفي حديثنا هذا تنتفي عنه علته.
الحكم على الحديث: إسناده حسن يرتقي للصحيح لغيره، وله متابعة في مسند أحمد، وسنن النسائ الكبرى، وقال المنذري: حسن، وأخرجه النسائي في الكبرى. انظر: مختصر سنن أبي داود، للمنذري، (ج١/ ص١٤٢). وقال الهيثمي: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، (ج١/ ص٣٢٤).

"إن مساعدة الطلاب على تنمية مهارات تعلم فوري ومستديم، استدامة الحياة ذاتها، هو أفضل ما يتم إنجازه عبر تدريس موجه" [1].

ولهذا العلم فوائد كثيرة أهمها عدم إحراج المتعلم من خطأ قد فعله فيصححه أو من جاهل بالحكم فيخشى السؤال عنه والخجل، ولذلك عادة ما يكون في أمور عامة مثل الوضوء وأحكام الطهارة، كما حدّث عُرْوَةَ بْنِ المُغِيرَةِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: "كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي سَفَرٍ، فَأَهْوَيْتُ لِأَنْزِعَ خُفَّيْهِ، فَقَالَ: «دَعْهُمَا، فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ». فَمَسَحَ عَلَيْهِمَا [2].

ووردت عند أبي داود أن هذه الحالة حدثت في غزوة تبوك[3]، وهو حديث معتمد في باب الفقه حول مسألة المسح على الخفين، وهذه المسألة التعليمة التي لقنها النبي- صلى الله عليه وسلم- للصحابي الجليل المغيرة بن شعبة- رضي الله عنه- عقب انتهاء الغزوة، والتي تسمى بالاكتشاف الموجه، والتي من خلالها لاحظ الصحابي- رضي الله عنه- طريقة وضوء النبي- صلى الله عليه وسلم-، وطريقة المسح، وشروط المسح، مع أن النبي- صلى الله عليه وسلم- لم يطلب منه الانتباه، أو تعلم شيء معين هذا التعليم، وهو ما نص عليه ابن بطال في شرحه للحديث، فقال: "وهذا تعليم منه- صلى الله عليه وسلم- السبب الذي يبيح المسح على الخفين، وهو إدخاله لرجليه وهما طاهرتان بطهر الوضوء"[4]، وهذا النمط كان من قيم النبي- صلى الله عليه وسلم- والتي ما انقطعت بعذر الغزو أو الحرب.

وحتى الأذكار في الغزوات، كانت بعض منها في الغزوات ذات تعليم خاص منم طريق الغير مباشر في التعليم، كما روي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، قال:" أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ، يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الأَرْضِ ثَلاَثَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ

([1]) انظر: التدريس الموجه، كيف ننشئ متعلمين واثقين وناجحين، لدوجلاس فيشر ونانسي فراي، (ص٣٧).

([2]) صحيح البخاري، كِتَابُ الوُضُوءِ، بَابُ إِذَا أَدْخَلَ رِجْلَيْهِ وَهُمَا طَاهِرَتَانِ، (ج١/ ص٥٢)، ح٢٠٦.

([3]) انظر: سنن أبي داود، كِتَاب الطَّهَارَةِ، بَابُ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ، (ج١/ ص٣٧)، ح١٤٩.

([4]) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، (ج١/ ص٣٠٩).

عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ" [1]. لفظ الحديث يدلل على يقظة الصحابة الكرام- رضي الله عنهم- في تتبع أفعال النبي- صلى الله عليه وسلم- وأقواله في غزواته وعقب الانتهاء منها، وهذه القيمة الحضارية العالية كانت موجودة عند النبي- صلى الله عليه وسلم- في التعليم الغير مباشر أو الاكتشاف الموجه كما يطلق عليه التربويين المعاصرين، وهذا التعليم الفاعل في الغزوات يدلل على مدى أهمية العلم والتعليم لدى النبي- صلى الله عليه وسلم- وتعلم ما ينفع، وفيه سرعة ودقة ملاحظة من الصحابة- رضي الله عنهم- الذين لازموا النبي- صلى الله عليه وسلم- في غزواته، ونقلوا وتناقلوا فيما بينهم ولمن بعدهم ليكون منهجًا يحتذى به.

المطلب الثاني: التعليم بالحوار

قد يُشكل على المتعلم، بعض المسائل والحالات التي تُطرح من قبل المعلم، فلذلك وجب التنبيه عليها من خلال شرحها وتبسيطها والحوار البناء للوصول للفهم العام من خلال توصيل المعلومة بالشكل الصحيح والأسلوب السليم الذي يدفع للاقتناع والتطبيق بشكل ملائم، وهذا أمر مهم وقيمة حضارية عالية تنم عن مدى اندماج هذا النسيج الاجتماعي بين النبي- صلى الله عليه وسلم- الذي هو قائد الجيش والمعارك في الغزوات التي يخرج فيها، وبين صحابته الكرام- رضي الله عنهم- الذين هم جنده في المعركة، والتي تنقل لنا صورة حية عن القيم الحضارية التي يتمتع بها الجيش المسلم بقيادة النبي- صلى الله عليه وسلم-، وقد روى الصحابي الجليل ابن عمر- رضي الله عنهما- أَنَّهُ: "سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يَقُولُ عَامَ الفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ: إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الخَمْرِ، وَالمَيْتَةِ وَالخِنْزِيرِ وَالأَصْنَامِ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ شُحُومَ المَيْتَةِ، فَإِنَّهَا يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ، وَيُدْهَنُ بِهَا الجُلُودُ، وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ؟ فَقَالَ: لاَ، هُوَ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عِنْدَ ذَلِكَ: قَاتَلَ اللَّهُ اليَهُودَ إِنَّ اللَّهَ لَمَّا حَرَّمَ شُحُومَهَا جَمَلُوهُ، ثُمَّ بَاعُوهُ، فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ" [2].

([1]) صحيح البخاري، أَبْوَابُ العُمْرَةِ، بَابُ مَا يَقُولُ إِذَا رَجَعَ مِنَ الحَجِّ أَوِ العُمْرَةِ أَوِ الغَزْوِ، (ج٣/ ص٧)، ح١٧٩٧.

([2]) صحيح البخاري، كِتَابُ البُيُوعِ، بَابُ بَيْعِ المَيْتَةِ وَالأَصْنَامِ، (ج٣/ ص٨٤)، ح٢٢٣٦.

بعد أن عرض النبي– صلى الله عليه وسلم– بعض المحرمات من الخمر والميتة والخنزير والأصنام في البيوع، كان الأمر واضحًا إلا في مسألة بيع الميتة التي أشكلت عليهم هل التحريم متعلق فقط بالأكل أم بغيره، كما نقله الزرقاني، فقال: "وَقَالَ الْعِزُّ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ فِي أَمَالِيهِ: الْمُتَبَادَرُ إلَى الْأَفْهَامِ مِنْ تَحْرِيمِ الشُّحُومِ، إنَّمَا هُوَ تَحْرِيمُ أَكْلِهَا، لِأَنَّهَا مِنَ الْمَطْعُومَاتِ فَيَحْرُمُ بَيْعُهَا، مُشْكِلٌ لِأَنَّهُ غَيْرُ مُتَعَلِّقِ التَّحْرِيمِ، وَالْجَوَابُ أَنَّهُ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَمَّا لَعَنَ الْيَهُودَ لِكَوْنِهِمْ فَعَلُوا غَيْرَ الْأَكْلِ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْمُحَرَّمَ عُمُومُ مَنَافِعِهَا لَا خُصُوصُ أَكْلِهَا" [1].

هذا الأمر ما كان ليكون إلا في مجتمع حضاري يتمتع بقيم حضارية عالية في الشورى والحوار والاستفهام من أجل الفهم والعلم لا التعنت، وهذه القيم الحضارية المجتمعة في التعليم والمحاورة من داخل أرض ميدان المعركة عقب فتح مكة لهو قيمة حضارية عالية في العلم والمدارسة.

المبحث الثالث: الحكم والعدل

الحكم والعدل مصطلحان مترابطان متداخلان، فالحكم يلزمه العدل، والعدل لابد من حكم حتى يوجد، ولذلك قال الله– عز وجل–: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾. [النساء: ٥٨]، وقد علّق الطبري على هذه الآية الكريمة، فقال: "ويأمركم إذا حكمتم بين رعيتكم أن تحكموا بينهم بالعدل والإنصاف، وذلك حكمُ الله الذي أنزله في كتابه، وبيّنه على لسان رسوله، لا تعدُوا ذلك فتجورُوا عليهم" [2]، وقد اشتمل هذا المبحث ثلاثة مطالب، وهي:

المطلب الأول: التحكيم وفض النزاع بالحق

عند حدوث نزاع أو تصادم بين الأفراد أو الجماعات وجب على المؤمنين أو الحاكم بالإصلاح بينهم بالحق كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾. [الحجرات: ٩]، وقد عقب ابن كثير على هذه الآية، فقال: "يَقُولُ تَعَالَى آمِرًا بِالْإِصْلَاحِ

([1]) انظر: شرح الزرقاني على الموطأ، للزرقاني، (ج٤/ ص٤٩١).

([2]) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، (ج٨/ ص٤٩٤).

بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ الْبَاغِينَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ" [1]، وهذا الصلح يتضمن الحل والعقد بالعدل وفق شرع الله في التحكيم، لقوله– عز وجل–: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾. [النساء: ٥٨]، ولكن أيضًا هذه القيمة الحضارية– الحكم بالعدل والإصلاح بين الناس– لم تنقطع في ميدان القتال، فكما روى الصحابي الجليل يَعْلَى بْن أُمَيَّةَ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، قَالَ: "غَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– جَيْشَ العُسْرَةِ، فَكَانَ مِنْ أَوْثَقِ أَعْمَالِي فِي نَفْسِي[2]، فَكَانَ لِي أَجِيرٌ[3]، فَقَاتَلَ إِنْسَانًا، فَعَضَّ أَحَدُهُمَا إِصْبَعَ صَاحِبِهِ، فَانْتَزَعَ إِصْبَعَهُ، فَأَنْدَرَ[4] ثَنِيَّتَهُ، فَسَقَطَتْ، فَانْطَلَقَ إِلَى النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَأَهْدَرَ ثَنِيَّتَهُ [5]، وَقَالَ: " أَفَيَدَعُ إِصْبَعَهُ فِي فِيكَ تَقْضَمُهَا – قَالَ: أَحْسِبُهُ قَالَ – كَمَا يَقْضَمُ الفَحْلُ [6] " [7].

عندما وقعت هذه الحالة في غزوة تبوك، وحدث ما حدث اختصموا كما وردت في رواية أخرى عند مسلم [8]، وهذا يؤكد معرفتهم بأنّ القضاء والحكم بين الناس لا يزول بالحرب ولا يطبق قانون جديد أو ما يسمى قانون الطوارئ الذي يلغي الحقوق والحريات المسموح بها بحسب رغبة من يقود، بل كان الحكم موجود وذهبوا للنبي– صلى الله عليه وسلم–، وحكم بينهم بالعدل، والظاهر من الروايات أن الذي سبق للشكوى هو من سقطت ثنيته، كما وردت رواية عند مسلم وهي: " فَاسْتَعْدَى رَسُولَ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: مَا تَأْمُرُنِي؟، تَأْمُرُنِي أَنْ آمُرَهُ أَنْ يَدَعَ يَدَهُ فِي فِيكَ تَقْضَمُهَا كَمَا يَقْضَمُ الْفَحْلُ؟، ادْفَعْ يَدَكَ حَتَّى

([1]) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (ج٧/ ص٣٧٤).

([2]) فَكَانَ مِنْ أَوْثَقِ أَعْمَالِي فِي نَفْسِي: أي مكان الغزو من أحكم أعمالي في نفسي وأقواها اعتمادا عليه. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني، (ج١٢/ ص٨٤).

([3]) أَجِيرٌ: وهو الذي يخدم بالأجر. انظر: المرجع السابق، (ج١٢/ ص٨٤).

([4]) فَأَنْدَرَ: مِنْ نَدَرَ: أَيْ سَقَطَ ووَقَع. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (ج٥/ ص٣٥).

([5]) أَهْدَرَ ثَنِيَّتَهُ: أي لم تثبت له دية أي إذا عض الرجل يد غيره فنزع المعضوض يده فسقط أسنان العاض لا ضمان عليه. انظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، للكرماني، (ج١٠/ ص٩٩).

([6]) الفَحْلُ: وَالْمُرَادُ بِالْفَحْلِ الذَّكَرُ مِنْ الْإِبِلِ. انظر: نيل الأوطار، للشوكاني، (ج٧/ ص٣٣).

([7]) صحيح البخاري، كِتَابُ الإِجَارَةِ، بَابُ الأَجِيرِ فِي الغَزْوِ، (ج٣/ ص٨٩)، ح٢٢٦٥.

([8]) انظر: صحيح مسلم، كِتَابُ الْقَسَامَةِ وَالْمُحَارِبِينَ وَالْقِصَاصِ وَالدِّيَاتِ بَابُ الصَّائِلِ عَلَى نَفْسِ الْإِنْسَانِ أَوْ عُضْوِهِ، إِذَا دَفَعَهُ الْمَصُولِ عَلَيْهِ، فَأَتْلَفَ نَفْسَهُ أَوْ عُضْوَهُ، لَا ضَمَانَ عَلَيْهِ، (ج٣/ ص١٣٠٠)، ح١٨ – (١٦٧٣).

يَعَضَّهَا، ثُمَّ انْتَزِعْهَا؟" [1]، استعدى أي طلب منه النصرة وأن يحكم له بدية الثنية، ولما حكم النبي– صلى الله عليه وسلم– ببطلان دعواه وفسّر له سبب البطلان، في وقت كان قد مر فيه المسلمون من ضنك السفر ووعثائه، ومن جهد الغزوة بالرغم أنهم لم يحاربوا، لكن كانوا متجهزين للقتال، إلا أن القيمة الحضارية في العدل والحكم بين الناس لم تنقطع حتى في أشد الميادين قسوة على الفرد ألا وهي الحرب، فكانت قيمة حضارية عالية تحافظ عليها قيادة الجند لمنع انتشار الخلاف واتساع دائرة المتخاصمين وتحدث ما لا تحمد عقباه خصوصًا والسلاح في غمده، فالحمد لله على نعمة الإسلام.

والإصلاح بين الجند في ميدان المعركة على درجة عالية من الأهمية بالرغم أنّها قيمة حضارية فلها أثرها في طيب النفس وصفاء الروح وذهاب الغل والحقد ودوافع الانتقام والتحدي بين الجند في ميدان المعركة أو عند الانتهاء، لقول الله عز وجل: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾. [الأنفال: ٤٦]، لأنّ المتربصين بالأمة الإسلامية كثر ويتمنون زوال هذه النعمة، وقد روى الصحابي الجليل جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–، قَالَ: " كُنَّا فِي غَزَاةٍ [2] فَكَسَعَ [3] رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَقَالَ: مَا بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ، فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ، فَقَالَ: فَعَلُوهَا، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَقَامَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

([1]) صحيح مسلم، كِتَابُ الْقَسَامَةِ وَالْمُحَارِبِينَ وَالْقِصَاصِ وَالدِّيَاتِ بَابُ الصَّائِلِ عَلَى نَفْسِ الْإِنْسَانِ أَوْ عُضْوِهِ، إِذَا دَفَعَهُ الْمَصُولِ عَلَيْهِ، فَأَتْلَفَ نَفْسَهُ أَوْ عُضْوَهُ، لَا ضَمَانَ عَلَيْهِ، (ج٣/ ص١٣٠٠)، ح١٨ – (١٦٧٣).

([2]) قَالَ سُفْيَانُ: يَرَوْنَ أَنَّهَا غَزْوَةُ بَنِي المُصْطَلِقِ. انظر: سنن الترمذي، أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ المُنَافِقِينَ، (ج٥/ ص٤١٧)، ح٣٣١٥.

([3]) كَسَعَ: مِنَ الكَسْع: وَهُوَ ضَرْب الدُّبُر، ... «أَنَّ رجُلاً كَسَعَ رجُلاً مِنَ الْأَنْصَارِ»: أَيْ ضَرَب دُبُرَه بيَده. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (ج٤/ ص١٧٣).

وَسَلَّمَ-: دَعْهُ، لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ، وَكَانَتِ الأَنْصَارُ أَكْثَرَ مِنَ المُهَاجِرِينَ حِينَ قَدِمُوا المَدِينَةَ، ثُمَّ إِنَّ المُهَاجِرِينَ كَثُرُوا بَعْدُ" [١].

هذا الحديث له دلالة عالية وقيمة حضارية سامية في عدة فروع منها قيمة الصلح والعدل في الحكم بين الناس، ومنها وأد الفتنة وتجنيب المجتمع والجيش ويلات القتال الداخلي وخراب المجتمع وضياع الدولة والحق، وهذا ما وضحه ابن الملقن فقال: "وقوله: ما بال دعوى أهل الجاهلية؟، يقول: لا تداعوا بالقبائل ولا بالأحرار، وتداعوا بدعوة واحدة بالإسلام"[٢]، ومنها أيضًا عدم فتح الباب للمجتمعات الأخرى في الشماتة والاستهانة من المجتمع المسلم المتمثل في قوله- صلى الله عليه وسلم-: "دَعْهُ، لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ"، كما وضح القرطبي في شرحه على الحديث، فقال: " وقوله- صلى الله عليه وسلم- لعمر حين قال: دعني أضرب عنق هذا المنافق: لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه، دليل على: أن المنافقين الذين عُلم نفاقهم في عهد رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كانوا مستحقين للقتل، لكن امتنع النبي- صلى الله عليه وسلم- من ذلك؛ لئلا يكون قتلهم منفرًا لغيرهم عن الدخول في الإسلام، لأنَّ العرب كانوا أهل أنفة وكبر بحيث لو قتل النبي- صلى الله عليه وسلم- هؤلاء المنافقين لنفر من بعد عنهم، فيمتنع من الدخول في الدين، وقالوا: هو يقتل أصحابه، ولغضب من قرب من هؤلاء المنافقين، فتهيج الحروب وتكثر الفتن، ويمتنع من الدخول في الدين، وهو نقيض المقصود، فعفا النبي- صلى الله عليه وسلم- عنهم، ورفق بهم، وصبر على جفائهم وأذاهم، وأحسن إليهم حتى انشرح صدر من أراد الله هدايته، فرسخ في قلبه الإيمان، وتبيّن له الحق اليقين" [٣]، وهذه كلها من القيم الحضارية في بناء المجتمع الحضاري المعتدل.

---

(١) صحيح البخاري، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ ﴾. [المنافقون: ٦]، (ج٦/ ص١٥٤)، ح٤٩٠٥.

(٢) انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن، (ج٢٠/ ص٦٨).

(٣) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، (ج٦/ ص٥٦٢).

المطلب الثاني: المحاسبة لأمراء الجند

السواسية وإعطاء الحقوق للغير لهو من القيم الأخلاقية السامية فلا تفرد ولا دكتاتورية في العمل الإسلامي ولا في الغزوات، وكان النبي– صلى الله عليه وسلم– يحاسب أمراء الجند وقادته على تصرفاتهم.

ورد الحقوق لأهلها والأحكام ليست مقتصرة على الجند، أو بناء موازين للقوى وطبقات بين الناس كالأمم الأخرى مثل بني إسرائيل، كما أخبر النبي– صلى الله عليه وسلم–: "إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا "[1].

وهذا ما تقوم عليه القيمة الحضارية العالية وهي العدالة للجميع، ولا أحد فوق العدالة، ولا أحد فوق تطبيق القانون، وكما روى الصحابي الجليل عَوْف بْن مَالِكٍ [2]، قَالَ: "قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ حِمْيَرَ[3] رَجُلًا مِنَ الْعَدُوِّ [4]، فَأَرَادَ سَلَبَهُ [5]، فَمَنَعَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهِمْ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لِخَالِدٍ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِيَهُ سَلَبَهُ؟ قَالَ: اسْتَكْثَرْتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: ادْفَعْهُ إِلَيْهِ، فَمَرَّ خَالِدٌ بِعَوْفٍ، فَجَرَّ بِرِدَائِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ

([1]) صحيح البخاري، كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ حَدِيثِ الغَارِ، (ج٤/ ص١٧٥)، ح٣٤٧٥.

([2]) هو: عوف بْن مَالِك بْن أَبِي عوف الأشجعي يكنى أبا عَبْد الرَّحْمَن، وَيُقَال: أَبُو حَمَّاد، وقيل: أَبُو عَمْرو، وأول مشاهده خيبر، وكانت معه راية أشجع يَوْم الفتح، وسكن الشام، روى عَنْهُ: من الصحابة: أَبُو أيوب الْأَنْصَارِيّ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، والمقدام بْن معد يكرب، ومن التابعين أَبُو مُسْلِم، وَأَبُو إدريس الخولاني، وجبير بْن نفير، وغيرهم، وقدم مصر، وتوفي بدمشق سنة ثلاث وسبعين، قَالَه العسكري. انظر: أسد الغابة، لابن الأثير، حرف العين، باب العين والواو، (ج٤/ ص٣٠٠)، رقم٤١٣٠.

([3]) حِمْيَرَ: ومنازلهم باليمن بموضع يقال له حمير غربيّ صنعاء، وهم أهل غتمة ولكنة في الكلام الحميري، قال: ولذلك يقول أهل صنعاء إذا أرادوا غتميّا من أغنام بادية صنعاء هو حميريّ، يريدون من حمير بن الغوث. انظر: معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الرومي، (ج٢/ ص٣٠٧).

([4]) كان ذلك فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ. انظر: سنن أبي داود، كِتَاب الْجِهَادِ، بَابٌ فِي الْإِمَامِ يَمْنَعُ الْقَاتِلَ السَّلَبَ إِنْ رَأَى وَالْفَرَسُ وَالسِّلَاحُ مِنَ السَّلَبِ، (ج٣/ ص٧١)، ح ٢٧١٩.

([5]) سَلَبَهُ: وَهُوَ مَا يَأْخُذُهُ أحدُ القِرْنَين فِي الْحَرْبِ مِنْ قِرْنِه مِمَّا يَكُونُ عَلَيْهِ وَمَعَهُ مِنْ سِلاح وثِياب ودَابَّة وَغَيْرِهَا. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (ج٢/ ص٣٨٧).

أَنْجَزْتُ لَكَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَاسْتُغْضِبَ، فَقَالَ: لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ، لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ، هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي أُمَرَائِي؟ إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتُرْعِيَ إِبِلًا، أَوْ غَنَمًا، فَرَعَاهَا، ثُمَّ تَحَيَّنَ سَقْيَهَا، فَأَوْرَدَهَا حَوْضًا، فَشَرَعَتْ فِيهِ فَشَرِبَتْ صَفْوَهُ، وَتَرَكَتْ كَدْرَهُ، فَصَفْوُهُ لَكُمْ، وَكَدْرُهُ عَلَيْهِمْ" [1].

هذا الحديث بالمعنى العام يتناول مسألة إحقاق الحق إن خالف قائد الجند أمر من الأوامر، وفيه المسائلة والمراجعة والرقابة وهو حق وقيمة حضارية عالية في توزيع العدل على الجميع، وأن الجميع سواسية، ولكن يوجد إشكال في فهم بعض معانيه، وهي في تأخير أو منع الصحابي الجليل إعطاء السلب للقاتل، وقد أجاب عن هذا الاشكال النووي، فقال: "هذه القضية جرت في غزوة مؤتة سنة ثمان كما بيّنه في الرواية التي بعد هذه، وهذا الحديث قد يستشكل من حيث إن القاتل قد استحق السلب فكيف منعه إياه، ويجاب عنه بوجهين:

أحدهما: لعله أعطاه بعد ذلك للقاتل وإنما أخره تعزيرًا له ولعوف بن مالك لكونهما أطلقا ألسنتهما في خالد-رضي الله عنه-، وانتهكا حرمة الوالي ومن ولاه الوجه.

الثاني: لعله استطاب قلب صاحبه فتركه صاحبه باختياره وجعله للمسلمين، وكان المقصود بذلك استطابة قلب خالد-رضي الله عنه-، للمصلحة في إكرام الأمراء، قوله: "فاستغضب، فقال: لا تعطه يا خالد"، فيه جواز القضاء في حال الغضب ونفوذه، وأن النهي للتنزيه لا للتحريم" [2].

وهذه القيمة العظيمة التي يفخر بها المسلمون، وهذا التشريع العظيم كما وصفه صاحب فتح المنعم: "وهذا اليمني الحميري يقتل مشركًا في غزوة مؤتة فيتوقف خالد بن الوليد قائد المعركة في إعطائه سلب القتيل ويتدخل صديقه ورفيقه عوف بن مالك، ويذكر خالدًا بقول رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: "من قتل قتيلا فله سلبه"، ويطلب منه أن يسلمه سلبه فيستكثر خالد السلب فيشكوه للنبي- صلى الله عليه وسلم- فيأمر خالدًا بأن يعطيه سلبه. وهذا

([1]) صحيح مسلم، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ اسْتِحْقَاقِ الْقَاتِلِ سَلَبَ الْقَتِيلِ، (ج٣/ ص١٣٧٣)، ح٤٣ - (١٧٥٣).

([2]) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، (ج١٢/ ص٦٤).

سلمة بن الأكوع يقتل جاسوسًا للمشركين فيقضي رسول الله- صلى الله عليه وسلم- له بالسلب أجمع فنعم التشريع من لدن حكيم عليم"[1].

وبالرغم من محاسبة الأمراء وارجاع الحقوق لأصحابها إلا أن النبي- صلى الله عليه وسلم- أراد أن يكون للأمير احترامه وتقديره أيضًا بين الناس بالحق، وعدم الطعن أو إساءة الأدب لهم كما وضحه صاحب الكوكب الوهاج، فقال: "ثم قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لمن عنده خطابًا لعامة المسلمين هل أنتم أيها المسلمون، أو هو خطاب للراوي، ومن هو مثله تاركون لي أُمَرَائِي، الذين أمرتهم عليكم من الطعن فيهم وإساءة أدبهم قال القاضي فيه ما يلزم من ترك الطعن على الأمراء وبرهم وتوقيرهم وترك التعرض لمساءتهم"[2].

ومن الفوائد المستفادة أيضًا ما ذكره صاحب البحر المحيط: "ومنها: أن فيه الزجرّ عن معارضة الأمراء، ومغاضبتهم، والشماتة بهم؛ لِمَا تقدم من الأدلة الدالة على وجوب طاعتهم في غير معصية الله" [3].

كل هذه القيم المتراكبة مع بعضها من العدل والحقاق الحق والاحترام المتبادل كانت تطبق في غزوات النبي- صلى الله عليه وسلم- التي كانت مثالًا يحتذى به في تطبيق القيم الحضارية وتنوعها.

المطلب الثالث: الحزم والعدل وأثره

قد يكون القانون موجودًا وعادلًا، ولكن تطبيقه يكون انتقائيًا أو حسب الحال والترحال، وقد يحتج البعض في تطبيق بعض القوانين بأن المرحلة لا تسمح أو أن الحروب توضع فيه العقوبات والزواجر، لكن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان حازمًا عادلًا في منع الجريمة وتفشيها سواء كان في غزواته أو مكوثه مستقرًا في المدينة، فما كان من حزم أو تطبيق للعقوبات إلا للزجر والتهديد للفاعل ولغيره بعدم إشاعة الفتنة والجريمة بين المسلمين، وكما حذر

([1]) انظر: فتح المنعم شرح صحيح مسلم، لموسى لاشين، (ج٧/ ص١٢٦).

([2]) انظر: الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم، لمحمد الأمين الهَرَري، (ج١٩/ ص١٥١).

([3]) انظر: البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، للولوي، (ج٣٠/ ص٤٩٥).

الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾. [النور: ١٩]، وإن كان الحديث هنا عن الزنا، لكن قياسًا ينطبق المثال على باقي الجرائم التي تهدد المجتمع المسلم، وتهدد تماسك المسلمين في السلم والحرب، وقد روي عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ: " أَنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ فِي غَزْوَةِ الفَتْحِ، فَأُتِيَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا، فَقُطِعَتْ يَدُهَا، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَحَسُنَتْ تَوْبَتُهَا، وَتَزَوَّجَتْ، وَكَانَتْ تَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ، فَأَرْفَعُ حَاجَتَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-" [١].

السرقة من أنواع الجريمة التي يجب أن تحارب بطريق منهجي صحيح حتى تختفي هذه الآفة، والحدود وضعت زواجر لتبعد الناس عن ارتكاب الجرائم التي تؤدي لتخريب المجتمع وتحطمه، وعنصر الأمن والأمان هو قيمة حضارية عالية يتطلب قيمة لا تقل عنه أهمية في تطبيق القانون على الناس سواسية حتى يشعر المذنب بذنبه، وهذا لم يختلف في الحرص عند النبي- صلى الله عليه وسلم- والحفاظ عليه من كل ما يؤدي لخراب كبير في المجتمع، وفي المعركة وفي الغزوة لذلك علّق القرطبي على هذا الحدث، فقال: "وقوله: لو أن فاطمة سرقت لقطعت يدها، إخبارٌ عن مقدَّر يفيد القطع بأمر محقق. وهو وجوب إقامة الحد على البعيد والقريب، والبغيض والحبيب، لا تنفع في ذريةٍ شفاعة، ولا تحولُ دونه قرابة ولا جماعة"[٢].

ففي هذا الحديث إقرارٌ لمبدأ المساواة بين الناس أمام أحكام الشريعة، وتحذير للحكام من أن يقيموا الحدود على الضعفاء دون الأقوياء الذين يحاولون بالتشفع في تخطي الأحكام، ولا شك أن بقاء الدول واستقرار المجتمعات منوط بالدرجة الأولى بإقرار العدالة، وإنَّما يجد خصوم الدولة السبيل إلى هدمها من خلال الظلم الذي يقع منها فهو مبرر لاجتماع المظلومين وحافز للتضحية من أجل إسقاطها، ولكن وجب التنبيه أن بعد إقامة الحد على الجاني ليس معناه أن يصبح منبوذًا مستقذرًا في المجتمع، بل وجب استيعابه ومساعدته على المضي قدمًا نحو طريق الحق والصواب، وشعوره بأنّه أحد أفراد المجتمع الحضاري المسلم، وهذا واضح في قول عائشة- رضي الله عنها- أنّها تابت وتزوجت، بل كانت تأتي للنبي- صلى الله عليه وسلم-

---

([١]) صحيح البخاري، كِتَابُ الشَّهَادَاتِ، بَابُ شَهَادَةِ القَاذِفِ وَالسَّارِقِ وَالزَّانِي، (ج٣/ ص١٧١)، ح٢٦٤٨.

([٢]) انظر: المُفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس القرطبي، (ج٥/ ص٧٩).

لتسأل حاجتها وترفع إليه، هذه القيم الحضارية العالية كان لها أثر في بناء مجتمع حضاري مثالي كالمجتمع المسلم.

المبحث الرابع: الرفق والعفو والتواضع عقب الغزو

الرفق والتواضع كلها أخلاق ذات قيم حضارية عالية تتضمن وجوه عدّة لمجتمع حضاري في السلم، وتعامل حضاري في الحرب، بعيدًا عن الحروب وويلاتها التي تحصد الأرواح، وكان من نهج النبي– صلى الله عليه وسلم– الرفق واللين والتواضع في كل أحواله، وكما ذكرنا في السابق كيف كان الرفق واللين ما قبل الغزوة، والتجهيز للغزو، وفي أثناء الغزو، وعقب الغزو وانتهاء المعركة، وقد أوردت في هذا المبحث أربعة مطالب، وهي:

المطلب الأول: النصيحة والرفق بالجند

الميدان في المعارك الظاهر فيه أنَّه ميدان الوحشية والقتل وغياب الإنسانية والحضارة كما يظن أعداء الإسلام، بل هو التراحم، والجهاد ما فرض إلا لنشر الدين ومنع الظلم بين العباد، لذلك كان نهج النبي– صلى الله عليه وسلم– في القتال يتسم مع جنده بالرفق واللين، وهو من معالم القيم الحضارية التي امتاز بها الجيش المسلم بقيادة النبي– صلى الله عليه وسلم–، وقد روى الصحابي الجليل جَابِر بْن عَبْدِ اللَّهِ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْا–، قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي سَفَرٍ[1]، فَرَأَى زِحَامًا وَرَجُلًا قَدْ ظُلِّلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟، فَقَالُوا: صَائِمٌ، فَقَالَ: لَيْسَ مِنَ البِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ"[2].

لمّا رأى النبي– صلى الله عليه وسلم– ما جهده الرجل من إعياء حتى أغمي عليه، فبدأ بالحديث في الطاعات والخير، وقال: "لَيْسَ مِنَ البِرِّ"، و علّق ابن الأثير على كلمة "البر"

([1]) ورد أن السفر كان في غزوة تبوك. انظر: صحيح ابن حبان، كِتَابُ الصَّوْمِ، بَابُ صَوْمِ الْمُسَافِرِ، (ج٨/ ص٣٢١)، ح٣٥٥٣.

([2]) صحيح البخاري، كِتَابُ الصَّوْمِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ ظُلِّلَ عَلَيْهِ وَاشْتَدَّ الحَرُّ «لَيْسَ مِنَ البِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ»، (ج٣/ ص٣٤)، ح١٩٤٦.

الواردة في الحديث، فقال: "والبر: ضد الإثم، وهو اسم لكل طاعة فعل صالح من الخير" [1]، فمن باب الرأفة خاطب النبي– صلى الله عليه وسلم– الصحابة الكرام– رضي الله عنهم– في هذا الحدث ما يدخل على قلوبهم ومحبتهم له، وهو البر أحد أبواب الخير، فكأنّه يطالبهم بالرفق بأنفسهم وبحالهم.

ومن باب الرأفة أيضًا كان النبي– صلى الله عليه وسلم–، ينصحهم وينهاهم عن ما فيه ضرر، ويتخير لهم ما يحافظ على أبدانهم وحياتهم، وكما رُوي عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، أنه قَالَ: " كُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، لَيْسَ لَنَا نِسَاءٌ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ نَسْتَخْصِي [2]؟ فَنَهَانَا عَنْ ذَلِكَ" [3].

طلب الصحابة من النبي– صلى الله عليه وسلم– مثل هذا الطلب الذي يحرم نفسه من الدنيا والولد ما بعد الاستخصاء لهو دليل على ميلهم نحو أجر الآخرة العظيم، لكن النبي– صلى الله عليه وسلم– منعهم من هذا العمل، وسمح لهم بزواج المتعة في حينه، ثم حرم هذا الزواج، وهذا ما عليه الإجماع، ونقله القاضي عياض، فقال: "وقوله: " ثم رخص لنا أن تنكح المرأة بالثوب إلى أجل"، قال الإمام: ثبت أن نكاح المتعة كان جائزًا فى أول الإسلام، ثم ثبت أنه نسخ بما ذكر من الأحاديث فى هذا الكتاب وفى غيره، وتقرر الإجماع على منعه، ولم يخالف فيه إلا طائفة من المبتدعة، وتعلقوا بالأحاديث الواردة فى ذلك، وقد ذكرنا أنها منسوخة"[4].

هذه القيمة الحضارية العالية التي لم تتوقف عند الرأفة والرفق، بل أيضًا يمنعهم من إيذاء أنفسهم بما يخدم أرض الميدان ليتفرغوا للحرب والقتال، بل لينبههم بأن هناك حياة؛ أرضٌ يلزم إعمارها، ومساجد يعمرونها هم ونسلهم.

([1]) انظر: الشافي في شرح مسند الشافعي، لابن الأثير، (ج٣/ ص٢١٤).

([2]) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض، (ج٤/ ص٥٣٣).

([3]) صحيح البخاري، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ تَزْوِيجِ المُعْسِرِ الَّذِي مَعَهُ القُرْآنُ وَالإِسْلاَمُ، (ج٧/ ص٤)،ح٥٠٧١.

([4]) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض، (ج٤/ ص٥٣٣).

المطلب الثاني: العفو عند المقدرة

العفو من أحد ضروب الرأفة، وغالبًا ما تكون مع الأعداء وهي غريبة عقب الغزوة، فالانتقام سيد الموقف كما كان يفعل أعداء الإسلام بالمسلمين، حيث يمعنوا في القتل والخراب والدمار، ولا يكتفوا بقتل البشر، بل يهدموا الشجر والحجر وفي اعتقادهم أن هذا الفعل هو رادع لمن يعاديهم ويخوف من يفكر في الإعداد لحربهم، لكن المسلمين كجيش بقيادة النبي– صلى الله عليه وسلم– هم من وضعوا للحضارة قيمًا، وجعلوا نظرة الناس تختلف لهم بعد أن رأوا الغلبة لهم في التسامح والرأفة والرفق مع الأعداء الذين أثخنوا الجراح في المسلمين، وسيرة النبي– صلى الله عليه وسلم– تزخر بالكثير من المواقف التي عفا فيها ورفق بأعدائه بعد الغلبة عليهم، وكما رُوي عَنِ ابْنِ عُمَرَ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–، قَالَ: " حَارَبَتِ النَّضِيرُ، وَقُرَيْظَةُ، فَأَجْلَى بَنِي النَّضِيرِ، وَأَقَرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ، حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةُ، فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ، وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلاَدَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ المُسْلِمِينَ، إِلَّا بَعْضَهُمْ لَحِقُوا بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَآمَنَهُمْ وَأَسْلَمُوا [1]، وَأَجْلَى يَهُودَ المَدِينَةِ كُلَّهُمْ: بَنِي قَيْنُقَاعٍ، وَهُمْ رَهْطُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلاَمٍ، وَيَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ، وَكُلَّ يَهُودِ المَدِينَةِ " [2].

العفو والرأفة مع الأعداء بانت في أمرين:

الأول: هو ما كان من رأفته مع النساء والأطفال الذين لم يقاتلوا كان يعفو عنهم، وحتى الأطفال الذين قاتلوا شملهم العفو، كل هؤلاء غير الذين أسلموا للنبي– صلى الله عليه وسلم–، فلم يشهر سيفه في ذرياتهم ونسائهم كما يفعل أعداء المسلمين بهم بعد الانتصار في الحروب، وهذا ما علّق عليه ابن القيم، فقال: "وَكَانَ يَنْهَى عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ وَكَانَ يَنْظُرُ فِي الْمُقَاتِلَةِ، فَمَنْ رَآهُ أَنْبَتَ قَتَلَهُ، وَمَنْ لَمْ يُنْبِتِ اسْتَحْيَاهُ " [3]، والثاني: كان مع المقاتلة هم الذين

([1]) أي جعلهم آمنين وأسلموا على يد النبي –صلى الله عليه وسلم –. انظر: شرح سنن أبي داود، لابن رسلان، (ج١٣/ ص٤٥).

([2]) صحيح البخاري، كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ حَدِيثِ بَنِي النَّضِيرِ، وَمَخْرَجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فِي دِيَةِ الرَّجُلَيْنِ...، (ج٥/ ص٨٨)، ح٤٠٢٨.

([3]) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، (ج٣/ ص٩٠).

يقاتلون في الميدان، أحد جند العدو الذين يقتلون في المسلمين ويصيبونهم بالجراح، ومع ذلك فهو– صلى الله عليه وسلم–، لم يقتل إلا البالغين منهم؛ لأنهم غير مكلَّفين، ومدفوعين بغيرهم؛ فلذلك رحمهم.

ورحمته ورأفته ورفقه بأعدائه– صلى الله عليه وسلم– لم يقف عند حد العفو، بل عندما استعمل عليهم أناسًا ليقوموا بتنسيق أمور حياتهم لم يختر أحدًا من المهاجرين أو الأنصار، بل اختار لهم مسلمين كانوا من بني جلدتهم لأنهم أخبر بهم في تيسير أمور حياتهم، وهذا ما وضحه ابن رسلان، فقال: "هم رهط عبد الله بن سلام، ولكونهم كانوا رهطه وقومه لما أسلم يوم قدم النبي – صلى الله عليه وسلم – المدينة قبل ذلك استعمل يومئذٍ عليهم عبد الله...، وفيه دليل على استحباب أنه من كان كبير قوم في الجاهلية ثم أسلم وحسن إسلامه أن يستعمل عليهم؛ لكونه أعرف بحالهم وأخبر بمصالحهم" [1].

وهذه قيمة حضارية عالية أخرى تضاف لرأفته– صلى الله عليه وسلم– في تعامله مع أعدائه بعد انتهاء الحرب والغزو.

المطلب الثالث: تواضع القيادة في الميدان

التواضع سواء كان في الحرب أو السلم يجلب منافع كثيرة على المتواضع، وخصوصًا للقيادة التي يصطف خلفها شعبها، وجندها في بناء دولة مثالية، في العدل والتعاون، والحب والتراحم، وهذا التواضع أبلغ في الحرب وفي مواطن القتال التي تكرهه النفس بطبعها لقوله– عز وجل–: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ ﴾. [البقرة: ٢١٦]، لأنَّ هذا التواضع يجلب الوحدة في قتال العدو ويجلب الاصطفاف والتفاني والحب والمودة بين القيادة والجند في الميدان، وله ما بعده في بناء المجتمع، وهو ذو قيمة عالية للإنسان بشخصه، وللقائد بمكانته، وقد أخبر الصحابي الجليل أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفِهْرِيَّ [2]– رضي الله عنه–، فَقَالَ: " شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حُنَيْنًا فَسِرْنَا فِي يَوْمٍ قَائِظٍ شَدِيدِ الْحَرِّ، فَنَزَلْنَا تَحْتَ ظِلِّ الشَّجَرَةِ، فَلَمَّا زَالَتِ

([1]) انظر: شرح سنن أبي داود، لابن رسلان، (ج١٣/ ص٤٦).

([2]) هو الصحابي: قيل اسمه يزيد بن إياس، وقيل الحارث بن هشام، وقيل عبيد، وقيل كرز بن ثعلبة، شهد حنينا ثم فتح مصر. انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، (ص: ٦٥٥)، رقم: ٨٢٢٢.

الشَّمْسُ لَبِسْتُ لَأْمَتِي[1]، وَرَكِبْتُ فَرَسِي، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَهُوَ فِي فُسْطَاطِهِ[2]، فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، قَدْ حَانَ الرَّوَاحُ، قَالَ: أَجَلْ، ثُمَّ قَالَ: يَا بِلَالُ قُمْ، فَثَارَ مِنْ تَحْتِ سَمُرَةٍ كَأَنَّ ظِلَّهُ ظِلُّ طَائِرٍ[3]، فَقَالَ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَأَنَا فِدَاؤُكَ، فَقَالَ: أَسْرِجْ لِي الْفَرَسَ، فَأَخْرَجَ سَرْجًا دَفَّتَاهُ مِنْ لِيفٍ لَيْسَ فِيهِ أَشَرٌ[4]، وَلَا بَطَرٌ، فَرَكِبَ وَرَكِبْنَا" [5].

([1]) لَأْمَتِي أي لَأْمَة واللَّأْمَة مَهْموزة وهي: الدِّرْع. وَقِيلَ: السِّلاح، ولَأْمَةُ الحَرب: أدَاتُه، وَقَدْ يُتْرك الْهَمْزُ تَخفيفاً. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (ج٣/ ص٤٤٥).

([2]) الفسطاط: «هُوَ ضَرْب مِنَ الأَبْنِيَة فِي السَّفر دُونَ السُّرادِق». انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (ج٤/ ص٢٢٠).

([3]) كأن ظله في الشمس ظل طائر، وهو مبالغة في رقته ونحافة جسمه، وكان طويلًا شديد الأدمة خفيف نبات العارضين. انظر: شرح سنن أبي داود، لابن رسلان، (ج١٩/ ص٥٩٦).

([4]) الأَشَر البَطَر، وَقِيلَ أَشَدُّ البَطر. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (ج١/ ص٥١).

([5]) سنن أبي داود، أَبْوَابُ النَّوْمِ، بَابٌ فِي الرَّجُلِ يُنَادِي الرَّجُلَ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ، (ج٤/ ص٣٥٩)، ح٥٢٣٣.

سند الحديث: قال أبو داود: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، أَخْبَرَنَا يَعْلَى بْنُ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي هَمَّامٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفِهْرِيَّ، قَالَ.

دراسة رواة الإسناد:

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَسَارٍ: أَبُو هَمَّامٍ، الكوفي، ويقال عبد الله بن نافع، مجهول. انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، (ص: ٣٣٠)، رقم: ٣٧١٨. وذكره ابنُ حِبَّان فِي كتاب "الثقات". انظر: الثقات، لابن حبان، (ج٥/ ص٥١)، رقم٣٨٠٧. وقال الذهبي: عبد الله بن يسار أبو همام عن علي وعمرو بن حريث وعنه يعلى بن عطاء وثق. انظر: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للذهبي، (ج١/ ص٦٠٩)، رقم: ٣٠٦٦. وقال المزي: روى له أَبُو داود، حديثا، والنَّسَائي في "مسند علي" حديثا، وقَدْ وقَعَ لَنَا حَدِيثُ أَبِي داود بعلو. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، (ج١٦/ ص٣٢٨). الرواي مجهول ولم يوثق إلا من ابن حبان والذهبي فيرتقي لمرتبة المقبول.

الحكم على الحديث: الحديث إسناده حسن، لوجود عبد الله بن يسار، وقد صححه بعض العلماءء منهم: البوصيري فقال: هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ. انظر: إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، للبوصيري، (ج٥/ ص٢٥١). وقال الحافظ في مختصر زوائد البزّار (٢/ ٤٨)، وقال ابن حجر: أصله في سنن أبي داود، ورجاله ثقات. انظر: المطالب العالية، لابن حجر، (ج١٧/ ص٤٨٦). وقال الهيثمي: رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُمَا ثِقَاتٌ. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، (ج٦/ ص١٨٢).

في هذا الحديث صورة من صور تواضع رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، فها هو ينام في وسط جيشه في فساط بسيط تحت ظل شجرة، ويسرج له سراج، حيث يصفهما الراوي فيقول: "ليس فيه أشر وبطر"، ومن شدة تواضعه صلى الله عليه وسلم في نومه بين أصحابه فهو ينادي على بلال، وكأنه نائم بجانبه، وطريقة كلام الصحابة –رضوان الله عليهم–، تدل على مدى تواضعه لهم ومدى حبهم له، التي لها أثر كان ظاهرًا في تفانيهم لإجابة رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، وهذا يدل على تواضعه وتقشفه في الحياة، كما تحدث بذلك ابن رسلان فقال: " أي: جهتاه من الجانبين –من ليف– فيه ما كان عليه– صلى اللَّه عليه وسلم– من التقشف وخشونة العيش ورثاثة الآلات والأمتعة والتقلل من الدنيا" [1].

كل هذا الوصف الذي وصفه الصحابة وذكره شراح الحديث يدل دلالة واضحة على مدى تواضع النبي –صلى الله عليه وسلم–، كان ملازمًا له في السلم والحرب، حتى في أشد لحظات الإنسان بفرحته بالنصر والتمكين العظيم لم يكن مكان للغطرسة والتكبر في قلب النبي –صلى الله عليه وسلم– ولا في منهجه ولا سلوكه، فكان في الانتصارات يملأ الدنيا بهجة وفرحًا، ويأتي بتواضع وبساطة بين الناس، ما أدى إلى أن أدخل عليهم الطمأنينة والاستقرار، كل هذا التواضع والبساطة له أثره على الناس كقيمة حضارية عالية لها مدلولها الحضاري في بناء المجتمعات الحضارية التي تؤسس لجيل عظيم يحمل رآية القيم والمبادئ، وقد حدثت صَفِيَّةُ بِنْتُ شَيْبَةَ، فقَالَتْ: " لَمَّا اطْمَأَنَّ رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِمَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ طَافَ عَلَى بَعِيرٍ يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ بِمِحْجَنٍ[2] فِي يَدِهِ، قَالَتْ: وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ" [3].

([1]) انظر: شرح سنن أبي داود، لابن رسلان، (ج١٩/ ص٥٩٦).

([2]) المِحْجَنُ عَصًا مُعَقَّفَة الرَّأْسِ كالصَّولَجان. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (ج١/ ص٣٤٧).

([3]) سنن أبي داود، كِتَاب الْمَنَاسِكِ، بَابُ الطَّوَافِ الْوَاجِبِ، (ج٢/ ص١٧٦)، ح١٨٧٨.

سند الحديث: قال أبو داود: حَدَّثَنَا مُصَرِّفُ بْنُ عَمْرٍو الْيَامِيُّ، حَدَّثَنَا يُونُسُ يَعْنِي ابْنَ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ثَوْرٍ، عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ، قَالَتْ.

تخريج الحديث: أخرجه ابن ماجه في السنن، كِتَابُ الْمَنَاسِكِ، بَابُ مَنِ اسْتَلَمَ الرُّكْنَ، بِمِحْجَنِهِ، (ج٢/ ص٩٨٢)، ح٢٩٤٧. (بمثله). عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ بُكَيْرٍ، به.

وأخرجه الطبراني في الكبير، بَابُ الصَّادِ، صَفِيَّةُ بِنْتُ شَيْبَةَ بْنِ عُثْمَانَ الْحَجَبِيَّةُ، (ج٢٤/ ص٣٢٢)، ح ٨١٠. عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ دُحَيْمٍ الدِّمَشْقِيُّ، عَنْ أَبِيه، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَشِيرٍ، وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الصَّائِغِ الْمَكِّيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ بُكَيْرٍ، كلاهما ابن بكير وابن بشير، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، به. (بمثله). وابن خزيمة في صحيحه بسنده، عن ابن عمرن وحكم الأعظمي على الاسناد فقال: إسناده صحيح. انظر: صحيح ابن خزيمة، كتاب المناسك، باب استلام الحجر بالمحجن للطائف الراكب، (ج٤/ ص٢٤٠)، ح٢٧٨١،

ومن طريق ابن عمر أيضًا: أخرجه ابن حبان في صحيحه، كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ دُخُولِ مَكَّةَ، (ج٩/ ص١٣٧)، ح٣٨٢٨.

=

= **دراسة رواة الإسناد: في إسناده:**

١-**يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ**: هو أبو بكر الشيباني، الجمال الكوفي، صدوق يخطئ، مات سنة تسع وتسعين ومائة. انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، (ص: ٦١٣)، رقم: ٧٩٠٠. وَقَال مضر بْن مُحَمَّد الأسدي وعثمان بْن سَعِيد الدارمي، عَن يحيى بْن مَعِين: ثقة.

وَقَال إِبْرَاهِيم بْن عَبد اللَّهِ بْن الجنيد، عَنْ يَحْيَى بْن مَعِين: "كَانَ ثقة صدوقا" إلا أنه كَانَ مع جعفر بْن يحيى البرمكي، وكان موسرا، فقال لَهُ رجل: أنهم يرمونه بالزندقة لكذا وكذا، فقال: كذب. ثم قال يحيى: رأيت ابني أَبِي شَيْبَة أتياه، فأقصاهما وسألاه كتابا فلم يعطهما، فذهبا يتكلمان فيه. قال يحيى بْن مَعِين: قد كتبت عنه. وَقَال أَبُو خيثمة: قد كتبت عنه، وَقَال عَبْد الرحمن بْن أَبي حاتم: سئل أبو زُرْعَة أي شيء ينكر عَلَيْهِ؟ قال: أما فِي الحديث فلا أعلمه، وَقَال أَبُو حَاتِم: محله الصدق، وَقَال أَبُو عُبَيد الآجري، عَن أبي دَاوُد: ليس هو عندي حجة يأخذ كلام ابن إسحاق فيوصله بالأحاديث، سمع من محمد ابن إسحاق بالري، وَقَال النَّسَائي: ليس بالقوي، وَقَال في موضع آخر: ضعيف. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، (ج٣٢/ ص٤٩٦). وثقه ابن حبان. انظر: الثقات، لابن حبان، (ج٩/ ص٢٨٩)، رقم: ١٦٤٩٢. يبقى الراوي في مرتبة الصدوق.

٢- **أبو بكر مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ**: بن يسار، المطلبي، مولاهم المدني، نزيل العراق، إمام المغازي، صدوق يدلس ورمي بالتشيع والقدر، مات سنة خمسين ومائة ويقال بعدها. انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، (ص: ٤٦٧)، رقم: ٥٧٢٥. وَقَال حرملة بْن يَحْيَى، عَنِ الشافعي: من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على مُحَمَّد بْن إِسْحَاق، وَقَال أَحْمَد بْن أَبي خيثمة أيضا: حَدَّثَنَا هارون بْن معروف، قال: سمعت أَبَا مُعَاوِيَة يَقُول: كَانَ ابْن إِسْحَاق من أحفظ الناس فكان إذا كَانَ عند الرجل خمسة أحاديث أو أكثر جاء فاستودعها مُحَمَّد بْن إِسْحَاق. قال: احفظها عليّ فإن نسيتها كنت قد حفظتها علي.

وَقَال أَبُو بَكْر الأثرم: سألته، يَعْنِي أحمد بن حَنْبَلٍ، عَن مُحَمَّدِ بْن إِسْحَاق كيف هُوَ؟ فَقَالَ: هو حسن الحديث، يتشيع، وينسب إِلَى القدر، ويدلس في حديثه. فأما الصدق فليس بمدفوع عنه.

وَقَال إِبْرَاهِيم بْن يَعْقُوب الجوزجاني: مُحَمَّد بْن إِسْحَاق الناس يشتهون حديثه وكان يرمى بغير نوع من البدع.

وَقَال يعقوب بْن شَيْبَة: سمعت مُحَمَّد بْن عَبد اللَّهِ بْن نمير وذكر ابن إِسْحَاق فَقَالَ: إذا حدث عَنْ من سمع منه من المعروفين فهو حَسَن الحديث صدوق، وإنما أتي من أَنَّهُ يحدث عَنِ المجهولين أحاديث باطلة.

هذا التواضع من قائد الجيش المسلم، وهو النبي– صلى الله عليه وسلم–، يدخل مكة فاتحًا بعد أذاقوه وأصحابه العذاب والقتل والغزو، لم يظهر عليه الانتقام ولا التجبر في الأرض، بل برزت قيمة حضارية عالية في التعامل مع المهزومين، مع تواضع للمسلمين في جيشه، وقد علّق الدكتور أكرم العمري، فقال: "ولم يدخل الرسول– صلى الله عليه وسلم– مكة دخول الفاتحين المتغطرسين، بل كان خاشعًا لله شاكرًا لأنعمه يقرأ سورة الفتح ويرجِّع في قرائتها، وهو على راحلته، بل إنه لما طاف بالكعبة استلم الركن بمحجنه كراهة أن يزاحم الطائفين وتعليمًا لأمته" [1].

المبحث الخامس: التماس العذر والأناة والتسامح

تقدير النبي– صلى الله عليه وسلم– لمن يكون حديث عهد بالإسلام، حتى يطمئن قلبه بالإيمان ولا يكون ألد الخصام للإسلام، والتماس العذر لمن غلبه الضعف، والعذر في عجزه عن القيام بواجبات الفرد الفعال في الغزوات والحروب والمسامحة هذه القيم الحضارية العالية التي غرزها النبي– صلى الله عليه وسلم– في جيل الصحابة– رضي الله عنهم– وثبتها منهاجًا للحياة جعلت الناس يتشوقون للدخول في دين الله– عز وجل– أفواجًا، فكانت قيمًا عالية

وَقَال يعقوب بْن سفيان الفارسي: قال علي: لم أجد لابن إِسْحَاق إلا حديثين منكرين: نافع، عَن ابْن عُمَر، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وسَلَّمَ، قال: "إِذَا نعس أحدكم يوم الجمعة "، والزُّهْرِيّ عَنْ عروة، عَنْ زَيْد بْن خَالِد "إذا مس أحدكم فرجه "هذان لم يروهما عن أحد والباقون، يَقُول ذكر فلان، ولكن هَذَا فيه: حَدَّثَنَا"،

قال أَحْمَد بْن حَنْبَل: كَانَ ابْن إِسْحَاق يدلس إلا أن كتاب إِبْرَاهِيم بْن سَعْد إذا كَانَ سماع قال: حَدَّثَنِي، وإذا لم يكن قال: قال، قلت: تنتفي عنه علة التدليس هنا لتصريحه بالتحديث.

الحكم على الحديث: الحديث إسناده حسن لوجود يونس بن بكير وابن إسحاق وقد انتفت عنهما العلة كما وضحت في دراسة الإسناد. وللحديث شواهد صحيحة عند ابن حبان وابن خزيمة يرتقي بها الحديث إلى صحيح لغيره، وقد حكم على الحديث بالصحة بعض العلماء منهم: الأعظمي فقال: إسناده صحيح. انظر: صحيح ابن خزيمة، كتاب المناسك، باب استلام الحجر بالمحجن للطائف الراكب، (ج٤/ ص٢٤٠)، ح٢٧٨١، وصححه ابن حبان في صحيحه، كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ دُخُولِ مَكَّةَ، (ج٩/ ص١٣٧)، ح٣٨٢٨.

وقال بن أَبِي شَيْبَةَ: وَعند بن إِسْحَاقَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ. انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، (ج٨/ ص١٨).

(1) انظر: السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، لأكرم ضياء العمري (ج٢/ ص٤٨٢).

ومنهاجًا محببًا للجميع، لا يخاف فيها الفرد على نفسه ولا ماله ولا أهله بعد أن كان مستباحًا من قوى الكفر التي كانت مستبدة في الإكراه والتنفير عن العدل والإحسان، وقد يكون بعض المخطئين الغافلين عن هذه القيم يؤذوا من قام بها، فالصبر جميل على ما يقولون، والله المستعان، لذلك يتناول هذا المبحث أربعة مطالب تتمحور حول هذه القيم، وهذه المطالب هي:

المطلب الأول: التماس العذر لمن حق لهم العذر

تفرض الظروف التي تمر بها الدولة استهداف لها النفير العام في صفوفها حتى يتم مواجهة هذا الحدث الخطير، ولكن الناس ليسوا سواسية في التجهز والتجهيز والنفير لأنّ منهم العاجز عن الحراك أو الفقير الذي يملك تجهيز السفر والمريض الذي لا يقوى على جَلَد القتال والحروب كل هؤلاء أصحاب الأعذار كان النبي– صلى الله عليه وسلم– يذكرهم ويذّكر أصحابه بهم، أنهم جزء لا يتجزأ منهم برغم جلوسهم في بيوتهم حتى ولو لم يشاركوا الجيش، ورد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَدَنَا مِنَ المَدِينَةِ، فَقَالَ: إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟، قَالَ: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ" [1]. عقب الرجوع من غزوة تبوك التي لم يحدث فيها قتال، وسار المسلمون بقيادة النبي – صلى الله عليه وسلم– قافلين إلى المدينة وعند اقترابهم، يذكر لهم إخوة لهم حبسهم العذر عن مشاركتهم في القتال والأجر، بالرغم من عدم مشاركتهم في المعركة فلهم الأجر كما وضح الدهلوي فقال: "وقوله: حبسهم العذر فإن القاعدين الموعود لهم الحسنى هم أولو الضرر كما نص عليه في كتاب اللّه، وفي الحديث فضل نية الخير والتأسف على فوات ذلك" [2]، وتكلم بكلام مشابه السهارنفوري فقال: "وكأنه محمول على الأغلب، وفي الحديث دلالة على أن المرء يبلغ بنيته أجر العامل إذا منعه العذر عن العمل" [3].

([1]) صحيح البخاري، كِتَابُ المَغَازِي، بَابٌ...، (ج٦/ ص٨)، ح٤٤٢٣. **سند الحديث:** حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا حُمَيْدٌ الطَّوِيلُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

([2]) انظر: لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، للدِّهلوي، (ج٦/ ص٥٥٦).

([3]) انظر: بذل المجهود في حل سنن أبي داود، للسهارنفوري، (ج٩/ ص٦١).

وهذا أجر عظيم، لكن القيمة الحضارية العالية متمثلة في مكان وزمن إخبار النبي– صلى الله عليه وسلم– للصحابة– رضي الله عنهم– بهذا الأجر لمن تخلف قهرًا ولعذر عن الجيش، لكيلا يعيب عليهم إخوانهم الذين خرجوا للقتال، وحتى لا تزداد حسرة في قلوب الذين تخلفوا لعذر، فهذا هو التماس العذر، وأيضًا تذكيرهم بمقامهم العالي عند النبي– صلى الله عليه وسلم– فهذه قيمة حضارية عالية في تقدير الناس والتماس العذر لهم بدون تجريح فيهم فيما لا يطيقون ولا يعيب عليهم أحد فيما عجزوا عن القيام به.

المطلب الثاني: التأني على المخطئين

الأناة على الآخرين من الخصوم أو من انضم حديثًا لصفوف المسلمين، قيمة حضارية سامية في صناعة الروابط القوية لمن دخل المجتمع المسلم، وأراد الانخراط فيه حتى لا يبقى في النفس شيء يعكر نقاء سريرة وجمال قوة الارتباط والاندماج في صفوف المسلمين، لذلك لزم من القيادة الحكيمة بقيادة النبي –صلى الله عليه وسلم– مزيدًا من العطاء والتقدير لتيسير الطريق لهم، للاندماج التام في صفوف المسلمين، لذلك لا يعجب البعض مثل هذا الأناة وخصوصًا من كان بالأمس عدوًا لدودًا واليوم حبيب ودود.

لذلك القيمة الحضارية المتمثلة في الأناة وعدم التسرع بالغضب على أذى القريبين لهو منهج حضاري عالي تمثل به النبي– صلى الله عليه وسلم– في قيم حضارية عالية تجعل المجتمع متماسك وفي ازدياد نحو بناء مجتمع شامل يتسع للجميع، وقد رُوي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، قَالَ: " لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ، آثَرَ النَّبِيُّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أُنَاسًا فِي القِسْمَةِ، فَأَعْطَى الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ [1]، مِائَةً مِنَ الإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ العَرَبِ فَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي القِسْمَةِ، قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ القِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا

([1]) هو: الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان التميمي المجاشعيّ الدرامي، وفد على النبي صلّى اللّه عليه وسلم، وشهد فتح مكة وحنينا والطائف، وهو من المؤلفة قلوبهم وقد حسن إسلامه، وقال ابن دريد: اسم الأقرع بن حابس فراس، وإنما قيل له الأقرع لقرع كان برأسه، وكان شريفا في الجاهلية والإسلام، واستعمله عبد اللّه بن عامر على جيش سيّره إلى خراسان ، فأصيب بالجوزجان هو والجيش، وذلك في زمن عثمان، وذكر ابن الكلبيّ أنه كان مجوسيّا قبل أن يسلم، وقرأت بخط الرضيّ الشاطبي قتل الأقرع بن حابس باليرموك في عشرة من بنيه. واللّه أعلم. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، (ج١/ ص٢٥٢)، رقم:٢٣١.

أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَأَتَيْتُهُ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ" (١).

في الحديث دليل واضح على رؤيا القائد المسلم بما ينفع ويصب في مصلحة كبرى تهدف لترسيخ قواعد يبنى عليها مجتمع متماسك.

وفيه قيم حضارية عالية سأذكر اثنتين هما: الأولى: هي التقدير والتمييز عن البقية لمن دخل الصفوف حديثًا مثل الأقرع بن حابس- رضي الله عنه- ليجتلب قلوبهم إلى الإسلام ويكونوا عونًا لإخوانهم وتقديرًا لهم، وهذه قيمة حضارية عالية.

وفيه أيضًا مصلحة كبيرة وعامة كما وضح ذلك ابن هبيرة الذهلي فقال: "وفي هذا الحديث من الفقه جواز إيثار الإمام وتفضيله قومًا في الغنائم على قوم على حسب ما يراه في مصالح الإسلام" (٢).

والقيمة الثانية المرتبطة ارتباطا وثيقًا بالأولى وهي الحلم والصبر على أذى المقربين ومن غفل منهم عن طول بصيرة ونظرة إلى الأمام نحو مستقبل مشرق لمجتمع متماسك حضاري متعاون، وكما وضحه ابن هبيرة فقال: "وفيه أيضًا دليل على حلم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- عن شرارات النطق الخفي طلبًا لجمع الكلمة وكراهية لشق العصا عند نفث كل ناطق غاو ما لم يظهره" (٣).

المطلب الثالث: تأليف قلوب الكفار

درجت العادة أن يكون العطاء من المسلم للمسلم وللمقربين من المسلمين، لكن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان له نهج خاص ذو قيمة حضارية عالية في استجلاب حب الآخرين وجعلهم ذخرًا للإسلام والمسلمين، وهو يتمثل في العطاء للكفار وجذب انتباههم لهذا الدين

---

(١) صحيح البخاري، كِتَابُ فَرْضِ الخُمُسِ، بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِي المُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الخُمُسِ وَنَحْوِهِ، (ج٤/ ص٩٥)، ح٣١٥٠.

(٢) انظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، لابن هُبَيْرَة، (ج٢/ ص٧٠).

(٣) انظر: المرجع السابق، (ج٢/ ص٧٠).

العظيم الذي هو دين الحياة، وقد كان لصفوان بن أمية سهم كبير في هذا العمل وهذا الخلق من النبي– صلى الله عليه وسلم– كما يروي التابعي الشهير ابْنُ شِهَابٍ، أنه قَالَ: "غَزَا رَسُولُ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– غَزْوَةَ الْفَتْحِ، فَتْحِ مَكَّةَ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاقْتَتَلُوا بِحُنَيْنٍ، فَنَصَرَ اللهُ دِينَهُ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَعْطَى رَسُولُ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ [1]، مِائَةً مِنَ النَّعَمِ ثُمَّ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، أَنَّ صَفْوَانَ قَالَ: "وَاللهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ" [2]. هذا الحديث له معان عظيمة وقيم حضارية عالية في نهج النبي– صلى الله عليه وسلم– في استجلاب قلوب الكفار والمؤلفة قلوبهم، فكان المسلمون يعرفون أن بعض الأعراب تؤمن من أجل الدنيا ومتاعها وما ينالهم من خير، وهذا ما صرح به الصحابي الجليل أَنَسٌ– رضي الله عنه– بعد حادثة مماثلة، فقال: "إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا" [3]، فالبعض كان يرى هذه النظرة المستقبلية، وقد علّق القرطبي، فقال: "وإنما مقصود أنس من الحديث: أن الرجل كان يدخل في دين الإسلام رغبة في كثرة

([1]) هو: أبو وهب الجمحيّ صفوان بن أميّة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، أمه صفيّة بنت معمر بن حبيب، جمحية أيضا، قتل أبوه يوم بدر كافرا. وحكى الزبير: أنه كان إليه أمر الأزلام في الجاهليّة، وحضر وقعة حنين قبل أن يسلم ثم أسلم. ورد النبيّ –صلّى اللّه عليه وسلم–امرأته بعد أربعة أشهر، وكان استعار النبيّ –صلّى اللّه عليه وسلم–منه سلاحه لما خرج إلى حنين، وهو القائل يوم، حنين: لأن يربّني رجل من قريش أحبّ إليّ من أن يربّني رجل من هوازن، وأعطاه النبيّ –صلّى اللّه عليه وسلم–، قال الزبير: أعطاه من الغنائم فأكثر فقال: أشهد ما طابت بهذا إلا نفس نبيّ، فأسلم، ونزل صفوان على العبّاس بالمدينة، ثم أذن له النبيّ –صلّى اللّه عليه وسلم–في الرجوع إلى مكّة، فأقام بها حتى مات بها مقتل عثمان. وقيل: دفن مسير الناس إلى الجمل. وقيل: عاش إلى أول خلافة معاوية، قال المدائني: سنة إحدى، وقال خليفة: سنة اثنتين وأربعين. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، (ج٣/ ص٣٤٩)، رقم: ٤٠٩٣.

([2]) صحيح مسلم، كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ لَا وَكَثْرَةُ عَطَائِهِ، (ج٤/ ص١٨٠٦)، ح٥٩ – (٢٣١٣).

([3]) انظر: صحيح مسلم، كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ لَا وَكَثْرَةُ عَطَائِهِ، (ج٤/ ص١٨٠٦)، ح٥٨ – (٢٣١٢).

العطاء، فلا يزال يُعطى حتى ينشرح صدره للإسلام، ويستقر فيه، ويتنور بأنواره، حتى يكون الإسلام أحبَّ إليه من الدنيا وما فيها" [1].

المطلب الرابع: العفو عند المقدرة

العفو عن العدو والخصم هذا خلق لا يستطيعه الكثيرون فهو مبني على حب الآخرين وحب المصلحة للجميع بعيدًا عن الانتقام الشخصي أو القومي، لكن النبي– صلى الله عليه وسلم–، جاء للناس جميعًا مبشرًا ونذيرًا، ويعفو عن كثير مدادًا لقوله تعالى:﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾. [آل عمران: ١٣٤]، وهذا ما تزخر به سيرة النبي– صلى الله عليه وسلم–، منه ما رُوي عَنْ أَنَسٍ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، قَالَ: "لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ، التَقَى هَوَازِنُ وَمَعَ النَّبِيِّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَشَرَةُ آلاَفٍ، وَالطُّلَقَاءُ، فَأَدْبَرُوا، قَالَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، قَالُوا: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ لَبَّيْكَ نَحْنُ بَيْنَ يَدَيْكَ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَقَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَانْهَزَمَ المُشْرِكُونَ، فَأَعْطَى الطُّلَقَاءَ وَالمُهَاجِرِينَ وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ شَيْئًا، فَقَالُوا، فَدَعَاهُمْ فَأَدْخَلَهُمْ فِي قُبَّةٍ، فَقَالَ: أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَقَالَ النَّبِيُّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا، وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعْبًا، لاَخْتَرْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ" [2].

في الحديث دليل على مسامحة النبي– صلى الله عليه وسلم– للطلقاء الذين هم كانوا كفار مكة، وعند الفتح سامحهم النبي– صلى الله عليه وسلم– وعفا عنهم برغم إيذائهم له وللمسلمين وقتالهم لسنوات، وقد بيّن ذلك ابن حجر في الفتح، فقال: "قَالَ: ابن إِسْحَاقَ وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَامَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ قَالُوا خيرًا أَخ كريم وابن أَخٍ كَرِيمٍ، قَالَ اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ ثُمَّ جَلَسَ" [3]، وأيضًا المناوي قال: "كان رحيمًا حتى بأعدائه لما دخل يوم الفتح مكة على قريش وقد أجلسوا بالمسجد الحرام وصحبه ينتظروه أمره فيهم من قتل أو غيره، قال: ما

([1]) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، (ج٦/ ص١٠٦).

([2]) صحيح البخاري، كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ غَزْوَةِ الطَّائِفِ، (ج٥/ ص١٥٩)، ح٤٣٣٣.

([3]) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، (ج٨/ ص١٨).

تظنون أني فاعل بكم قالوا: خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: أقول كما قال أخي يوسف: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ [يوسف: ٩٢]، اذهبوا فأنتم الطلقاء" [١].

وهذه الروايات ذكرت عند أصحاب السير [٢] وذكرت عند الطبري في التاريخ، فقال: "فاعتقهم رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، وَقَدْ كَانَ اللَّهُ أَمْكَنَهُ مِنْ رِقَابِهِمْ عَنْوَةً، وَكَانُوا لَهُ فَيْئًا، فَبِذَلِكَ يُسَمَّى أَهْلُ مَكَّةَ الطُّلَقَاءَ ثُمَّ اجْتَمَعَ النَّاسُ بِمَكَّةَ لِبَيْعَةِ رَسُولِ الله- صلى الله عليه وسلم- عَلَى الإِسْلامِ" [٣]، وهذه على ضعفها إلّا أنّها مشتهرة، ولفظ "الطلقاء" ورد في أحاديث صحيحة منها حديثنا هذا، وهي قصة ممكنة الوقوع وفيها تسامح نبيل وقيمة حضارية من النبي- صلى الله عليه وسلم- في العفو عندهم والعفو عند المقدرة لهدف أسمى وهو جلبهم لدين الله إخوانا متحابين.

المبحث السادس: العون والحث على الخير والتحذير من الأذى

العون هي المساعدة وجاءت في اللغة بمعنى: "الظَّهير عَلَى الأَمر، الْوَاحِدُ وَالِاثْنَانِ وَالْجَمْعُ وَالْمُؤَنَّثُ فِيهِ سَوَاءٌ، وَقَدْ حُكِيَ فِي تَكْسِيرِهِ أَعْوان"[٤]، وهي قيمة حضارية عالية عندما تحدث من قائد الجيش لفرد من الجند بالمساعدة والحث على الخير، ومن أبواب الخير تعريف الناس بالخير لينهلوا منه، وتعريف الناس بالشر للتحذير منه، كما كان حُذَيْفَة بْن الْيَمَانِ- رضي الله عنهما-، يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي" [٥]، فالدال على الخير كفاعله والدال على الشر كفاعله، هذا المبحث على قدر كبير من الأهمية لسهولة تطبيقه ولغفلة الكثيرين عنه في الحروب والغزوات، وقد أرودت فيه ثلاثة مطالب، وهي:

---

(١) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، (ج٥/ ص١٧١).

(٢) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، (ج٢/ ص٤١٢).

(٣) انظر: تاريخ الرسل والملوك، للطبري، (ج٣/ ص٦١).

(٤) انظر: لسان العرب، لابن منظرو، (ج١٣/ ص ٢٩٨).

(٥) انظر: صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ الْأَمْرِ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وتحذير الدعاة إلى الكفر، (ج٣/ ص١٤٧٥)، ح ٥١ - (١٨٤٧).

المطلب الأول: عون الجند ورعايتهم

إنَّ النبي– صلى الله عليه وسلم– كان كثير التفقد لجنده، ويقدم لهم العون والمساعدة إما بقدراته البشرية الطبيعية، وإما بقدرات خاصة أجراها الله– عزّ وجلّ– على يديه، يكون فيها الخير للآخرين وهذه القيمة الحضارية العالية من القيادة للجند في عدم التباطؤ عن تقديم المساعدة للجند ومساعدتهم في تجاوز ما حل بهم من شر أو أذى أو صعوبات، منها: ما روي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–، قَالَ: " كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فِي غَزَاةٍ [1]، فَأَبْطَأَ بِي جَمَلِي وَأَعْيَا، فَأَتَى عَلَيَّ النَّبِيُّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَقَالَ: جَابِرٌ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قُلْتُ: أَبْطَأَ عَلَيَّ جَمَلِي وَأَعْيَا، فَتَخَلَّفْتُ، فَنَزَلَ يَحْجُنُهُ بِمِحْجَنِهِ [2] ثُمَّ قَالَ: ارْكَبْ، فَرَكِبْتُ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ أَكُفُّهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، قَالَ: تَزَوَّجْتَ، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: بِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا، قُلْتُ: بَلْ ثَيِّبًا، قَالَ: أَفَلاَ جَارِيَةً تُلاَعِبُهَا وَتُلاَعِبُكَ، قُلْتُ: إِنَّ لِي أَخَوَاتٍ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ امْرَأَةً تَجْمَعُهُنَّ، وَتَمْشُطُهُنَّ، وَتَقُومُ عَلَيْهِنَّ، قَالَ: أَمَّا إِنَّكَ قَادِمٌ، فَإِذَا قَدِمْتَ، فَالكَيْسَ الكَيْسَ [3]، ثُمَّ قَالَ: أَتَبِيعُ جَمَلَكَ، قُلْتُ: نَعَمْ، فَاشْتَرَاهُ مِنِّي بِأُوقِيَّةٍ، ثُمَّ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَبْلِي، وَقَدِمْتُ بِالْغَدَاةِ، فَجِئْنَا إِلَى المَسْجِدِ فَوَجَدْتُهُ عَلَى بَابِ المَسْجِدِ، قَالَ: آلْآنَ قَدِمْتَ، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَدَعْ جَمَلَكَ، فَادْخُلْ، فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، فَدَخَلْتُ فَصَلَّيْتُ، فَأَمَرَ بِلاَلًا أَنْ يَزِنَ لَهُ أُوقِيَّةً، فَوَزَنَ لِي بِلاَلٌ، فَأَرْجَحَ لِي فِي المِيزَانِ، فَانْطَلَقْتُ حَتَّى وَلَّيْتُ، فَقَالَ: ادْعُ لِي جَابِرًا، قُلْتُ: الآنَ يَرُدُّ عَلَيَّ الجَمَلَ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْهُ، قَالَ:

([1]) في رواية عندا أبي يعلى: "قَالَ لَهُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ فَتَخَلَّفَ الْبَعِيرُ". انظر: مسند أبي يعلى الموصلي، مُسْنَدُ جَابِرٍ، (ج٣/ ص٣٢٩)، ح ١٧٩٣، وفي السير عن جابر قال: "خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ مِنْ نَخْلٍ، عَلَى جَمَلٍ لِي ضَعِيفٍ...". انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، (ج٢/ ص٢٠٦).

([2]) ومعنى يحجنه: يضربه بالمحجن عصا محنية الرأس كالصولجان. انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن، (ج١٤/ ص٢٠٧).

([3]) الكيس الكيس: "فَكَأَنَّهُ جعل طلب الْوَلَد بِالْجِمَاعِ عقلا، وكنى بِهِ عَن الْجِمَاع. وَكَذَلِكَ قَالَ أَبُو عبيد: ذهب بِهَذَا إِلَى طلب الْوَلَد وَالنِّكَاح. وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَان: وَيحْتَمل أَن يكون أمره بالتوقي والحذر من إِصَابَة أَهله إِذا كَانَت حَائِضًا لطول غيبته". انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي، (ج٣/ ص٢٤)

خُذْ جَمَلَكَ وَلَكَ ثَمَنُهُ" [1]. وردت رواية عند البيهقي أن جابر كاد أن يترك جمله: "جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، أَنَّهُ كَانَ يَسِيرُ عَلَى جَمَلٍ لَهُ قَدْ أَعْيَا فَأَرَادَ أَنْ يُسَيِّبَهُ، قَالَ: فَلَحِقَنِي رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَضَرَبَهُ وَدَعَا لَهُ فَسَارَ سَيْرًا لَمْ يَسِرْ مِثْلَهُ" [2].

هذا الحديث فيه فوائد كثيرة، ولكن نأخذ ما يصب في موضوعنا حول القيمة الحضارية المتمثلة في العون والمساعدة من القيادة للجند وهي متمثلة في مساعدة النبي– صلى الله عليه وسلم– بسؤاله عن شأنه، وعند معرفة السبب ومعالجة الأمر، يأتي الإطمئنان على حال الجند بعد المساعدة ثم النصيحة، وعندما علم النبي– صلى الله عليه وسلم– أراد أن يعطي جابرًا شيئًا رُبّما لزواجه، ولكن بطريقة لا تظهر كالصدقة بل أقرب للهدية، وذلك في شراء الجمل ثم رد الجمل وثمنه لجابر– رضي الله عنه–.

هذا الخلق النبيل والقيمة الحضارية العالية في المساعدة وعدم إلحاق المن أو الأذى كما أخبر– عزّ وجلّ–: ﴿ لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾. [البقرة: ٢٦٤]، كل هذا يدل على قيمة حضارية عالية مثلها وطبقها– عليه الصلاة والسلام–، لزرع الخيرية والحضارة في المجتمع المسلم.

المطلب الثاني: التحذير بالنصح من وقوع الأذى

النصح والتحذير متلازمان، في حال الخوف من وقوع الأذى على الفرد أو على المجتمع وفيه غالبًا مراعاة لمشاعر الآخرين، والنبي– صلى الله عليه وسلم– كان يحث على النصح، وهو القائل: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ"[3].

والنصح والتحذير خشية وقوع الأذى هي مرادة لزيادة النفع للناس، وهي أشد ما يحتاجه الناس في الغزوات والحروب، وهي قيمة حضارية عالية حرص عليها النبي– صلى الله عليه

([1]) صحيح البخاري، كِتَابُ البُيُوعِ، بَابُ شِرَاءِ الدَّوَابِّ وَالحُمُرِ، وَإِذَا اشْتَرَى دَابَّةً أَوْ جَمَلًا وَهُوَ عَلَيْهِ ...، (٣/ ٦٢)، ح٢٠٩٧.

([2]) انظر: السنن الكبرى، للبيهقي، كِتَابُ الْبُيُوعِ، بَابُ مَنْ بَاعَ حَيَوَانًا، أَوْ غَيْرَهُ وَاسْتَثْنَى مَنَافِعَهُ مُدَّةً، (ج٥/ ص٥٤٩)، ح ١٠٨٣٥.

([3]) انظر: صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، (ج١/ ص٧٤)، ح ٩٥ – (٥٥).

وسلم– في السلم والحرب، روي عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: " صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَوْمَ حُنَيْنٍ، إِلَى جَنْبِ بَعِيرٍ مِنَ الْمَقَاسِمِ [1]، ثُمَّ تَنَاوَلَ شَيْئًا مِنَ الْبَعِيرِ، فَأَخَذَ مِنْهُ قَرَدَةً، يَعْنِي وَبَرَةً، فَجَعَلَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا مِنْ غَنَائِمِكُمْ، أَدُّوا الْخَيْطَ، وَالْمِخْيَطَ [2]، فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ، وَمَا دُونَ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْغُلُولَ[3] عَـارٌ، عَلَى أَهْلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَشَنَارٌ[4] وَنَارٌ" [5]، هذا الحديث يضع بين يدي الناس قيمة حضارية عظيمة، وهي تختص

([1]) أي: من أموال الغنيمة التي قسمت بين المسلمين. انظر: مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه والقول المكتفى على سنن المصطفى، للهرري، (ج١٦/ ص٤١٣).

([2]) والخِياطُ والمِخْيَطُ: مَا خِيطَ بِهِ، وَهُمَا أَيضاً الإِبرَةُ. انظر: لسان العرب، لابن منظور، (ج٧/ ص٢٩٨).

([3]) الْغُلُولُ: يَغُلُّ غُلُو الْخِيَانَةُ فِي المَغْنَم خَاصَّةً، وَمِنَ الغُلول: غَلَّ يَغُلُّ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: غَلَّ الرجلُ يَغُلُّ إِذا خَانَ لأَنه أَخْذ شَيْءٍ فِي خَفاء. انظر: لسان العرب، لابن منظور، (ج١١/ ص٥٠١).

([4]) الشَّنار: الْعَيْبُ وَالْعَارُ، وَقِيلَ: هُوَ الْعَيْبُ الَّذِي فِيهِ عَارٌ، والشَّنار: أَقبح الْعَيْبِ وَالْعَارِ. يُقَالُ: عَارٌ وَشَنَارٌ، وقَلَّما يُفْردونه مِنْ عَارٍ. انظر: لسان العرب، لابن منظور، (ج٤/ ص٤٣٠).

([5]) سنن ابن ماجه، كِتَابُ الْجِهَادِ، بَابُ الْغُلُولِ، (ج٢/ ص٩٥٠)، ح٢٨٥٠.

سند الحديث: قال ابن ماجه: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ أَبِي سِنَانٍ عِيسَى بْنِ سِنَانٍ، عَنْ يَعْلَى بْنِ شَدَّادٍ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ.=

= دراسة رواة الإسناد: الإسناد فيه:

أَبِي سِنَانٍ عِيسَى بْنِ سِنَانٍ: الحنفي، القَسْمَلِي، الفلسطيني، نزيل البصرة، لين الحديث. انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، (ص: ٤٣٨)، رقم: ٥٢٩٥. قال أبو بكر الأثرم: قلتُ لأبي عَبد اللَّهِ: أبو سنان عيسى ابن سنان؟ فضعفه، وَقَال إسحاق بن منصور، وعباس الدوري، والمفضل بْن غسان الغلابي، وعبد الله بن أحمد الدروقي، عَن يحيى بْن مَعِين: ضعيف، وَقَال يعقوب بْن شَيْبَة السدوسي: أَبُو سنان الشامي، روى عنه حماد بْن سلمة، قال يحيى بْن مَعِين: وهو ثقة، وَقَال أَبُو زُرْعَة، ويعقوب بْن سفيان الفارسي: لين الحديث، وَقَال أَبُو زُرْعَة مرة: مخلط، ضعيف الحديث، وهو شامي قدم البصرة فكتبوا عنه، وَقَال أَبُو حاتم: ليس بقوي في الحديث، وَقَال النَّسَائي: ضعيف، وَقَال ابْن خراش: صدوق، وَقَال في موضع آخر: في حديثه نكرة، روى له الْبُخَارِيّ فِي "الأدب"، وأبو دَاوُد فِي "القَدَر"، والتِّرْمِذِيّ، وابن ماجه. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، (ج٢٢/ ص٦٠٧)، رقم: ٤٦٢٦. قال العجلي: عِيسَى بن سِنَان لَا بَأْس بِهِ. انظر: الثقات، للعجلي، (ج٢/ ص١٩٩)، رقم: ١٤٦٢. وثقه ابن حبان. انظر: الثقات، لابن حبان، (ج٧/ ص٢٣٦)، رقم: ٩٨٤٩. الظاهر ان عدد المجرحين أكثر من عدد المعدلين فيبقى لين الحديث.

يَعْلَى بْنِ شَدَّادٍ: أبو ثابت ابن أوس الأنصاري المدني صدوق نزل الشام. تقريب التهذيب، لابن حجر، (ص: ٦٠٩)، رقم: ٧٨٤٣. روى له أَبُو داود، وابن مَاجَهْ. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، (ج٣٢/ ص٣٨٨)، رقم: ٧١١٤. بعض الائمة توقف في الاحتجاج بخبره، وهو: صلوا في النعال، خالفوا اليهود، ويعلى شيخ مستور، محله الصدق، وقد وثق. انظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، (ج٤/ ص٤٥٧)، رقم:

بالأمانة والنصح لها والإرشاد لها، وتحث على تنمية الوازع الديني لدى الأفراد لما فيه من ضابط قوي في منع السلوكيات الخاطئة البسيطة منها، والتي تؤدي إلى مصائب وكوارث، لذلك كان التوضيح التطبيقي الذي يسبق النصيحة، ثم التحذير من التهاون في هذا العمل والزجر عنه.

ولم يقف النصح والإرشاد والتحذير من الخطأ والأذى فقط في أمور الدين، بل أيضًا كان في أمور الدنيا، منها المحافظة على المظهر الخارجي للمسلم في السلم والحرب من المنظر والرائحة التي قد تفوح منه فلا يرى منه إلا خيرًا، ولا يشم منه ما ينفر النفس، وقد روى ابْنُ عُمَرَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: "أَنَّ النَّبِيَّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ: مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ - يَعْنِي الثُّومَ - فَلاَ يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا" [1]. الحديث فيه قيمة حضارية عالية وهي المحافظة على شعور الآخرين وعدم ايذائهم بأي شكل من الأشكال والصور والهيئات، وهذا الثوم هو مثال وليس للحصر فيندرج تحته كل ما يؤذي من نظر ورائحة، وخصوصًا في أهم الأماكن التي يذهب إليها الناس، وهي دور العبادة "المساجد"، والمقصود "لا يقربن" أي حال حدوث الأذى، فإن زال الألذى جاز له دخلو المسجد للصلاة، كما وردت رواية أخرى عند الأصبهاني: " عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ، قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ، أَكَلُوا مِنَ الثُّومِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، حَتَّى تَذْهَبَ رِيحُهَا مِنْ فِيهِ" [2]،

٩٨٣٥. وثقه ابن حبان. الثقات، لابن حبان، (ج٥/ ص٥٥٦)، رقم: ٦٢١٦. يبقى في الصدوق لكن في حديثنا فهو ثقة لأنه لم يقدح في عدالته أحد إنما القدح لأحاديث أخرى.

تخريج الحديث: أخرجه النسائي في السنن، كِتَابُ قَسْمِ الْفَيْءِ، (ج٧/ ص١٣١)، ح٤١٣٨. (بنحوه وفيه زيادة). عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ مَحْبُوبِ بْنِ مُوسَى، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الْفَزَارِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَيَّاشٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مُوسَى، عَنْ مَكْحُولٍ، عَنْ أَبِي سَلَّامٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، به.

الحكم على الحديث: الحديث اسناده حسن لغيره، لوجود راو لين، له متابعة عند النسائي كما أوضحت في التخريج، وَله شَاهد من حَدِيث أبي هُرَيْرَة رَوَاهُ أَبُو دَاوُد". انظر: مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، للبوصيري، (ج٣/ ص١٧٣). وزقد حكم عليه البوصيري بالحسن فقال: "هَذَا إِسْنَاد حسن. انظر: مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، للبوصيري، (ج٣/ ص١٧٣)..

([1]) صحيح البخاري، كِتَابُ الأَذَانِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الثُّومِ النِّيِّ وَالبَصَلِ وَالكُرَّاثِ، (ج١/ ص١٧٠)، ح٨٥٣.

([2]) انظر: معرفة الصحابة، لأبي نعيم، بَابُ الْكُنَى، بَابُ الْقَافِ، (ج٦/ ص٢٩٩٢)، ح ٦٩٥٧. إسناده صحيح ورواته كلهم ثقات، قال فيه الهيثمي: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي الْقَاسِمِ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ، وَلَمْ أَجِدْ

وقد نقل الإمام ابن عبد البر عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قوله في هذه المسألة فقال: " إنكم أيها الناس تأكلون من شجرتين ما أراهما إلا خبيثتين هذا البصل والثوم ولقد رأيت نبي الله إذا وجد ريحها من الرجل أمر به فأخرج إلى البقيع فمن أكلها فليمتهما طبخا فهذا عمر بن الخطاب يجير أكل البصل والثوم مطبوخين على حسبما ذكرنا وهذا هو الصحيح في هذا الباب والله الموفق للصواب" [1].

وهذا النهي حدث في خيبر وهي بعيدة عن المدينة، لذلك ليس المقصود في الحديث – بمسجدنا– هو المسجد النبوي بالمدينة، بل مصلى كانوا يصلون به في خيبر، وقد أشار لذلك الشنقيطي، فقال: "فكان الذي حمل الداودي على ذلك قوله في الحديث: "فلا يقربنَّ مسجدَنَا"؛ لأنّ الظاهر أن المراد به مسجد المدينة؛ فلهذا حمل الخبر على ابتداء التوجه إلى خيبر أو الرجوع إلى المدينة، لكن حديث أبي سعيد[2] المار دال على أن القول المذكور صدر منه – صلى الله عليه وسلم– عقب فتح خيبر فعلى هذا، فقوله: "مسجدنا" يريد المكان الذي أُعدّ ليصلي فيه مدة إقامته هناك، أو المراد بالمسجد الجنس، والإضافة إلى المسلمين أي: فلا يقربنَّ مسجد المصلين" [3].

لذلك كان هناك تواصل دائم بين النبي– صلى الله عليه وسلم–، كقائد للجند وبين جنده ناصحًا لهم، ومرشدًا لهم، يلجأوا إليه عند السؤال وطلب النصح والاستيضاح لعدم الوقوع في الخطأ والأذى، فهذه قيمة حضارية عالية تدعم جسور الثقة بين القيادة والجند في بناء وصقل جيل يؤمن بالحضارة وعمارة الأرض بلا فساد أو إفساد.

مَنْ ذَكَرَهُ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ مُوَثَّقُونَ. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، (ج٢/ ص١٧)، رقم: ١٩٩٣. والحديث له شواهد في الصحيحين تقوي إسناده.

([1]) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، (ج٦/ ص٤٢٤).

([2]) مقصد المؤلف عن الحديث في صحيح الإمام مسلم. انظر: صحيح مسلم، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ نَهْيِ مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا أَوْ كُرَّاثًا أَوْ نَحْوَهَا، (١/ ٣٩٥)، ح٧٦ – (٥٦٥).

([3]) انظر: كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، للشنقيطي، (ج٩/ ص٤٤٦).

المطلب الثالث: الحث على التنويع في الأعمال الصالحة

الحث على العمل الخيري مهم جدًا وذو قيمة حضارية عالية، والأجمل أن يكون الحث على تنويع الأعمال الصالحة لينتفع من خيرها المسلم، وينتفع من تنوعها كثير من الناس، وتذكير الناس بالعمل الخيري في السلم والحرب لهو دليل على حضارية هذا الدين، وأنه دين حياة راقية حضارية يتفانى فيها الجميع لبناء حضارة ذات رقي وتقدّم، وقد وصف الصحابي الجليل عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- رجوع الجيش إلى المدينة بعد الغزو، فقال: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، كَانَ إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ، يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الأَرْضِ ثَلاَثَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ [1]، في هذا الحديث قيمة حضارية عالية وهي متمثلة في انتهاء الغزو بخير لمن قفل ورجع منهم بأن يشكروا الله تعالى على هذه النعمة، والانتباه لما بعد ذلك من الطاعات وقد تكلم بذلك العراقي، فقال: "قَدْ يُزَادُ أَوْبٌ مَخْصُوصٌ، وَهُوَ الرُّجُوعُ عَنْ الْمُخَالَفَةِ إلَى الطَّاعَةِ أَوْ التَّفَاؤُلُ بِذَلِكَ أَوْ الْإِعْلَامُ بِأَنَّ السَّفَرَ الْمَقْصُودَ قَدْ انْقَضَى فَهُوَ اسْتِبْشَارٌ بِكَمَالِ الْعِبَادَةِ وَالْفَرَاغِ مِنْهَا وَحُصُولِ الْمَقْصُودِ وَالظَّفَرِ بِهِ" [2].

وفي هذا الذكر الوارد قيمة حضارية عالية تجلت عند النبي- صلى الله عليه وسلم-، وهي نصحه وإرشاده وتعليمه للصحابة- رضي الله عنهم- لحرصه على أمته، ولما في فضيلة الذكر من ثواب عظيم عند الله- عزّ وجلّ-، وقد أشار لذلك الدكتور موسى لاشين، فقال: "ما كان عليه- صلى الله عليه وسلم- من حرصه على أمته وشفقته عليهم مصداقًا لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

([1]) صحيح البخاري، أَبْوَابُ العُمْرَةِ، بَابُ مَا يَقُولُ إِذَا رَجَعَ مِنَ الحَجِّ أَوِ العُمْرَةِ أَوِ الغَزْوِ، (ج٣/ ص٧)، ح١٧٩٧.

([2]) انظر: طرح التثريب في شرح التقريب، للعراقي، (ج٥/ ص١٨٦).

[التوبة: ١٢٨]، وفضيلة الذكر بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وقد أخرج الحاكم إذا قال العبد: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قال الله: أسلم عبدي واستسلم" [١].

لذلك كان النصح للمصلحة والخير نابع من الحرص من الناصح على المنتصح لينال خير هذه النصيحة وهذه قيمة حضارية عالية تواجدت في السلم والحرب عند النبي– صلى الله عليه وسلم–، لصحابته الكرام– رضي الله عنهم–، ولمن تبعهم من بعده.

المبحث السابع: السمع والطاعة من المحبة:

المحبة التي تركت أثرًا كبيرًا بين الصحابة الكرام لرسول الله– صلى الله عليه وسلم– في السلم والحرب، جعلت الصحابة– رضي الله عنهم– يتفانون ويتسابقون في طاعة رسول الله– صلى الله عليه وسلم– وتنفيذ ما يأمرهم به هذه الآثار الواضحة من سرعة استجابة منهم، ومن عتاب النبي– صلى الله عليه وسلم– لبعضهم إذا أخطأ والعتاب من باب المحبة لأنّ الأصل في المعاتبة الرجوع عن الإساءة، وهي في اللغة: " عَتَبْتُ عَلَى فُلَانٍ عَتْبًا وَمَعْتَبَةً، أَيْ وَجَدْتُ عَلَيْهِ. ثُمَّ يُشْتَقُّ مِنْهَا فَيُقَالُ: أَعْتَبَنِي، أَيْ تَرَكَ مَا كُنْتُ أَجِدُ عَلَيْهِ وَرَجَعَ إِلَى مَسَرَّتِي؛ وَهُوَ مُعْتِبٌ رَاجِعٌ عَنِ الْإِسَاءَةِ" [٢]، لذلك العتاب والمراجعة المحمودة التي تصب في باب المحبة هي التي تبني جسور الثقة بين الناس، وتنمي روح التعاون والتكافل فيما بينهم، وتدفع بفروض الطاعة المبنية على ثقة الجند بقيادتها، وقد اشتمل هذا المبحث على مطلبين وهما:

المطلب الأول: المسارعة في الطاعة

السمع والطاعة مرتبطان ارتباطًا وثيقًا بالمحبة التي هي مرتبطة بالثقة التي أعطتها القيادة التي قدمت فروض المحبة والتعاون والحرص الذي أدى إلى السمع والطاعة بإخلاص ومبادرة في الأعمال ومسارعة وتنافس في طاعة القيادة المتمثلة في رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، وهذا ما رواه الصحابي الجليل عبد الله بْن أَبِي أَوْفَى– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–، يَقُولُ: " أَصَابَتْنَا مَجَاعَةٌ لَيَالِيَ خَيْبَرَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ وَقَعْنَا فِي الحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ، فَانْتَحَرْنَاهَا، فَلَمَّا غَلَتِ

---

(١) انظر: المنهل الحديث في شرح الحديث، لموسى شاهين لاشين، (ج٣/ ص٢٥٣).

(٢) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (ج٤/ ص٢٢٦).

القُدُورُ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَكْفِئُوا القُدُورَ، فَلاَ تَطْعَمُوا مِنْ لُحُومِ الحُمُرِ شَيْئًا" [١]، هذا الحديث الشريف يصف حال المسلمين حال الغزو وما أجهدهم من الجوع، وأمامهم الحمر الأهلية أو الإنسية، التي لم تكن قد حرمت بعد، فيذبحونها ويطبخونها وتغلي القدور بها، وعندئذ يأتي الأمر من النبي– صلى الله عليه وسلم– بمنع أكلها، بل ويجب أن تقلب القدور بهذه اللحوم، والملفت للنظر هو سرعة السمع والطاعة فهي مثالية وقياسية بالرغم من الجوع الشديد، وقُرب نضوج اللحم تقلب هذه القدور، كما في رواية عند البخاري: "إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانِكُمْ عَنْ لُحُومِ الحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ، فَإِنَّهَا رِجْسٌ، فَأُكْفِئَتْ القُدُورُ، وَإِنَّهَا لَتَفُورُ بِاللَّحْمِ" [٢]، هذه الطاعة ليست عمياء كما يظن البعض، لأنّه دار حوار حول هذا التحريم، وسببه كما ورد في تكملة الحديث من نفس الرواية: فَقُلْنَا: إِنَّمَا نَهَى النَّبِيُّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لِأَنَّهَا لَمْ تُخَمَّسْ، قَالَ: وَقَالَ آخَرُونَ: حَرَّمَهَا أَلْبَتَّةَ، ويقول أبو إسحاق الشيباني: سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ فَقَالَ: حَرَّمَهَا أَلْبَتَّةَ [٣]، لكن الطاعة كانت تنافسية سريعة في تنفيذ أمر رسول الله– صلى الله عليه وسلم– في تسليم تام أن هذا الأمر في صالحهم العام.

هذه القيمة الحضارية التي حدثت من الصحابة– رضي الله عنهم– كانت أثرًا من منهاج النبي– صلى الله عليه وسلم– وجسور الثقة التي بنيت حتى أن الرجل أصبح يحب رسول الله– صلى الله عليه وسلم– أكثر من نفسه، لقول النَّبِيّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: " ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا" [٤]، لذلك كانت هذه قيمة حضارية عالية السمو والرقي في مجتمع اعتاد على الثقة والأمان بين القيادة والجند.

---

(١) صحيح البخاري، كِتَابُ فَرْضِ الخُمُسِ، بَابُ مَا يُصِيبُ مِنَ الطَّعَامِ فِي أَرْضِ الحَرْبِ، (ج٤/ ص٩٦)، ح٣١٥٥.

(٢) انظر: المرجع السابق، كِتَابُ الذَّبَائِحِ وَالصَّيْدِ، بَابُ لُحُومِ الحُمُرِ الإِنْسِيَّةِ (ج٧/ ص٩٦)، ح ٥٥٢٨.

(٣) انظر: المرجع السابق، كِتَابُ فَرْضِ الخُمُسِ، بَابُ مَا يُصِيبُ مِنَ الطَّعَامِ فِي أَرْضِ الحَرْبِ، (ج٤/ ص٩٦)، ح٣١٥٥.

(٤) انظر: صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ بَيَانِ خِصَالٍ مَنِ اتَّصفَ بِهِنَّ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، (ج١/ ص٦٦)، ح ٦٧ – (٤٣).

المطلب الثاني: العتاب لمن لا يشك في طاعته

العتاب يكون لأجل المحبة، ويحدث فتور خلال هذه المحبة فيحصل العتاب لترجع أواصر المحبة كما ذي قبل، فلا يعقل أن يكون العتاب لمزيد من الخصام والمشاحنة، بل لتلين القلوب، وفي الغزو قد يحدث بعض الخذلان أو بعض الأمور الخاطئة التي تسبب فجوة في العمل الحربي أو تجهيز الجيوش، فمنها ما تكون متعمدة منظمة لإفشال تجهيز الجيش أو عفوية بدون قصد، لكن يترتب عليها أثر سيء وهذا ما حدّث به كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: " لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي تَخَلَّفْتُ عَنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتَبْ أَحَدٌ تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ" [1]، هذه الغزوة التي كانت لها خصوصيتها من بين الغزوات فهي أول غزوة خارج جزيرة العرب، وهي أول غزوة تكون ضد غير العرب من الكفار، وهي أول غزوة يصرح بوجهتها رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، وهي جاءت في وقت شديد الحرارة، وهو السبب الذي دعا المنافقون إلى مقاطعة الغزوة، وذلك في قوله تعالى:﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ﴾. [التوبة: ٨١]، فبعد رجوع النبي- صلى الله عليه وسلم-، بدأ المنافقون في سرد أعذار كاذبة، لكن كعب بن مالك- رضي الله عنه- كان ناويًا عازمًا على الخروج لكن تأخره في التجهيز لكسل، أو ما شابه جعل الوقت يسبقه، وهو واضح في سرده في رواية أخرى: "وَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالمُسْلِمُونَ مَعَهُ، فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِي حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الجِدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَالمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا، فَقُلْتُ أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، ثُمَّ أَلْحَقُهُمْ، فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لِأَتَجَهَّزَ" [2]، وكانت لكعب- رضي الله عنه- خصيصة عند النبي- صلى الله عليه وسلم- فقد ذكره في تبوك باسمه، فقال: "وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى

([1]) صحيح البخاري، كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ قِصَّةِ غَزْوَةِ بَدْرٍ، (ج٥/ ص٧٢)، ح٣٩٥١.

([2]) انظر: صحيح البخاري، كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا} [التوبة: ١١٨]، (ج٦/ ص٤)، ح٤٤١٨.

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ: وَهُوَ جَالِسٌ فِي القَوْمِ بِتَبُوكَ: مَا فَعَلَ كَعْبٌ" [1]، حتى رجع النبي- صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة، وجلس لكعب معاتبًا له قائلا له: "مَا خَلَّفَكَ، أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ" [2]، ومقصوده: أَي مَا تركب عَلَيْهِ [3].

كل هذا الاهتمام من النبي- صلى الله عليه وسلم- يدل على حبه لكعب- رضي الله عنه-، ومعاتبته هي قيمة حضارية عالية في المحبة، واستغرابه من تخلفه عن اللحاق بالجيش لذلك حمل كعب همًا كبيرًا عندما أيقن بقرب وصول رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، وعندما تكلّم بالصدق وصدقه رسوله الله وعاتبه على ما فعل ونزل به عقابا حتى جاء العفو والمغفرة من الله عزو وجل وتاب عليه، إنّه هو التواب الرحيم.

المبحث الثامن: المحبة والوفاء

المحبة التي زرعها النبي- صلى الله عليه وسلم-، في نفوس الآخرين يعطي انطباع قوي من الثقة والأمان، وهو قيمة حضارية عالية سواء تواجدت في السلم أو في الحرب، ولكنها في الحروب أبلغ وأقوى، وتؤدي لقيمة حضارية مرتبطة بها وهي الوفاء بهذا الحب الصادق والمحافظة على العهود والمواثيق، والنبي- صلى الله عليه وسلم- كان يلقب قبل البعثة بالصادق الأمين، وبقيت هذه الأخلاق متواجدة وتنمو بين المسلمين في السلم والحرب الصدق في القول والعمل والوفاء بالعهود المترتب على الصدق والمحبة، وهذا المبحث يحتوي على هاتين القيميتين الحضاريتين العظيمتين، وينقسم إلى مطلبين هما:

المطلب الأول: تصدر الأفعال الحميدة

المحبة هو ميزة جميلة وخصلة حميدة وقيمة حضارية عالية السمو، وتكون أبلغ في المجتمع ومؤثرة عندما تكون من القيادة والحكام مع شعوبهم، فهي تورث الثقة والأمان والحب

([1]) انظر: المرجع السابق، كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا} [التوبة: ١١٨]، (ج٦/ ص٤)، ح٤٤١٨.

([2]) انظر: المرجع السابق، (ج٦/ ص٤)، ح٤٤١٨.

([3]) انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي، (ج٢/ ص١٢٧).

والوئام بهذه القيادة، ورسول الله– صلى الله عليه وسلم– هو الصادق الأمين، وهي من بيّن الخصال القيمة التي نشرت محبة الناس له، فكانت الناس تتسابق في طاعة رسول الله– صلى الله عليه وسلم– وفعل ما يحب ويقبله، وقد وقعت واقعة جميلة ترويها أم المؤمنين عَائِشَةُ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا–، قَالَتْ: "وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُصْطَلِقِ فِي سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، أَوِ ابْنِ عَمٍّ لَهُ فَكَاتَبَتْ عَلَى نَفْسِهَا، وَكَانَتِ امْرَأَةً مَلَّاحَةً [1]، تَأْخُذُهَا الْعَيْنُ، قَالَتْ: عَائِشَةُ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا– فَجَاءَتْ تَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي كِتَابَتِهَا فَلَمَّا قَامَتْ عَلَى الْبَابِ فَرَأَيْتُهَا كَرِهْتُ مَكَانَهَا وَعَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– سَيَرَى مِنْهَا مِثْلَ الَّذِي رَأَيْتُ، فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ وَإِنَّمَا كَانَ مِنْ أَمْرِي مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ وَإِنِّي وَقَعْتُ فِي سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ[2]، وَإِنِّي كَاتَبْتُ عَلَى نَفْسِي فَجِئْتُكَ أَسْأَلُكَ فِي كِتَابَتِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: فَهَلْ لَكِ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ؟، قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: «أُؤَدِّي عَنْكِ كِتَابَتَكِ وَأَتَزَوَّجُكِ»، قَالَتْ: قَدْ فَعَلْتُ، قَالَتْ: فَتَسَامَعَ– تَعْنِي النَّاسَ– أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، قَدْ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ، فَأَرْسَلُوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ السَّبْيِ، فَأَعْتَقُوهُمْ، وَقَالُوا: أَصْهَارُ رَسُولِ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَمَا رَأَيْنَا امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا، أُعْتِقَ فِي سَبَبِهَا مِائَةُ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ" [3].

([1]) أي: كثيرة الملاحة والحسن. انظر: شرح سنن أبي داود، لابن رسلان، (ج١٦/ ص٢٢).

([2]) ثابت بن قيس بن شمّاس بن زهير، الأنصاريّ الخزرجي، خطيب الأنصار، لم يذكره أصحاب المغازي في البدريّين، وقالوا: أول مشاهده أحد، وشهد ما بعدها، وبشّره النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلم بالجنة في قصة شهيرة رواها موسى بن أنس عن أبيه، أخرج أصل الحديث مسلم، عن أنس قال: لما انكشف الناس يوم اليمامة قلت لثابت بن قيس: ألا ترى يا عم، ووجدته يتحنّط، فقال: ما هكذا كنّا نقاتل مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم، بئس ما عوّدتم أقرانكم. اللّهمّ إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، ومما صنع هؤلاء، ثم قاتل حتى قتل. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، (ج١/ ص٥١١)، رقم: ٩٠٦.

([3]) سنن أبي داود، كِتَاب الْعِتْقِ، بَابٌ فِي بَيْعِ الْمُكَاتَبِ إِذَا فُسِخَتِ الْكِتَابَةُ، (٤/ ٢٢)، ح٣٩٣١.

سند الحديث: قال أبو داود: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ يَحْيَى أَبُو الْأَصْبَغِ الْحَرَّانِيُّ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ يَعْنِي ابْنَ سَلَمَةَ، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ.

تخريج الحديث: لم يخرج له أصحاب الكتب الستة، ولكن أخرج له الحاكم في مستدركه، (ج٤/ ص٢٨)، ح٦٧٨١. عَنْ يَزِيدَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ قُسَيْطٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ ثَوْبَانَ، عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. (بمثله).

إنَّ الصدق الذي زرعه النبي– صلى الله عليه وسلم– في نفوس الصحابة الكرام– رضي الله عنهم– نما في قلوبهم، مما أدى إلى المسارعة في التنافس في التقدير لأصهار رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، وبدا واضحًا من هذا الحديث مدى القيم الحضارية في عهد النبي– صلى الله عليه وسلم–، وبمجرد ما تزوج من جويرية– رضي الله عنها–، سارع الناس بإعتاق السبايا، وهم يقولوا أصهار رسول الله– صلى الله عليه وسلم–.

هذا التقدير الذي بادر به الصحابة– رضي الله عنهم–، في الحب والاحترام، والتنافس في اسعاد النبي– صلى الله عليه وسلم– بالدافع الذاتي لفعلهم والذي مصدره، هو ما زرعه النبي– صلى الله عليه وسلم– من قيم حضارية عالية.

المطلب الثاني: الوفاء بالعهود

الصدق باب كبير يندرج تحته عدد لا حصر له من القيم الحضارية النبيلة التي منها الوفاء بالعهود، وقد وصف الله تعالى أهل الإيمان والتقوى في كتابه، فقال: ﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾. [الرعد: ٢٠]، وعلَّق القرطبي الآية، فقال: "قَوْلُهُ تَعَالَى: الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ هَذَا مِنْ صِفَةِ ذَوِي الْأَلْبَابِ، أَيْ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ الْمُوفُونَ بِعَهْدِ الله" [١]، وفي المقابل ذم الله– عزّ وجلّ– من ينقض المواثيق، فقال: ﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾. [البقرة: ١٠٠].

وقد حض الإسلام على هذه القيمة الحضارية العظيمة التي تعطي بابًا واسعًا في الأمن والثقة، وهي أبلغ ما تكون في زمن الغزو والحروب التي هي ميدان للقتل، والدم تكون هذه القيمة الحضارية متواجدة وتحترم من القيادة لجندها ولغيرهم، وقد حدّث صفوان بن أمية في

دراسة رواة الاسناد: في إسناده:

١–**أبو بكر مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ:** بن يسار، المطلبي، مولاهم المدني، نزيل العراق، إمام المغازي، صدوق يدلس ورمي بالتشيع والقدر، سبقت ترجمته ودراسته. انظر: (ص)١٢٨.

الحكم على الحديث: الحديث حسن الاسناد لوجود ابن إسحاق وقد توبع كما وضحت في التخريج، وقد صححه ابن حبان. انظر: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لابن حبان، (ج٩/ ص٣٦٢)، ح٤٠٥٥.

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (ج٩/ ص٣٠٧).

حادثة كانت معه، فقال: " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، اسْتَعَارَ مِنْهُ أَدْرَاعًا يَوْمَ حُنَيْنٍ فَقَالَ: أَغَصْبٌ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: لَا، بَلْ عَمَقٌ مَضْمُونَةٌ" [1]. معلوم أنَّ الصدق والوفاء بالعهد وانفاذ العهد هو قيمة حضارية عالية في زمن الحرب والسلم، وهي تأتي بطريقة تناسقية بين

([1]) سنن أبي داود، أَبْوَابُ الْإِجَارَةِ، بَابٌ فِي تَضْمِينِ الْعَوَرِ، (ج٣/ ص٢٩٦)، ح٣٥٦٢.

سند الحديث: قال أبو داود: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَسَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، حَدَّثَنَا شَرِيكٌ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ، عَنْ أُمَيَّةَ بْنِ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، عَنْ أَبِيهِ.

شريك هنا هو النخعي لقول ابن رسلان: أنبأنا شريك بن عبد الله النخعي". انظر: شرح سنن أبي داود، لابن رسلان، (ج١٤/ ص٥٧١).

تخريج الحديث: أخرجه أبو داود من طريق أخرى في السنن، أَبْوَابُ الْإِجَارَةِ، بَابٌ فِي تَضْمِينِ الْعَوَرِ، (ج٣/ ص٢٩٧)، ح٣٥٦٦. عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُسْتَمِرِّ الْعُصْفُرِيِّ، عَنْ حَبَّانَ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَعْلَى، به. (بمثله).

دراسة رواة الإسناد: في إسناده:

١-أبو عبد الله، شريك بن عبد الله: النخعي، الكوفي، القاضي بواسط، ثم الكوفة، صدوق يخطىء كثيرا تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة وكان عادلا فاضلا عابدا شديدا على أهل البدع، مات سنة سبع أو ثمان وسبعين. انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، (ص: ٢٦٦)، رقم:٢٧٨٧.

قَال يزيد بْن الهيثم البادا: سمعت يحيى بْن مَعِين يَقُول: شَرِيك ثقة، وهو أحب إلي من أبي الأَحوص وجرير، ليس يقاس هؤلاء بشَرِيك، وهو يروي عَنْ قوم لم يرو عنهم سُفْيَان.

وَقَال أيضا: قلت ليحيى بْن مَعِين: روى يحيى بْن سَعِيد القطان، عَنْ شَرِيك. قال: لم يكن شَرِيك عند يحيى بشيءٍ، وهو ثقة ثقة.

وَقَال أَبُو يَعْلَى الموصلي: قلت ليحيى بْن مَعِين: أيما أحب إليك جرير أو شَرِيك؟ قال: جرير. فقيل له: أيما أحب إليك شَرِيك أو أَبُو الأحوص؟ فقال: شَرِيك أحب إلي. ثم قال: شَرِيك ثقة إلا أنه لا يتقن ويغلط ويذهب بنفسه على سُفْيَان وشعبة.

وَقَال معاوية بْن صالح، عَنْ يحيى بْن مَعِين: شَرِيك صدوق ثقة إلا أنه إذا خالف فغيره أحب إلينا منه.

وَقَال عَبْد الجبار بْن مُحَمَّد الخطابي: قلت ليحيى بْن سَعِيد: زعموا أن شَرِيكا إنما خلط بأخرة. قال: ما زال مخلطا.

وَقَال أَحْمَد بْن عَبد اللَّهِ العجلي: كوفي ثقة وكَانَ حسن الحديث، وكَانَ أروى الناس عنه إسحاق بْن يوسف الأزرق الواسطي، سمع منه تسعة آلاف حديثا، واستشهد بِهِ الْبُخَارِيّ فِي "الجامع"وروى له فِي "رفع اليدين فِي الصلاة"وغيره. وروى له مسلم فِي "المتابعات"، واحتج بِهِ الباقون. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، (ج١٢/ ص٤٦٨).

الحكم على الحديث: الحديث حسن الاسناد، وله متابعة عند أبي داود من طريق أخرى كما بينت في التخريج سالفا، وقد حكم عليه بعض العلماء منهم الحاكم فقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وعلق الذهبي عليه فقال: على شرط مسلم. انظر: المستدرك على الصحيحين، للحاكم، (ج٢/ ص٥٤)، ح٢٣٠١.

المسلمين وقيادتهم، لكن ما أروعها ولا أجملها عندما تكون من القيادة المسلمة المتمثلة في النبي– صلى الله عليه وسلم– وبين الكفار، بين القيادة المنتصرة، وبين رجل من الكفار من المنهزمين، بعد فتح مكة، تأتي القيادة المسلمة بطلب استعارة أدوات للحرب، عارية مردودة بعد الانتهاء، فيسلم صفوان ويقول أغصبا، من باب الاطمئنان هل ستؤخذ منه غصبًا أم عارية، فأخبره رسول الله– صلى الله عليه وسلم– بأنّها عارية، وقد جاء في رواية عند الدارقطني في سننه عند رد الأدراع، وهي: " فَضَاعَ بَعْضُهَا فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: إِنْ شِئْتَ غَرَمْتُهَا، قَالَ: لَا، أَلَا إِنَّ فِي قَلْبِي مِنَ الْإِسْلَامِ غَيْرَ مَا كَانَ يَوْمَئِذٍ" [1].

هذا الرد من صفوان أثرة مما رأى من صدق الإسلام في الحرب، وفي السلم في النصر وفي الهزيمة في المنشط والمكره، لذلك كانت قيمة حضارية عالية، ومتينة في بناء مجتمع حضاري يطمح الجميع للانضمام إليه.

المبحث التاسع: المرأة والطفل ومكانتهما

المرأة هي الحلقة الأخطر والأضعف في المجتمع وخطورتها متمثلة في أنّها لبنة أساسية في بناء المجتمع، وفي بناء الأسرة، فهي من ترعى البيت، ومن تربي الطفل في غياب الرجل لجلب الرزق، والأضعف في العاطفة والحاجة الملحة للتوجيه والإرشاد والانفاق من الرجل، لذلك جعل الله تعالى القوامة للرجل في قوله تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾. [النساء: ٣٤]، فالمرأة لا تستطيع العيش بهدوء وسعادة بدون رجل يحافظ عليها، فكان أداء الحقوق لها في الغزو وفي السلم، والالتزام بها بمثابة قيم حضارية عالية، وهي ما سنتطرق إليه في هذا المبحث المشتمل على أربعة مطالب، وهي:

المطلب الأول: الحرية والزواج

الزواج في ذاته ليس قيمة حضارية، هو في الشرع واقع تحت التكاليف الشرعية الخمسة، وهو طريقة شرعية لضمان النسل البشري في الأرض، ولكن المرأة لها مكانة خاصة

([1]) انظر: سنن الدارقطني، كِتَابُ الْبُيُوعِ، (ج٣/ ص٤٥٣)، ح ٢٩٥٦.

في المجتمع وهي ضعيفة للعيش لوحدها، وكقيمة حضارية عالية السمو أعطى النبي– صلى الله عليه وسلم– هذه القيمة للمرأة للزواج بها، وليس عليها الانتظار مدة من الزمن، أو أن الوقت لا يناسب كذا أو كذا، بل لتفعيل ما يلزم المرأة عدالة لحالها بألا تترك بلا زواج بحجة الحرب أو الغزو، وهي قيمة حضارية للرجل والمرأة في تطبيق حدود الله والمحافظة على النفس، وأن ميدان القتال ليس مكان للموت، بل فيه مكان للحياة، وفي خيبر يروي الصحابي الجليل أَنَسٌ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، قَالَ: "صَلَّى النَّبِيُّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الصُّبْحَ قَرِيبًا مِنْ خَيْبَرَ بِغَلَسٍ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ ﴿ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴾. [الصافات: ١٧٧]. فَخَرَجُوا يَسْعَوْنَ فِي السِّكَكِ، فَقَتَلَ النَّبِيُّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–المُقَاتِلَةَ، وَسَبَى الذُّرِّيَّةَ، وَكَانَ فِي السَّبْيِ صَفِيَّةُ، فَصَارَتْ إِلَى دَحْيَةَ الكَلْبِيِّ، ثُمَّ صَارَتْ إِلَى النَّبِيِّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَجَعَلَ عِتْقَهَا صَدَاقَهَا" [1]. في هذا الحديث الشريف وقعت صفية بنت حيي– رضي الله عنها– سبية عند المسلمين عند الصحابي دحية الكلبي– رضي الله عنه–، فلما أشير عليه أن يتزوج بها صارت عنده، وأعتقها فكان مهرها، والحاصل أن النبي– صلى الله عليه وسلم– كان ممكنًا أن تكون له جارية ويتمتع بها لكن للدلالة على قيمة الحرية، والخروج من العبودية إلا لله هي قيمة حضارية عالية السمو والمكانة.

المطلب الثاني: الرفق واللطف مع المرأة

قد يظن الظآن أن الحرب والغزو والمشقة والتعب تجعل الحياة العسكرية التي في الميدان كما يعتقدون تنتقل إلى البيت فيعرف عنه الشدة وسوء الطباع وتخشاه الزوجة والأولاد، ولكن النبي– صلى الله عليه وسلم– كما عرف بالشدة والبأس على الأعداء في أرض المعركة، كان رفيقًا رحيمًا بنسائه حتى حال عودته من الغزو ووعثاء السفر، عَنْ عَائِشَةَ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا–، قَالَتْ: " قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، أَوْ خَيْبَرَ وَفِي سَهْوَتِهَا سِتْرٌ، فَهَبَّتْ رِيحٌ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعَبٍ، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟» قَالَتْ: بَنَاتِي، وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ، فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَسْطَهُنَّ؟ قَالَتْ: فَرَسٌ، قَالَ: وَمَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ؟ قَالَتْ: جَنَاحَانِ، قَالَ: فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ؟ قَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ

([1]) صحيح البخاري، كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ غَزْوَةِ خَيْبَرَ، (ج٥/ ص١٣٢)، ح٤٢٠٠.

خَيْلًا لَهَا أَجْنِحَةٌ؟ قَالَتْ: فَضَحِكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ" [1]. ففي الحديث أنه جالس عائشة- رضي الله عنها-، واستمع إليها، وضحك منها، ففي هذا قيمة حضارية عالية السمو في الرحمة والرفق بالنساء، وكما علّق الولوي على الحديث فقال: "بيان لُطف النبيّ- صلى الله عليه وسلم-، وحُسْن معاشرته، فمن ذلك أنه كان يترك عائشة- رضي الله عنها- تلعب بالبنات مع

([1]) سنن أبي داود، كِتَاب الْأَدَبِ، بَابٌ فِي اللَّعِبِ بِالْبَنَاتِ، (ج٤/ ص٢٨٣)، ح٤٩٣٢.

سند الحديث: قال أبو داود: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَوْفٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَارَةُ بْنُ غَزِيَّةَ، أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

تخريج الحديث: لم يخرج له أصحاب الكتب الستة، وقد أخرجه الطبراني في الأوسط، (ج٩/ ص١٧٦)، ح ٩٤٦٢. عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ سُلَيْمَانَ النَّشِيطِيِّ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، (بنحوه).

دراسة رواة الإسناد: في إسناده:

١-**يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ:** أبو العباس يحيى بن أيوب الغافقي المصري صدوق ربما أخطأ مات سنة ثمان وستين. انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، (ص: ٥٨٨)، رقم: ٧٥١١. قال الذهبي: صالح الحديث، قال أبو حاتم: لا يحتج به، وقال النسائي: ليس بالقوي. انظر: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للذهبي، (ج٢/ ص٣٦٢)، رقم: ٦١٣٧. وَقَال إسحاق بْن منصور، عَن يحيى بْن مَعِين: صالح، وَقَال مرة: ثقة، وَقَال عَبْد الرَّحْمَنِ بْن أَبي حَاتِم: سئل أَبِي: يَحْيَى بْن أيوب أحب إليك أو ابْن أَبي الموال؟ قال: يَحْيَى بْن أيوب أحب إلي، ومحل يَحْيَى الصدق، يكتب حديثه ولا يحتج بِهِ، وَقَال أَبُو عُبَيد الآجري: قلتُ لأبي دَاوُد: يَحْيَى بْن أيوب ثقة؟ قال: هُوَ صَالِح يَعْنِي المِصْرِي، وَقَال النَّسَائي: ليس بالقوي، وَقَال في موضع آخر: ليس به بأس، وَقَال أَبُو سَعِيد بْن يُونُس: كَانَ أحد الطلابين للعلم، حدث عَنْ أهل مكة والمدينة والشام وأهل مصر والعراق، وحدث عنه الغرباء بأحاديث ليست عند أهل مصر عنه، قال عَبد اللَّهِ بْن أَحْمَد بْن حنبل، عَن أبيه: سيء الحفظ، وهُوَ دون حيوة وسَعِيد بْن أَبي أيوب فِي الحديث. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، (ج٣١/ ص٢٣٦)، رقم: ٦٧٩٢. وثقه ابن حبان. انظر: الثقات، لابن حبان، (ج٧/ ص٦٠٠)، رقم: ١١٦٥٦.=

=٢-**عُمَارَةُ بْنُ غَزِيَّةَ:** بن الحارث الأنصاري، المازني، المدني، لا بأس به، وروايته عن أنس مرسلة، مات سنة أربعين. انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، (ص: ٤٠٩)، رقم: ٤٨٥٨.قال عَبد اللَّه بْن أَحْمَد بْن حنبل عَن أبيه، وأبو زُرْعَة: ثقة، وَقَال إسحاق بْن منصور، عَن يحيى بْن مَعِين: صالح، وَقَال أَبُو حاتم: ما بحديثه بأس، كَانَ صدوقا، وَقَال النَّسَائي: ليس به بأس، وقال مُحَمَّد بْن سعد: توفي سنة أربعين ومئة، وكان ثقة، كثير الحديث. استشهد به البخاري في "الصحيح"، وروى له في "الأدب" وروى له الباقون. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، (ج٢١/ ص٢٥٨)، رقم: ٤١٩٥. يبقى الراوي صدوق.

الحكم على الحديث: إسناده حسن لوجود راو صدوق، وله متابعة عند الطبراني كما بينت في التخريج، وقد صححه ابن حبان. انظر: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لابن حبان، (ج١٣/ ص١٧٤)، ح٥٨٦٤.

صواحباتها، بل إذا خِفن منه، وانقمعن، يرسلهن إليها، حتى تقضي وَطَرَها من اللعب، وهذا غاية اللطف، وكريم الأخلاق، وحُسْن المعاشرة" [1].

المطلب الثالث: النهي عن قتل الصغار

هذا الدين السمح ذو القيم الحضارية العليا التي تجلت في السلم والحرب، لهو دين قيم يقوم عوج الإنسان ويصحح مسار الخاطئين، ويحافظ على النسل البشري، ويجمع الناس على كلمة لا إله إلا الله، وهنا قيمة حضارية عالية السمو، وفيها استشعار للإنسانية التي فقدت في عالمنا الحالي إلا من رحم ربي، فقد كان النبي- صلى الله عليه وسلم- ينهى عن قتل المسالمين من الكفار وغير المقاتلة من قوم المحاربين، كالنساء والأطفال، فقد كان القتل لمن يؤذي ويقاتل ويحارب دين الله في الأرض، أما غير المحارب فكان لا مانع لوده، كما قال تعالى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾. [الممتحنة: ٨]، وعلّق القرطبي على هذه الآية: "وَقِيلَ: يَعْنِي بِهِ النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ لِأَنَّهُمْ مِمَّنْ لَا يُقَاتِلُ، فَأَذِنَ اللَّهُ فِي بِرِّهِمْ. حَكَاهُ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ" [2]، لذلك كان الأطفال لهم خصيصة في عدم القتل لعدم اشتراكهم في القتال، وقد روى الصحابي الجليل الْأَسْوَدُ بْنُ سَرِيعٍ [3] -رضي الله عنه-، فَقَالَ: "خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فِي غَزَاةٍ [4] فَظَفِرَنَا بِالْمُشْرِكِينَ، فَأَسْرَعَ النَّاسُ فِي الْقَتْلِ حَتَّى قَتَلُوا الذُّرِّيَّةَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ

([1]) انظر: البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، للولوي، (ج٣٩/ ص٦٢).

([2]) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (ج١٨/ ص٥٩).

([3]) هو الصحابي: الأسود بن سريع، بن حمير، بن عبادة، بن النزال، التميمي، السعدي، الشاعر المشهور.

قال عنه البغويّ: كان شاعرا، وكان في أول الإسلام قاصّا، ثم روى من طريق السري بن يحيى، عن الحسن أنه كان أول من قصّ في مسجد البصرة. وقال خليفة: كانت له دار بحضرة الجامع بالبصرة، توفي في عهد معاوية. وقال ابن أبي خيثمة، عن أحمد وابن معين: مات سنة اثنتين وأربعين. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، (ج١/ ص٢٢٦)، رقم: ١٦١.

([4]) في رواية عند الحاكم: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعَثَ سَرِيَّةً يَوْمَ خَيْبَرَ فَقَاتَلُوا الْمُشْرِكِينَ". انظر: المستدرك على الصحيحين، للحاكم، كِتَابُ الْجِهَادِ، وَأَمَّا حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْأَنْصَارِيِّ، (ج٢/ ص١٣٣)، ح ٢٥٦٦.

النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَقَالَ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ ذَهَبَ بِهُمُ الْقَتْلُ حَتَّى قَتَلُوا الذُّرِّيَّةَ؟ أَلَا لَا تُقْتَلَنَّ ذُرِّيَّةٌ ثَلَاثًا" (١).

قتل الأطفال الذين بلفظ الذرية في الحديث منهي عنه، ليس المقصود أطفال المسلمين، بل أطفال الكافرين، وقد وردت في رواية أخرى عند الإمام أحمد: " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا

---

(١) سنن الدارمي، وَمِنْ كِتَابِ السِّيَرِ، بَابُ: فِي النَّهْيِ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ، وَالصِّبْيَانِ، (ج٣/ ص١٦٠١)، ح٢٥٠٦.

سند الحديث: قال الدارمي: أَخْبَرَنَا عَاصِمُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ الْحَسَنِ، عَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ.

تخريج الحديث: لم يخرج له أصحاب الكتب الستة، وقد أخرج له الأصبهاني في الحلية، (ج٨/ ص٢٦٣).

عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ خَلَّادٍ، عَنْ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي أُسَامَةَ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ.

دراسة رواة الإسناد:

الحسن بن أبي الحسن: البصري، واسم أبيه يسار، الأنصاري، مولاهم ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيرا، ويدلس، قال البزار: كان يروي عن جماعة لم يسمع منهم فيتجوز، ويقول حدثنا وخطبنا يعني قومه الذين حُدِّثوا وخُطبوا بالبصرة، هو رأس أهل الطبقة الثالثة، مات سنة عشر ومائة وقد قارب التسعين. انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، (ص: ١٦٠)، رقم: ١٢٢٧.

وَقَال مُحَمَّد بْن أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن أَبي بكر المقدمي: سمعت علي بن المديني، يقول: مُرْسلاَت يحيى بْن أَبي كثير، شبه الريح، ومُرْسلاَت الْحَسَن البَصْرِيّ التي رواها عنه الثقات. صحاح ما أقل ما يسقط منها. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، (ج٦/ ص١٢٢)، رقم: ١٢١٦.

وردت متابعة عند الحاكم فيها تصريح بالتحديث وهي: عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: ثنا الْأَسْوَدُ بْنُ سَرِيعٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، قَالَ: كُنَّا فِي غَزْوَةٍ لَنَا فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِهِ. انظر: المستدرك على الصحيحين، للحاكم، كِتَابُ الْجِهَادِ، وَأَمَّا حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْأَنْصَارِيِّ، (ج٢/ ص١٣٣)، ح٢٥٦٧.

قال ابن حجر: الامام المشهور من سادات التابعين، رأى عثمان، وسمع خطبته، ورأى عليا، ولم يثبت سماعه منه، كان مكثرًا من الحديث، ويرسل كثيرًا عن كل أحد، وصفه بتدليس الاسناد النسائي وغيره. وقد رتبه=

= ابن حجر في المرتبة الثانية في المدلسين. انظر: تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، لابن حجر، (ص: ٢٩)، رقم: ٤٠. وله متابعة كما قال الذهبي فتنتفي علة الارسال والتدليس.

الحكم على الحديث: الحديث اسناده صحيح لانتفاء علة الارسال عند الحسن البصري، وقال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، وتابعه الذهبي فقال: تابعه يونس عن الحسن ثنا الأسود بهذا على شرط البخاري ومسلم. انظر: المستدرك على الصحيحين، للحاكم، كِتَابُ الْجِهَادِ، وَأَمَّا حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْأَنْصَارِيِّ، (ج٢/ ص١٣٣)، ح٢٥٦٧.

كَانُوا أَوْلَادَ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: " أَوَهَلْ خِيَارُكُمْ إِلَّا أَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا مِنْ نَسَمَةٍ تُولَدُ، إِلَّا عَلَى الْفِطْرَةِ حَتَّى يُعْرِبَ عَنْهَا لِسَانُهَا" [1].

هذا النهي ينم عن قيمة حضارية عالية في تحريم قتل الأطفال الذين اليوم أول ما يستباح دمهم، من اليهود الكفرين، في زمن غابت فيه معاني الإنسانية، وفقدت فيه حقوق الطفل والإنسان، لذلك الدين الإسلامي هو دين حياة ورسول الله– صلى الله عليه وسلم–، رسم للقيم الحضارية معان وأدوات لتنفيذها وتطبيقها.

المطلب الرابع: الحفاظ على حقوق المرأة

إعطاء الحقوق التي فرضت في الإسلام لأفراد المجتمع المسلم، هو حق واجب وحق لكل فرد أن يأخذ حقه، لقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: "فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ" [2].

والمحافظة على الحق، لهو قيمة حضارية عالية من قيم العدل، وخصوصًا للطبقة الأضعف في المجتمع وهي المرأة، وقد ورد عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ– رضي الله عنه–، عَنِ النَّبِيِّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، " أَنَّهُ أَتَى بِامْرَأَةٍ مُجِحٍّ[3] عَلَى بَابِ فُسْطَاطٍ، فَقَالَ: لَعَلَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُلِمَّ بِهَا[4]، فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَلْعَنَهُ لَعْنًا يَدْخُلُ مَعَهُ قَبْرَهُ، كَيْفَ يُوَرِّثُهُ وَهُوَ لَا يَحِلُّ لَهُ؟ كَيْفَ يَسْتَخْدِمُهُ وَهُوَ لَا يَحِلُّ لَهُ" [5].

هذه الحادثة وردت عند أبي دواد في سننه [6]، أنها كانت في غزوة، وكانت سبية من السبي حامل قربت ولادتها، ولعله أراد جماعها على حملها، كما وضح ذلك البيضاوي فقال:

([1]) انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند المكيين، حديث الأسود بن سريع، (ج٢٤/ ص٣٥٤)، ح ١٥٥٨٨.

([2]) انظر: صحيح البخاري، كِتَابُ الصَّوْمِ، بَابُ مَنْ أَقْسَمَ عَلَى أَخِيهِ لِيُفْطِرَ فِي التَّطَوُّعِ، وَلَمْ يَرَ عَلَيْهِ قَضَاءً إِذَا كَانَ أَوْفَقَ لَهُ، (ج٣/ ص٣٨)، ح١٩٦٨.

([3]) المُجِحّ: الْحَامِلُ المُقْرِب الَّتي دَنا وِلاَدُها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (ج١/ ص٢٤٠).

([4]) أي: يريد أن يطأها. انظر: شرح سنن أبي داود، لابن رسلان، (ج٩/ ص٥٠١).

([5]) صحيح مسلم، بَابُ تَحْرِيمِ وَطْءِ الْحَامِلِ الْمَسْبِيَّةِ، (ج٢/ ص١٠٦٥)، ح١٣٩ – (١٤٤١).

([6]) انظر: سنن أبي داود، كِتَاب النِّكَاحِ، بَابٌ فِي وَطْءِ السَّبَايَا، (٢/ ٢٤٧)، ح٢١٥٦.

"الإلمام بالمرأة: من كنايات الوطء، وإنما هم بلعنه لتركه الاستبراء، فإنه إذا ألم بأمته التي يملكها، وهي حامل، كان تاركا للاستبراء" [1]، والحفاظ على حقوق المرأة واجب، والحفاظ على نسل الرجل واجب، لكن العدل والوازع الديني الذي يجب أن يتحلى به أفراد المجتمع في الحفاظ على حقوقهم من قيم العدل والرفق بأنفسهم وبالنساء، لذلك كانت قيمة حضارية عالية في الحفاظ على حقوق المرأة وحقوق الحفاظ على النسل والأنساب.

المبحث العاشر: مواساة أهل الشهداء والجرحى والأسرى

أهل الشهداء والجرحى والأسري، لهم مكانة خاصة في المجتمع المسلم، ولهم مكانة كبيرة وعظيمة عند رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، فهو يعلم ما بعد انتهاء المعركة والغزو، يتفقد الأهل ذويهم ويفتقدونهم، فالمرأة تتفقد زوجها، وأباها، وأولادها، والأبناء يتفقدون آباءهم، والمواساة المقصودة هنا ليست عقب الغزو، بل كانت في حياة النبي– صلى الله عليه وسلم– حتى وفاته وانتقاله للرفيق الأعلى، فهم أهل التضحية و الفداء، وواجب الوفاء لذويهم في حياتهم عند خروجهم للجهاد قبل المعركة لقوله– صلى الله عليه وسلم–: "مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ، فَقَدْ غَزَا" [2]، وفي مماتهم بالمواساة وتفقد أهلهم، وفي هذا المبحث سنتناول أربعة مطالب في صور المواساة وهي:

المطلب الأول: تخفيف الحزن على أهالي الشهداء

تخفيف الحزن من صوره المواساة، والود والزيارة لأهل الشهيد، ولكن أيضًا من صوره رؤية الشهيد، ففيها تطبع الصور الأخيرة لأهله في ذاكرتهم، فلو كانت مقطعة أو مشوهة أو ممثل بها، ففي تجنب رؤيتها خير من رؤية هذا المشهد القوي التأثير خصوصًا على المرأة، وقد كانت قيمة أخلاقية عالية عند النبي– صلى الله عليه وسلم– في تجنب النساء رؤية الجثث المقطعة، وقد حدّث الصحابي الجليل الزُّبَيْرُ، فقال: "أَنَّهُ لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أَقْبَلَتِ امْرَأَةٌ تَسْعَى،

([1]) انظر: تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، للبيضاوي، (ج٢/ ص٤١٦).

([2]) انظر: صحيح مسلم، كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ فَضْلِ إِعَانَةِ الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللهِ بِمَرْكُوبٍ وَغَيْرِهِ، وَخِلَافَتِهِ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ، (ج٣/ ص١٥٠٦)، ح ١٣٥ – (١٨٩٥).

حَتَّى إِذَا كَادَتْ أَنْ تُشْرِفَ عَلَى الْقَتْلَى، قَالَ: فَكَرِهَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ تَرَاهُمْ. فَقَالَ: " الْمَرْأَةَ الْمَرْأَةَ ". قَالَ الزُّبَيْرُ: فَتَوَسَّمْتُ أَنَّهَا أُمِّي صَفِيَّةُ، قَالَ: فَخَرَجْتُ أَسْعَى إِلَيْهَا، فَأَدْرَكْتُهَا قَبْلَ أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى الْقَتْلَى، قَالَ: فَلَدَمَتْ [1] فِي صَدْرِي، وَكَانَتِ امْرَأَةً جَلْدَةً [2]، قَالَتْ: إِلَيْكَ لَا أَرْضَ لَكَ [3]، قَالَ: فَقُلْتُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، عَزَمَ عَلَيْكِ" [4]. هذه قيمة حضارية

([1]) الالْتِدَام: ضَرْب النِّسَاءِ وُجوهَهُنّ فِي النِّياحة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (ج٤/ ص٢٤٥).

([2]) الجَلَدُ: القُوّة والصَّبْر. انظر: المرجع السابق، (ج١/ ص٢٨٤).

([3]) وكثيرا ما يرد للعرب ألفاظ ظاهرها الذم وإنما يريدون بها المدح كقولهم لا أب لك ولا أم لك وهوت أمه ولا أرض لك. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني، (ج٢/ ص٢١٢).

([4]) مسند أحمد، مُسْنَدُ بَاقِي الْعَشْرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ، مُسْنَدُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، (ج٣/ ص٣٤)، ح١٤١٨.

سند الحديث: قال أحمد: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْهَاشِمِيُّ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَعْنِي ابْنَ أَبِي الزِّنَادِ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي الزُّبَيْرُ.

تخريج الحديث: لم يخرج له أصحاب الكتب الستة، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، (ج٧/ ص٢٤٤)، ح٦٧٦٦. (بمثله). عن أبي محمدِ بن يوسُفَ، عن أبي سعيدِ بن الأعرابِيّ، عن الحَسَن بن محمدٍ الزعفراني، وعن أبي عبدِ اللَّهِ الحافظ وأبي بكرِ بن الحَسَنِ القاضي، كلاهما عن أبي العباسِ محمد بن يَعقوبَ، عن العباس بن محمدٍ، كلاهما عن إبراهيم بن مَهدِيٍّ، عن يَحيَى بن زَكَرِيّا بنِ أبى زائدَةَ، عن هِشام بن عُروةَ، به. (بنحوه). وقال البزار: وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا نَعْلَمُ رَوَاهُ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الزُّبَيْرِ، إِلَّا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الزِّنَادِ. انظر: البحر الزخار، للبزار، (ج٣/ ص١٩٥). وفي قوله نظر فقد أورد البيهقي متابعة: يحيى بن زكريا، لابن أبي الزناد، في هشام.

دراسة رواة الإسناد: في إسناده:

١-**عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي الزِّنَادِ:** هو ابن عبد الله بن ذكوان، المدني، مولى قريش، صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد، وكان فقيها، ولي خراج المدينة فحمد، مات سنة أربع وسبعين، وله أربع وسبعون سنة.=

= انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، (ص: ٣٤٠)، رقم: ٣٨٦١. قَال صَالِح بْن أَحْمَد بْن حَنْبَلٍ، عَن أَبِيهِ: مضطرب الحديث، وَقَال أبو داود، عَن يحيى بن مَعِين: أثبت الناس في هشام بْن عروة عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبي الزناد، وَقَال أَحْمَد بْن مُحَمَّد بْن القاسم بْن محرز، عَن يحيى بْن مَعِين: ليس ممن يحتج بِهِ أصحاب الحديث، ليس بشيءٍ، وَقَال المفضل بْن غسان الغلابي، ومعاوية بْن صَالِح، عَنْ يحيى بْن مَعِين: ضعيف.

وَقَال يعقوب بْن شَيْبَة: ثقة، صدوق، وفي حديثه ضعف، سَمِعْتُ علي بْن المديني يقول: حديثه بالمدينة مقارب، وما حدث بِهِ بالعراق فهو مضطرب. استشهد به البخاري في الصحيح، وروى له في كتاب "رفع اليدين فِي الصلاة"، وفي كتاب "الأدب". وروى لَهُ مسلم فِي مقدمة كتابه وروى له الباقون. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، (ج١٧/ ص٩٥)، رقم: ٣٨١٦. هناك أمرين الأول: أنه أثبت الناس في هشام بن عروة =

عالية في تجنب النساء رؤية الجثث المقطعة، وقد كره النبي– صلى الله عليه وسلم–على صفية من رؤية أخيها حمزة بن عبد المطلب –رضي الله عنه–، وقد مُثّل بجثته، بالرغم من أنها امراة قوية وصابرة ورسول الله– صلى الله عليه وسلم–، يعلم ذلك فهي عمته، ولكن عندما نادى قال: " المرأة المرأة "، وهذا أيضًا رسالة لنا في غزة الحبيبة بالكف عن تصوير جثث الشهداء المقطعة، وألا تنظر نسائنا وبناتنا لهذه المشاهد والدعاء والترحم على الشهداء والجرحى.

ولم يقتصر النهي ولا الكراهة على النساء، بل كان حتى على الفتية لرقة قلوبهم، كما روى الصحابي الجليل جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–، قَالَ: " لَمَّا قُتِلَ أَبِي جَعَلْتُ أَكْشِفُ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ أَبْكِي، وَيَنْهَوْنِي عَنْهُ، وَالنَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لاَ يَنْهَانِي، فَجَعَلَتْ عَمَّتِي فَاطِمَةُ تَبْكِي، فَقَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: تَبْكِينَ أَوْ لاَ تَبْكِينَ مَا زَالَتِ المَلاَئِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ" [1]، في الحديث قيمة عالية في الحضارة الإنسانية التي تمثلت في عهد النبي– صلى الله عليه وسلم–، وهي المواساة للصحابي الجليل جابر– رضي الله عنه– وهو ينظر لأبيه ويبكي وحوله الصحابة– رضي الله عنهم– يواسونه في نهيه عن رؤية وجه أبيه، ولكن النبي– صلى الله عليه وسلم– لم ينهه لعدم التمثيل بوجهه، ولعمته فاطمة وهي تبكي أخيها فيتكلم رسول الله– صلى الله عليه وسلم– وليبين الهدف والمقصود من الشهادة في سبيله، وهي الفوز بالجنة، ولكن كانت خصيصة للصحابي الجليل عبد الله بن حرام– رضي الله عنه– وهي أن الملائكة تظله بأجنحتها، وهذا دلالة على مكانته الرفيعة بين الشهداء التي

=وحديثه هنا يرويه عن هشام، الأمر الآخر: ما روى عنه سليمان بن داود الهاشمي يعد من المقارب للصحيح وهو حديثنا هنا، فيكون الراوي في هذا الحديث هو صدق حسن حديثه.

الحكم على الحديث: الحديث اسناده لوجود ابن أبي الزناد وقد توبع في رواية عند البيهقي كما بينت في التخريج، وقال الهيثمي: رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو يَعْلَى، وَالْبَزَّارُ، وَفِيهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الزِّنَادِ، وَهُوَ ضَعِيفٌ، وَقَدْ وُثِّقَ. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، (ج٦/ ص١١٨).

قول البزار بتفرد ابن أبي الزناد فيه نظر لوجود متابعة له عند البيهقي من طريق يحيى بن زكريا وتنتفي هنا علة الاختلاط وتغير الحفظ بالمتابعة.

([1]) صحيح البخاري، كِتَابُ الجَنَائِزِ، بَابُ الدُّخُولِ عَلَى المَيِّتِ بَعْدَ المَوْتِ إِذَا أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ، (٢/ ٧٢)، ح١٢٤٤.

تثلج صدور أهالي الشهداء، وقد أنعم الله- تعالى- علينا في العصر الحالين، كيف حال أمهات الشهداء وهن يهتفن ويزغردن فرحًا بالجنة لأولادهن، وحزنًا على الفراق.

ولم يقف الأمر في المواساة في الميدان أو فقط لحظة استشهاد الرجال لمواساة أهلهم، بل امتدت حتى لتطييب الخاطر، وكسر الحزن كما حدّث الصحابي الجليل جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ- رضي الله عنهما-، يَقُولُ: " لَمَّا لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ لِي: يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتُشْهِدَ أَبِي، وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا، قَالَ: أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ؟، قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا، فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ. قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً. قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ، قَالَ: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ:﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾. [آل عمران: ١٦٩] " [1]. تتوالى البشريات وتبليغ أهل الشهداء

([1]) سنن الترمذي، أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، (ج٥/ ص٢٣٠)، ح٣٠١٠.

سند الحديث: قال الترمذي: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبِ بْنِ عَرَبِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ كَثِيرٍ الأَنْصَارِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ طَلْحَةَ بْنَ خِرَاشٍ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ.

تخريج الحديث: أخرجه ابن ماجه في السنن، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، بَابٌ فِيمَا أَنْكَرَتِ الْجَهْمِيَّةُ، (ج١/ ص٦٨)، ح١٩٠. عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُنْذِرِ الْحِزَامِيِّ، وَيَحْيَى بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَرَبِيٍّ، كلاهما: عَنْ مُوسَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ كَثِيرٍ الْأَنْصَارِيِّ الْحِزَامِيِّ، به. (بمثله).

دراسة رواة الإسناد: في إسناده:

١-**مُوسَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ كَثِيرٍ الأَنْصَارِيُّ:** المدني، صدوق يخطئ. انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، (ص: ٥٤٩)، رقم: ٦٩٤٢. قال الذهبي: وثق. انظر: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للذهبي، (ج٢/ ص٣٠١)، رقم: ٥٦٧٦. وقال عنه: صدوق مقل. انظر: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، للذهبي، (ج٤/ ص١٢٢٠)، رقم: ٣٢٢. قال المزي: روى له التِّرْمِذِيّ، والنَّسَائي في "اليوم والليلة"، وابن ماجه. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، (ج٢٩/ ص٢٠)، رقم: ٦٢٣٤. وثقه ابن حبان.=

= انظر: الثقات، لابن حبان، (ج٧/ ص٤٤٩)، رقم: ١٠٨٧٠. قال البخاري: سَمِعَ طَلْحَة بْن خِراش. انظر: التاريخ الكبير، للبخاري، (ج٧/ ص٢٧٩)، رقم: ١١٨٥. يبقى في المتكلم فيهم بدون تفصيل فيبقى في رتبة الصدوق.

٢-**طَلْحَةَ بْنَ خِرَاشٍ:** ابن عبد الرحمن الأنصاري، المدني، صدوق. انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، (ص: ٢٨٢)، رقم: ٣٠١٩. قال النَّسَائي: صالح، روى له التِّرْمِذِيّ والنَّسَائي في "اليوم والليلة"، وابن ماجه. انظر:

بها مهمة وقيمة عالية في الإنسانية والحضارة، ولكن طريقة سؤال النبي– صلى الله عليه وسلم– لجابر– رضي الله عنه– ما أراك منكسرًا تدغدغ العواطف وتجتلب الود والتفريغ النفسي المكبوت من أهالي الشهداء، فبشّره بخصيصة مميزة وهي كلامه مع الله تعالى مواجهة وهذه لم تكن لمن قبله، وهي ميزات على علو مكانته فيطمئن أهله لحاله ومكانته في الآخرة فتهدأ قلوبهم الحزينة وينكسر الحزن والغم.

والبكاء على الميت فيه الجواز والنهي عنه في بعض الأحيان للرفق كما نبه لذلك العيني فقال: "وَفِيه: جَوَاز الْبكاء على الْمَيِّت كَمَا مضى، وَنهى أهل الْمَيِّت بَعضهم بَعْضًا عَن الْبكاء للرفق بالباكي" [1].

هذا التأثير القوي لهذه القيم الحضارية التي زرعها رسول الله– صلى الله عليه وسلم– في قلوب الصحابة– رضي الله عنهم–، وفي نفوس أهالي الشهداء بالخصوص كان لها أثر عظيم في زيادة، ورغبة الأبناء في مواصلة طريق آبائهم على الحق وفي سبيل الله، كما أخبر الصحابي الجليل جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ– رضي الله عنهما–، يَقُولُ: " غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ– صَلَّى

تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، (ج١٣/ ص٣٩٢)، رقم: ٢٩٦٧. وثقه ابن حبان: الثقات، لابن حبان، (ج٤/ ص٣٩٤)، رقم: ٣٥٢١. لم أطلع على أي جرح له فيبقى في الصدوق.

الحكم على الحديث: الحديث اسناده حسن، لوجود راويان صدوقان، وقد حكم عليه بعض العلماء بالحسن مثل الترمذي فقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. انظر: سنن الترمذي، أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، (ج٥/ ص٢٣٠)، ح٣٠١٠. وقال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ "، وسكت عنه الذهبي في التلخيص. انظر: المستدرك على الصحيحين، للحاكم، كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ذِكْرُ مَنَاقِبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو...، (ج٣/ ص٢٢٤)، ح ٤٩١٤. وصححه ابن حبان. انظر: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لابن حبان، كِتَابُ إِخْبَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مَنَاقِبِ الصَّحَابَةِ...، ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا كَلَّمَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ بَعْدَ أَنْ أَحْيَاهُ كِفَاحًا، (ج١٥/ ص٤٩٠)، ح٧٠٢٢.

[1] انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني، (ج٨/ ص١٨).

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً، وقَالَ: لَمْ أَشْهَدْ بَدْرًا، وَلَا أُحُدًا مَنَعَنِي أَبِي، فَلَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللهِ يَوْمَ أُحُدٍ، لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي غَزْوَةٍ قَطُّ" (١).

هذه القيم الحضارية في الاهتمام بأسر الشهداء من قبل القيادة المسلمة المتمثلة في النبي- صلى الله عليه وسلم-، من لحظة فراق أهليهم حتى مماته -صلى الله عليه وسلم- فلم ينقطع عن ود ولا مواساة ولا السؤال عن أحوالهم، كل هذا عزز الجانب الاجتماعي والسياسي في المجتمع المسلم نحو النهوض ونحو الانتماء الحقيقي للوطن وبناء وطن يتسع للجميع بلا ظلم ولا عدوان.

المطلب الثاني: إكرام الشهداء وزيارة قبورهم

عندما يسقط جسد الشهيد في المعركة مضرجًا في دمائه، لا يترك في أرض المعركة كما كان الكفار عندما يفرون ويتركون جثث جنودهم في العراء، بل كان النبي- صلى الله عليه وسلم- يدفن جميع الشهداء، ويواريهم التراب كرامة لهم ولأجسادهم، وكان يقدم أفضلهم فالأقل فالأقل حتى ينتهي من جميع الشهداء، وكما أخبر الصحابي الجليل جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: " كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ، فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ، وَقَالَ: أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ، وَلَمْ يُغَسَّلُوا، وَلَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِمْ" (٢).

بالرغم مما حدث في غزوة أحد، وتقهقر المسلمون بعدما انتصروا في بداية المعركة، إلا أنهم لم يغادروا الميدان، وتفقدوا قتلاهم وجرحاهم، وأكرموا نزلهم، بإلباسهم الثياب بعد أن مزقها المشركون قبل أن يغادروا المعركة، وهذه قيمة حضارية عالية في قيادة النبي- صلى الله عليه وسلم-، فلم يترك القتلى في العراء تنهش بها الوحوش، ولم يدفنهم حتى عراة، بل ستر على عورتهم حتى في مماتهم، ودفنهم بطرقة كريمة تليق بهم كشهداء في سبيل الله.

---

(١) صحيح مسلم، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ عَدَدِ غَزَوَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (ج٣/ ص١٤٤٨)، ح١٤٥ - (١٨١٣).

(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ الجَنَائِزِ، بَابُ الصَّلاَةِ عَلَى الشَّهِيدِ، (ج٢/ ص٩١)، ح١٣٤٣.

ولم يكن النبي– صلى الله عليه وسلم– قد نسي صحابته الكرام الذين قضوا في المعارك والغزوات، بل كان يتفقدهم لآخر يوم في حياته مما استطاع على الوصول إلى قبورهم، كما رُوي عن الصحابي الجليل عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: " أَنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– خَرَجَ يَوْمًا، فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلاَتَهُ عَلَى المَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى المِنْبَرِ، فَقَالَ: إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ، وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ –أَوْ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ –وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا" [1]، وردت في رواية عند الطحاوي في المشكل [2] أن هذه حدثت في آخر أيام رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، أي بعد ما يقارب من ثمان سنوات، ورسول الله – صلى الله عليه وسلم–، وهو يذكر هؤلاء الأبطال الذين ضحوا في سبيل الله، وهذا له وقع كبير في نفوس أهل الشهداء، وقيمة حضارية عالية في التعامل معهم فليس معنى ذهاب ذويهم واستشهادهم أن يتركوا وأن يهملوا.

المطلب الثالث: الرأفة مع الأسرى

احترام الإنسانية، وإكرام الناس وعدم معاملتهم بالأذى الذي يلقاه المسلم، من خصومه وأعدائه من الكفار، تصديقًا وتطبيقًا لقوله تعالى:﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾. [الإنسان: ٨]، وقد علّق البيضاوي في التفسير، فقال: "وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلى حُبِّهِ حب الله تعالى أو الطعام أو الإطعام. مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً يعني أسراء الكفار فإنه –صلّى الله عليه وسلم– كان يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول أحسن إليه، أو الأسير المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون" [3].

([1]) صحيح البخاري، كِتَابُ الجَنَائِزِ، بَابُ الصَّلاَةِ عَلَى الشَّهِيدِ، (ج٢/ ص٩١)، ح١٣٤٤.

([2]) قال عُقْبَة بْن عَامِرٍ: "إِنَّ آخِرَ مَا خَطَبَ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ صَلَّى عَلَى شُهَدَاءِ أُحُدٍ". انظر: شرح مشكل الآثار، للطحاوي، (ج١٢/ ص٤٣١)، ح٤٩٠٧.

([3]) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (ج٥/ ص٢٧٠).

فالإحسان لأسرى الكفار المقاتلين، هو سنة نبوية عظيمة، وقيمة حضارية عالية تعكس إنسانية المسلم، وقد روي عَنْ أَبِي عَزِيزِ بْنِ عُمَيْرٍ[1] ابْنِ أَخِي مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: " كُنْتُ فِي الْأُسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ–: اسْتَوْصُوا بِالْأُسَارَى خَيْرًا، وَكُنْتُ فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَكَانُوا إِذَا قَدِمُوا غَدَاءَهُمْ أَوْ عَشَاءَهُمْ أَكَلُوا التَّمْرَ وَأَطْعَمُونِي الْخُبْزَ بِوَصِيَّةِ وَآلِهِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِيَّاهُم" [2].

([1]) هو: أبو عزيز بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار العبدري، قال أبو عمر: اسمه زرارة، وله صحبة وسماع من النبي –صلى اللَّه عليه وسلّم–، واتفق أهل المغازي على أنه أسر يوم بدر مع من أسر من المشركين.

قال ابن إسحاق: فحدثني نبيه بن وهب، قال: سمعت من يذكر عن أبي عزيز، قال: كنت في الأسارى يوم بدر، فسمعت رسول اللَّه –صلى اللَّه عليه وسلّم– يقول: «استوصوا بالأسارى خيرا»، فقال ابن مندة: لما ترجم له في الصحابة روى عنه نبيه بن وهب، ولا يعرف له سند، ثم ساق بسنده إلى خليفة بن خياط أنه ذكره في الصحابة، وتعقبه أبو نعيم فقال: لا أعلم له إسلاما، وقال الزّبير بن بكّار، وابن الكلبيّ، وأبو عبيد، والبلاذريّ، والدّارقطنيّ: إن أبا عزيز قتل يوم أحد كافرا. وردّ ذلك أبو عمر بأن ابن إسحاق عدّ من قتل من الكفار من بني عبد الدار أحد عشر رجلا ليس فيهم أبو عزيز، وإنما فيهم أبو يزيد بن عمير، وفات خليفة خياط ذكره في الصحابة. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، (٧/ ٢٢٨)، رقم: ١٠٢٥٢.

([2]) المعجم الصغير، بَابُ الْحِاءِ، بَابُ مَنِ اسْمُهُ الْحُسَيْنُ، للطبراني، (ج١/ ص٢٥٠)، ح٤٠٩.

سند الحديث: قال الطبراني: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَطَّارُ الْمِصِّيصِيُّ، حَدَّثَنَا شَبَابٌ الْعُصْفُرِيُّ، حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، صَاحِبُ الْمَغَازِي، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنِي نَبِيهُ بْنُ وَهْبٍ، عَنْ أَبِي عَزِيزِ بْنِ عُمَيْرٍ ابْنِ أَخِي مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ.

دراسة رواة الإسناد: في إسناده:

١–**بَكْرُ بْنُ سُلَيْمَانَ:** أبو يحيى البصْريّ، قَالَ الْبُخَارِيّ: معروف، وقال أبو حاتم: مجهول. انظر: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، (ج٤/ ص١٠٨٦)، رقم: ٥٢. قال ابن حجر: روى عنه شهاب بن معمر وخليفة بن خياط، وَلا بأس به إن شاء الله تعالى. انظر: لسان الميزان، لابن حجر، (ج٢/ ص٣٤٤)، رقم: ١٥٧٩. وثقه ابن حبان. انظر: الثقات، لابن حبان، (ج٨/ ص١٤٨)، رقم:١٢٦٨٣. وثقه القاسم بن قطلوبغا. انظر: الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، لقاسم بن قُطْلُوْبَغَا، (ج٣/ ص٧٩)، رقم: ٢٠٧٨. الراوي هنا روى عنه اثنان، فتنتفي علة الجهالة عنه، فهو صدوق.

٢–**محمد بن إسحاق:** سبق ترجمته. انظر: حاشية رقم: (١٤١)، ص: (٣٨). وهنا صرح ابن إسحاق بالتحديث فتنتفي علة التدليس، وهو هنا صدوق.

الحكم على الحديث: الحديث اسناده حسن لوجود راو صدوق وهو ابن اسحاق، وقد انتفت هنا عنه علة التدليس، وقد قال الطبراني: لَا يُرْوَى عَنْ أَبِي عَزِيزِ بْنِ عُمَيْرٍ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ تَفَرَّدَ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ.=

هذه القيم الحضارية العالية في التعامل مع أسرى العدو، في الإحسان والإطعام، وذلك وصية من رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، كان لها أثر كبير في إسلام كثير من الكفار واللحاق برسول الله– صلى الله عليه وسلم–، بعكس ما يلاقيه أسرى المسلمين من الضرب والإهانة وما يلاقونه من بطش السجان كما هو حال أسرنا البواسل في السجون الصهيونية، نسأل الله لهم الفرج القريب.

المطلب الرابع: فكاك الأسرى

من أولويات الإسلام فكاك أسرى المسلمين من يد العدو ما استطاعوا لذلك سبيلا، وفي ذلك بذل الجهد والمال، كما صرح طائفة من الفقهاء، كقول الرملي: " أَمَّا إذَا أَسَرَتْ طَائِفَةٌ مُسْلِمًا وَمَرُّوا بِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْمُكَافِئِينَ فَنَجِبُ مُبَادَرَتُهُمْ إلَى فَكِّهِ بِكُلِّ وَجْهٍ مُمْكِنٍ، إذْ لَا عُذْرَ لَهُمْ فِي تَرْكِهِ حِينَئِذٍ" [1]، وطائفة أخرى قالت: " فَرْعٌ: يَجِبُ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ فَكُّ الْأَسْرَى وَلَا يَجِبُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ. قَوْلُهُ: وَبَيْتِ الْمَالِ: لَوْ كَانَ فِيهِ وَلَكِنْ تَعَذَّرَ الْوُصُولُ إلَيْهِ كَانَ كَالْعَدَمِ ثُمَّ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ، حِينَئِذٍ فَرْضًا عَلَى بَيْتِ الْمَالِ إذَا اسْتَأْذَنَ الْإِمَامُ وَبِهِ صَرَّحَ الْإِمَامُ" [2].

وهذه قيمة حضارية عالية في الحفاظ على العهد وتنفيذه والسعي لتنفيذه بكل ما أوتي من قوة وسعة ومال، لخطورة هذه المسألة، وقد روت أم المؤمنين عَائِشَةَ– رضي الله عنها–، فَقَالَتْ: " لَمَّا بَعَثَ أَهْلُ مَكَّةَ فِي فِدَاءِ أَسْرَاهُمْ بَعَثَتْ زَيْنَبُ فِي فِدَاءِ أَبِي الْعَاصِ [3] بِمَالٍ، وَبَعَثَتْ

= انظر: المعجم الصغير، بَابُ الْحِاءِ، بَابُ مَنِ اسْمُهُ الْحُسَيْنُ، للطبراني، (ج١/ ص٢٥٠)، ح٤٠٩. قال الهيثمي: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، وَإسناده حَسَنٌ. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، (ج٦/ ص٨٦).

([1]) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، للرملي، (ج٨/ ص١٠٨).

([2]) حاشيتا قليوبي وعميرة، القليوبي وعميرة، (ج٤/ ص٢١٦).

([3]) هو: أبو العاص بن الربيع بن عبد العزّى بن عبد شمس بن عبد مناف العبشمي، وقال الزّبير بن بكّار: كان يقال له الأمين، واختلف في اسمه أمه هالة بنت خويلد، وكان يلقب جرو البطحاء، وكان قبل البعثة فيما قاله الزبير عن عمه مصعب، وزعمه بعض أهل العلم، مواخيا لرسول اللَّه –صلى اللَّه عليه وسلّم–، وكان يكثر غشاءه في منزله، وزوّجه ابنته زينب أكبر بناته، وهي من خالته خديجة، ثم لم يتّفق أنه أسلم إلا بعد الهجرة، وحكى أبو أحمد الحاكم: أنه أسلم قبل الحديبيّة بخمسة أشهر، ثم رجع إلى مكة، وزاد ابن سعد أنه لم يشهد مع النبي –صلى اللَّه عليه وسلّم– مشهدا، قال إبراهيم بن المنذر: مات أبو العاص بن الربيع في خلافة أبي بكر

فِيهِ بِقِلَادَةٍ لَهَا كَانَتْ عِنْدَ خَدِيجَةَ أَدْخَلَتْهَا بِهَا عَلَى أَبِي الْعَاصِ قَالَتْ: فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَقَّ لَهَا رِقَّةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا، وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا، فَقَالُوا: نَعَمْ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أَخَذَ عَلَيْهِ أَوْ وَعَدَهُ أَنْ يُخَلِّيَ سَبِيلَ زَيْنَبَ إِلَيْهِ، وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَرَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: كُونَا بِبَطْنِ يَأْجِجَ [1] حَتَّى تَمُرَّ بِكُمَا زَيْنَبُ فَتَصْحَبَاهَا حَتَّى تَأْتِيَا بِهَا" [2]، في الحديث قيم حضارية عالية منها الرفق والرقة من النبي- صلى الله عليه وسلم- لابنته زينب، وكانت تحت أبي العاص، وعرضه باللين على صحابته- رضي الله عنهم- في فك أسر أبي العاص ورد لها قلادتها، هذه القيم الحضارية العالية دفعت أبي العاص ليرسل زوجته زينب وبنت رسول الله – صلى الله عليه وسلم- للمدينة، ثم بعد ذلك أسلم وحسن اسلامه فالقيم الحضارية تجلب بعضها بعضا.

في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة من الهجرة، وفيها أرّخه ابن سعد، وابن إسحاق، وأنه أوصى إلى الزبير بن العوام،=

= وكذا أرّخه غير واحد، وشذّ أبو عبيد فقال: مات سنة ثلاث عشرة، وأغرب منه قول ابن مندة إنه قتل يوم اليمامة. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، (ج٧/ ص٢٠٦)، رقم: ١٠١٨٢.

([1]) يأجَجُ: علم مرتجل، لاسم مكان من مكة، على ثمانية أميال، وكان من منازل عبد الله بن الزبير، فلما قتله الحجاج أنزله المجذّمين ففيها المجذّمون. انظر: معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الرومي، (ج٥/ ص٤٢٤).

([2]) سنن أبي داود، كِتَاب الْجِهَادِ، بَابٌ فِي فِدَاءِ الْأَسِيرِ بِالْمَالِ، (ج٣/ ص٦٢)، ح٢٦٩٢.

سند الحديث: قال أبوداود: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ النُّفَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبَّادٍ، عَنْ أَبِيهِ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ.

دراسة رواة الإسناد: محمد بن إسحاق: سبق ترجمته. انظر: ص: (٢٨). وهنا صرح ابن إسحاق بالتحديث فتنتفي علة التدليس، وهو هنا صدوق.

الحكم على الحديث: الحديث إسناده حسن لوجود راو صدوق وهو ابن اسحاق، وقد انتفت هنا عنه علة التدليس. وقد قال الحاكم: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجْهُ"، وعلق الذهبي عليه فقال: على شرط مسلم. انظر: المستدرك على الصحيحين، للحاكم، كِتَابُ الْمَغَازِي وَالسَّرَايَا، (ج٣/ ص٢٥)، ح ٤٣٠٦.

الخاتمة

الخاتمة:

الحمد لله، الذي جعل لنا دينا قيما، وأرسل لنا رسول الهدى محمد – صلى الله عليه وسلم–، هاديا وبشيرا، أما بعد:

فإني ما اجتهدت فيه من هذه الدراسة التي زادتني معرفة في نهج النبي– صلى الله عليه وسلم–، وأثرت في ملكتي المعارف والعلوم والاطلاع على أحاديث كثيرة، من استقراء وبحث، فأنني بحمد من الله ومنة، أرى من جهد المقل في هذه الدراسة أنها تصلح أن تكون بداية طيبة لإطلاع الناس جماعات، ودول على طريقة تعامل النبي –صلى الله عليه وسلم–، والقيم التي زرعها في التعامل في زمن الحروب، وكيف ممكن أن ترقى المجتمعات التي تبحث عن الرقي والسعادة، والتي هي مبتغى كل إنسان، فالسعادة الحقيقية هي نعمة من الله – عزوجل– بتطبيق شرعه وسنة نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم–، وإنني ما استطعت أن أبذل فيه الجهد والتعليق فإن كان من الصواب، فهو توفيق من الله، وإن أخطأت في شيء فمن نفسي، ومن الشيطان، وقد استطعت بأن اكتب واستخلص جملة من النتائج والتوصيات، وهي:

أولًا: أهم النتائج:

١– لايقوم أي مجتمع حضاري بدون قيم ولا مبادئ، فالدين الإسلامي دين القيم والمبادئ.

٢– الدين الإسلامي يدعو إلى حياة حضارية بتطبيق القيم الحضارية، التي هي ليست فقط في السلم بل أشد ما يحتاج لها في الحرب.

٣– القيم الحضارية تحارب الجريمة والفساد وتدعو للتعاون والتكافل، وتحفظ الهوية وتميز الشعوب الحضارية عن الهمجية.

٤– من مقومات الاقتصاد القوي، والفاعل هو تطبيق القيم الحضارية.

٥– أحد أهم الطرق لنشر الإسلام والثقافة الإسلامية في المجتمعات الدولية هي بتطبيق القيم الحضارية.

٦– من حقوق المرأة والمحافظة على المرأة، هي بتطبيق القيم الحضارية.

٧- الحرب والقتال ليس سببًا في ترك العمل بالقيم الحضارية، بل هو ميدان أساسي في العمل بها ونشر القيم الإسلامية.

٨- التعليم أحد العناصر الأساسية في تطبيق وفهم القيم الحضارية.

٩- الرحمة والشفقة والرأفة ليست فقط للأصحاب بل عامة لمن لم يقاتل المسلمين ومن لم يمنع الخير.

١٠- النصح والإرشاد وسيلة مهمة في تطبيق القيم الحضارية ونشرها في المجتمع.

١١- العدل في كل مناحي الحياة مقوم أساسي في تطبيق القيم الحضارية وفهمها.

١٢- النفع بكافة الأنواع ودفع الضرر عن النفس وعن الآخرين من آثار العمل بالقيم الحضارية.

١٣- المبادرات الفردية الظاهر منها الصلاح قد تكون سببًا في تخريب هدف أسمى للقيم الحضارية.

١٤- الأمن والأمان عنصران أساسيان في نشر القيم الحضارية بين المجتمعات.

١٥- تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة جسر مهم في بناء الثقة التي هي عماد مهم من أعمدة القيم الحضارية.

١٦- الصدق والوفاء العهد ضرب مهم من ضروب القيم الحضارية التي لا تقوم بغيرها.

١٧- التواضع والمساواة بين القيادة والرعية، عامل مهم في سواسية تطبيق القيم الحضارية.

١٨- المحبة والتسامح والتعاون بين طبقات المجتمع أثر قوي من آثار التطبيق الصحيح للقيم الحضارية سواء في السلم أو الحرب.

١٩- زيارة الجرحى في ميدان المعركة أو خارجها قيمة حضارية عالية في مشاركة الأفراح والأحزان والتماسك المجتمعي.

٢٠- زيارة قبور الشهداء والاهتمام بأهليهم، هو قيمة حضارية عالية في الوفاء والإخلاص لحماة الأوطان.

٢١- أهالي الشهداء والجرحى والأسرى، مقدمون على غيرهم في العطية والعطف والحنان الذي هو أهم آثار تطبيق القيم الحضارية في المعركة وبعدها.

٢٢- الشجاعة عنصر مهم في القيم الحضارية في المعارك تُورث شجاعة عند الجند في حق الدفاع عن النفس الذي هو أحد القيم الحضارية في المحافظة على النفس.

٢٣- قوة المصاب في صفوف المسلمين ليست سببًا في التنكيل في الأعداء بعد الظهور عليهم وهو قيمة حضارية عالية في التسامح.

٢٤- إكرام أسرى العدو وعدم اهانتهم، لهو قيمة حضارية عالية اختفت من العصر الحديث إلا ما رأيناه من مقاومتنا الغراء في غزة.

٢٥- حرص القيادة على سلامة الجند وعدم تعريضهم للمهالك لهو دافع قوي في بناء الثقة التي تعد من أهم القيم الحضارية.

٢٦- الاهتمام بالجانب الديني وتقوى الله، والمحافظة على العبادات في الحروب، لهو قيمة حضارية عالية التي يسمو بها الإنسان المسلم.

٢٧- الشورى وحرية التعبير هي من آثار التطبيق السليم للقيم الحضارية في زمن السلم والحرب.

٢٨- تعدد أنواع أساليب التعلم في ميدان المعركة، هو مؤشر نحو رفعة هذا الدين الحنيف والقيم الحضارية العالية فيه.

٢٩- الصبر من القيادة والتماس العذر يعبر عن مدى الرابطة الأخوية بين المسلمين التي هي عماد القيم الحضارية.

٣٠- عدم اقتصار العطاء والإنفاق على المسلمين، بل شمل الكافرين، وهذه قيمة حضارية عالية اختص بها المسلمون.

٣١- تحريم قتل المرأة والأطفال، خلال التمييز في الحرب قيمة حضارية عالية، أوغل فيها الأعداء في قتل المسلمين.

ثانيًا: أهم التوصيات:

١-الاهتمام بدراسة أنواع أخرى من القيم: مثل القيم الاقتصادية، والقيم السياسية، والقيم الاجتماعية في السنة النبوية.

٢-اعتماد نماذج من القيم في السنة النبوية وتدريسها في مساقات التربية والتعليم سواء في المدارس أو الجامعات.

٣-أوصي الأخوة في وزارة الأوقاف والخطباء والوعاظ بتخصيص مواضيع عن القيم ونشرها بين الناس سواء في خطب الجمعة أو دروس الوعظ والإرشاد

٤-تخصيص أيام دراسية في الجامعات لدعم، وابتكار طرق في آلية نشر هذه القيم في المجتمع والنهوض به.

وصلّى اللهُ وسلمَ على سيّدنا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه وعلى سائر النَبيّين .آمين .

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

١- **القرآن الكريم**

٢- الآحاد والمثاني. أبو بكر، بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني. تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة. دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١١هـ.

٣- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان. أبو حاتم، محمد بن حبان، التميمي، الدارمي، البُستي. ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت. ط١، ١٤٠٨هـ.

٤- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري. شهاب الدين، أبو العباس، أحمد بن محمد، القسطلاني، القتيبي، المصري. المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣هـ.

٥- أُسْد الغابة في معرفة الصحابة. عز الدين، أبو الحسن، علي بن أبي الكرم، الشيباني، الجزري، ابن الأثير. تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٦- الأساليب النبويّة في تفعيل القيم الحضاريّة في المجتمع الإسلامي، للغنيمي وسعيد.

٧- الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل، أحمد بن علي، بن حجر، العسقلاني، الشافعي. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٨- الإفصاح عن معاني الصحاح، أبو المظفر، عون الدين، يحيى بن هُبَيْرَة، الذهلي، الشيبانيّ. تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد. دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.

٩- شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمٍ، لِلقَاضِى عِيَاض، المُسَمَّى: إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم. أبو الفضل عياض بن موسى، اليحصبي، السبتي. تحقيق: يحْيَى إِسْمَاعِيل. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٤١٩هـ.

١٠- أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ناصر الدين، أبو سعيد، عبد الله، بن عمر، الشيرازي، البيضاوي. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

١١- الأنساب. أبو سعد، عبد الكريم بن محمد، السمعاني، المروزي. تحقيق: عبد الرحمن، بن يحيى المعلمي، اليماني، وغيره. مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط١، ١٣٨٢هـ.

١٢- البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج. محمد، بن علي، بن آدم، الإتيوبي، الولوي. دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ.
١٣- البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير. ابن الملقن، سراج الدين، أبو حفص، عمر بن علي، الشافعي، المصري. تحقيق: مصطفى أبو الغيط، وعبد الله بن سليمان، وياسر بن كمال. دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.
١٤- البدر التمام شرح بلوغ المرام. الحسين بن محمد، بن سعيد، اللاعيّ، المعروف: بالمَغرِبي. تحقيق: علي بن عبد الله الزبن. دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ.
١٥- بذل المجهود في حل سنن أبي داود. الشيخ خليل أحمد السهارنفوري. عناية: تقي الدين، الندوي. مركز الشيخ أبي الحسن الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية، الهند، ط١، ١٤٢٧هـ.
١٦- تاريخ الرسل والملوك، المعروف: بتاريخ الطبري. أبو جعفر، محمد بن جرير، الآملي، الطبري. دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٧٨هـ.
١٧- تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة. القاضي، ناصر الدين، عبد الله بن عمر، البيضاوي. تحقيق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط١، ١٤٣٣هـ.
١٨- تحرير تقريب التهذيب. بشار عواد معروف، وشعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
١٩- التدريس الموجه، كيف ننشئ متعلمين واثقين وناجحين، لدوجلاس فيشر ونانسي فراي، ترجمة: زكريا القاضي. مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط١، ١٤٣٥هـ.
٢٠- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف. زكي الدين، أبو محمد، عبد العظيم بن عبد القوي، المنذري. تحقيق: إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

٢١- تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، المعروف: بطبقات المدلسين. أبو الفضل، أحمد بن علي، بن حجر، العسقلاني، الشافعي. تحقيق: عاصم بن عبد الله القريوتي. مكتبة المنار، عمان، ط١، ١٤٠٣هـ.
٢٢- تفسير القرآن العظيم. أبو الفداء، إسماعيل بن عمر، بن كثير، القرشي، البصري، ثم الدمشقي. تحقيق: محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
٢٣- تقريب التهذيب. أبو الفضل، أحمد بن علي، بن حجر، العسقلاني، الشافعي. تحقيق: محمد عوامة. دار الرشيد، سوريا، ط١، ١٤٠٦هـ.
٢٤- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، أبو الفضل، أحمد بن علي، بن حجر، العسقلاني، الشافعي. دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ.
٢٥- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. أبو عمر، يوسف بن عبد الله، بن محمد، بن عبد البر، النمري، القرطبي. تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري. وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط١، ١٣٨٧هـ.
٢٦- تهذيب التهذيب، أبو الفضل، أحمد بن علي، بن حجر، العسقلاني، الشافعي. مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٦هـ.
٢٧- تهذيب الكمال في أسماء الرجال. جمال الدين، أبو الحجاج، يوسف بن عبد الرحمن، القضاعي، الكلبي، المزي. تحقيق: بشار عواد معروف. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.
٢٨- التوضيح لشرح الجامع الصحيح. ابن الملقن، سراج الدين، أبو حفص، عمر بن علي، الشافعي، المصري. تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث. دار النوادر، دمشق، ط١، ١٤٢٩هـ.
٢٩- الثقات. محمد بن حبان، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي. مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان، مدير دائرة المعارف العثمانية. وزارة المعارف للحكومة العالية، الهندية، ط١، ١٣٩٣هـ.

٣٠- جامع البيان في تأويل القرآن. أبو جعفر، محمد بن جرير، الآملي، الطبري. تحقيق: أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة، بيروت. ط١، ١٤٢٠هـ.
٣١- الجامع المختصر من السنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل، المشهور: سنن الترمذي. محمد بن عيسى، الترمذي. تحقيق: أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر. ط٢، ١٣٩٥هـ.
٣٢- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المشهور: "صحيح البخاري". محمد بن إسماعيل، البخاري. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. الناشر: دار طوق النجاة، جدة، ط١، ١٤٢٢هـ.
٣٣- الجرح والتعديل. أبو محمد، عبد الرحمن بن محمد، التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٢٧١هـ.
٣٤- الجهاد في سبيل الله تعالى – مفهومه، وحُكْمه، ومراتبه، وضوابطه، وأنواعه، وأهدافه، وفضله، وأسباب النصر على الأعداء في ضوء الكتاب والسنة. سعيد بن علي، بن وهف، القحطاني. مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض. ط٦، ١٤٣١هـ.
٣٥- الجهاد في سبيل الله، حقيقته وغايته. عبد الله بن أحمد القادري. دار المنارة، جدة، ط٢، ١٤١٣هـ.
٣٦- حاشية السندي على سنن النسائي. جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي. مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب. ط٢، ١٤٠٦هـ.
٣٧- حاشيتا قليوبي وعميرة. أحمد سلامة القليوبي وأحمد البرلسي عميرة. دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
٣٨- الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها. حسين مؤنس.المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٣٩٨هـ.
٣٩- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج. جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي. تحقيق: أبو اسحق الحويني الأثري. دار ابن عفان للنشر والتوزيع، السعودية، ط١، ١٤١٦هـ.

٤٠-شرح سنن النسائي، المسمى: ذخيرة العقبى في شرح المجتبى. محمد بن علي، بن آدم، بن موسى، الإثيوبي، الوَلَّوِي. دار المعراج الدولية للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.

٤١-زاد المعاد في هدي خير العباد. شمس الدين، محمد بن أبي بكر، ابن قيم، الجوزية. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢٧، ١٤١٥هـ.

٤٢-سبل السلام. عز الدين، أبو إبراهيم، محمد بن إسماعيل، الكحلاني، ثم الصنعاني، المعروف كأسلافه بالأمير. دار الحديث، الرياض.

٤٣-السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير. الشيخ علي بن الشيخ أحمد، بن الشيخ نور الدين، الشهير: بالعزيزي. بدون نشر، أعده للشاملة/ فريق رابطة النساخ برعاية (مركز النخب العلمية).

٤٤-سنن ابن ماجه. أبو عبد الله، محمد بن يزيد، القزويني. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، حلب.

٤٥-سنن أبي داود. أبو داود، سليمان بن الأشعث، السجستاني. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية، بيروت.

٤٦-سنن الدارقطني. أبو الحسن، علي بن عمر، البغدادي، الدارقطني. تحقيق: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

٤٧-السنن الكبرى. أبو بكر، أحمد بن الحسين، الخُسْرَوْجِردي، الخراساني، البيهقي. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ.

٤٨-السيرة النبوية. جمال الدين، أبو محمد، عبد الملك بن هشام، الحميري، المعافري. تحقيق: مصطفى السقا، وآخرون. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٣٧٥هـ.

٤٩-السيرة النبوية، (من البداية والنهاية لابن كثير). أبو الفداء، إسماعيل بن عمر، بن كثير، القرشي، البصري، ثم الدمشقي. تحقيق: مصطفى عبد الواحد. دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٣٩٥هـ.

٥٠-السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة. أبو عمر، محمد بن حمد، الصوياني. مكتبة العبيكان، جدة، ط١، ١٤٢٤هـ.
٥١-السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني. أحمد أحمد غلوش. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.
٥٢-السِّيرةُ النَّبَويَّةُ الصَّحيْحَةُ مُحَاوَلَةٌ لِتَطبِيْقِ قَوَاعِدِ المُحَدِّثِيْنَ فِيْ نَقْدِ رِوَايَاتِ السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ. أكرم ضياء العمري. مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٦، ١٤١٥هـ.
٥٣-الشافي في شرح مسند الشافعي. مجد الدين، أبو السعادات، المبارك بن محمد، بن محمد، الشيباني، الجزري، ابن الأثير. تحقيق: أحمد بن سليمان، أبي تميم يَاسر بن إبراهيم. مَكتَبَةَ الرُّشْدِ، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.
٥٤-شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك. محمد بن عبد الباقي، الزرقاني، المصري، الأزهري. تحقيق: طه عبد الرءوف سعد. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ.
٥٥-شرح سنن أبي داود. شهاب الدين، أبو العباس، أحمد بن حسين، بن علي، بن رسلان، المقدسي، الرملي، الشافعي. تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط. دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم، ط١، ١٤٣٧هـ.
٥٦-شرح صحيح البخاري. أبو الحسن، ابن بطال، علي بن خلف. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ.
٥٧-شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى: الكاشف عن حقائق السنن. شرف الدين، الحسين بن عبد الله، الطيبي. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.
٥٨-شرح مشكل الآثار. أبو جعفر، أحمد بن محمد، الأزدي، الحجري، المصري، المعروف: بالطحاوي. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٥٩- الشفا بتعريف حقوق المصطفى. أبو الفضل، القاضي عياض، بن موسى، اليحصبي. الحاشية: الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمنى. دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط١، ١٤١٠هـ.

٦٠- الطبقات الكبرى. أبو عبد الله، محمد بن سعد، بن منيع، الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي، المعروف بابن سعد. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

٦١- طرح التثريب في شرح التقريب. أبو الفضل، زين الدين، عبد الرحيم، بن الحسين، العراقي. تحقيق: عبد القادر محمد علي. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٦٢- عمدة القاري شرح صحيح البخاري. أبو محمد، بدر الدين، محمود بن أحمد، الغيتابي، الحنفي، العيني. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٣- عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم. شرف الحق، أبو عبد الرحمن، محمد أشرف بن أمير، الصديقي، العظيم آبادي. دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ.

٦٤- غريب الحديث. جمال الدين، أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي، بن محمد، الجوزي. تحقيق: عبد المعطي أمين القلعجي. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٦٥- غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم. السيد الجميلى. دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

٦٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري. أبو الفضل، أحمد بن علي، بن حجر، العسقلاني، الشافعي. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٧٩هـ.

٦٧- فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام. محمد، بن صالح، العثيمين. صبحي بن محمد رمضان، أم إسراء بنت عرفة بيومي. المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ.

٦٨- فتح المنعم شرح صحيح مسلم. موسى شاهين لاشين. دار الشروق، فلسطين، ط١، ١٤١٥هـ.

٦٩-فيض القدير شرح الجامع الصغير. زين الدين، محمد المدعو، بعبد الرؤوف بن تاج العارفين، بن علي بن زين العابدين، الحدادي، ثم المناوي، القاهري. المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

٧٠-قيم الإسلام الحضارية نحو إنسانية جديدة. محمد عبد الفتاح الخطيب. وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، قطر، ط١، ١٤٣١هـ.

٧١-القيم بين الإسلام والغرب. مانع بن محمد بن علي المانع. دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.

٧٢-القيم الحضارية في السنة النبوية. عيسى بن عواض، العُضياني. غير مطبوع.

٧٣-الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة. شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن أحمد، الذهبي. تحقيق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب. دار القبلة للثقافة الإسلامية -مؤسسة علوم القرآن، جدة، ط١، ١٤١٣هـ.

٧٤-كشف المشكل من حديث الصحيحين. جمال الدين، أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي، بن محمد، الجوزي. تحقيق: علي حسين البواب. دار الوطن، الرياض.

٧٥-الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري. شمس الدين، محمد بن يوسف، الكرماني. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ.

٧٦-الكواكب النيرات في معرفة من الرواة الثقات. أبو البركات، بركات بن أحمد، المعروف بـ: ابن الكيال. تحقيق: عبد القيوم عبد رب النبي. دار المأمون، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.

٧٧-كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري. محمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله، بن أحمد، الشنقيطي. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٧٨-الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم. محمد الأمين بن عبد الله، الأُرَمي، العَلَوي، الهَرَري، الشافعي. مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي. دار المنهاج-دار طوق النجاة، جدة، ط١، ١٤٣٠هـ.

٧٩-لسان العرب. جمال الدين، أبو الفضل، محمد بن مكرم، ابن منظور، الأنصاري، الرويفعى، الإفريقي. دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٨٠- لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح. المؤلف: عبد الحق بن سيف الدين، بن سعد اللَّه، البخاري، الدِّهلوي، الحنفي. تحقيق: تقي الدين الندوي. دار النوادر، دمشق، ط١، ١٤٣٥هـ.

٨١- المجتبى من السنن المشهور: السنن الصغرى للنسائي. أحمد بن شعيب، النسائي. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب. ط٢، ١٤٠٦هـ.

٨٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. نور الدين، أبو الحسن، علي بن أبي بكر، بن سليمان، الهيثمي. تحقيق: حسام الدين القدسي. مكتبة القدسي، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ.

٨٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المشهور: بتفسير ابن عطية. أبو محمد، عبد الحق بن غالب، بن عبد الرحمن، بن تمام، بن عطية، الأندلسي، المحاربي. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٨٤- مختصر سنن أبي داود. الحافظ، عبد العظيم، بن عبد القوي، المنذري. تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ.

٨٥- مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه والقول المكتفى على سنن المصطفى. محمد الأمين بن عبد الله، الأُرَمي، العَلَوي، الهَرَري، الشافعي. مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي. دار المنهاج-دار طوق النجاة، جدة، ط١، ١٤٣٩هـ.

٨٦- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. نور الدين، أبو الحسن، علي بن سلطان محمد، الملا الهروي، القاري. دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٨٧- المستدرك على الصحيحين. أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد، النيسابوري، المعروف: بابن البيع. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٨٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل. أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل، الشيباني. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون. مؤسسة الرسالة، بيروت. ط١، ١٤٢١هـ.

٨٩-مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار. أبو بكر، أحمد بن عمرو، العتكي، المعروف: بالبزار. تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي. مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤٣٠هـ.
٩٠-المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المشهور: صحيح مسلم. مسلم بن الحجاج، القشيري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي، بيروت. ط١،
٩١-المسنَد الصَّحيح المُخَرّج عَلى صَحِيح مُسلم. أبو عَوانة، يَعقُوب بن إسحَاق، الإسفرَاييني. تحقيق: عَبَّاس بن صفاخان بن شهَاب الدّين، والدّكتور بَابا إِبْرَاهِيم الكميروني، وآخرون. تنسيق وإخراج: فَرِيق مِن البَاحِثين بكليَّةِ الحَديثِ الشَّريفِ وَالدّرَاسَاتِ الإسلاميَّة بالجَامِعَة الإسلاميَّة. الجَامِعَة الإسلاميَّة، المملَكة الْعَرَبيَّة السَّعُودية، ط١، ١٤٣٥هـ.
٩٢-مسند الدارمي، المشهور: سنن الدارمي. أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، السمرقندي. تحقيق: حسين سليم أسد الداراني. دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ.
٩٣-المطَالبُ العَاليَةُ بِزَوَائِدِ المسَانيد الثَّمَانِيَةِ. أبو الفضل، أحمد بن علي، بن حجر، العسقلاني، الشافعي. تحقيق: مجموعة من الباحثين. دار العاصمة للنشر والتوزيع – دار الغيث للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.
٩٤-مطالع الأنوار على صحاح الآثار. أبو إسحاق، إبراهيم بن يوسف، بن أدهم، الوهراني، الحمزي، ابن قرقول. تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، ط١، ١٤٣٣هـ.
٩٥-معالم السنن. أبو سليمان، حمد بن محمد، بن إبراهيم، بن الخطاب، البستي، المعروف: بالخطابي. المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٤٥٣هـ.
٩٦-معجم البلدان. شهاب الدين، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله، الرومي، الحموي. دار صادر، بيروت، ط٢، ١٣٩٦هـ.

٩٧- المعجم الكبير. أبو القاسم، سليمان بن أحمد، الشامي، الطبراني. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٤١٥هـ.
٩٨- معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم. أبو الحسن، أحمد بن عبد الله، العجلي، الكوفي. تحقيق: عبد العليم عبد العظيم البستوي. مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٥هـ.
٩٩- معركة الحضارة. قسطنطين زريق. دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠١هـ.
١٠٠- معرفة الصحابة. أبو نعيم، أحمد بن عبد الله، الأصبهاني. تحقيق: عادل بن يوسف العزازي. الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.
١٠١- المغازي. أبو عبد الله، محمد بن عمر، بن واقد، السهمي، الأسلمي بالولاء، المدني، الواقدي. تحقيق: مارسدن جونس. دار الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ.
١٠٢- المغني. أبو محمد، موفق الدين، عبد الله بن أحمد، بن محمد، بن قدامة، الجماعيلي، المقدسي، ثم الدمشقي، الحنبلي، الشهير: بابن قدامة المقدسي. مكتبة القاهرة، ط١، ١٣٨٨هـ.
١٠٣- المفاتيح في شرح المصابيح. مظهر الدين، الحسين بن محمود الزَّيْدَانيُّ، الكوفي، الضَّرير، الشِّيرازيُّ، الحَنَفيُّ المشهورُ: بالمُظْهِري. تحقيق: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب. دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية، وزارة الأوقاف الكويتية، ط١، ١٤٣٣هـ.
١٠٤- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم. أبو العباس، أحمد بن عمر، بن إبراهيم، القرطبي. تحقيق: محيي الدين ديب ميستو، وآخرون. دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
١٠٥- معجم مقاييس اللغة. أبو الحسين، أحمد بن فارس، بن زكرياء، القزويني، الرازي. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٩.
١٠٦- منحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمى: تحفة الباري. زين الدين، أبو يحيى، زكريا بن محمد بن أحمد، بن زكريا، الأنصاري، السنيكي، المصري، الشافعي.

تحقيق: سليمان بن دريع العازمي. مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.

١٠٧- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. أبو زكريا، محيي الدين، يحيى بن شرف، النووي. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

١٠٨- المنهل الحديث في شرح الحديث. موسى شاهين لاشين. دار المدار الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٠٩- ميزان الاعتدال في نقد الرجال. شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن أحمد، الذهبي. تحقيق: علي محمد البجاوي. دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٣٨٢هـ.

١١٠- النفح الشذي شرح جامع الترمذي. أبو الفتح، فتح الدين محمد، ابن سيد الناس، اليعمري، الربعي. تحقيق: أبو جابر الأنصاري، وآخرون. دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ.

١١١- النهاية في غريب الحديث والأثر. مجد الدين، أبو السعادات، المبارك بن محمد، بن محمد، الشيباني، الجزري، ابن الأثير. تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي. المكتبة العلمية، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ.

١١٢- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج. شمس الدين، محمد بن أبي العباس، الرملي. دار الفكر، بيروت، ط أخيرة، ١٤٠٤هـ.

١١٣- نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار. محمد بن علي، الشوكاني، اليمني. تحقيق: عصام الدين الصبابطي. دار الحديث، مصر، ط١، ١٤١٣هـ.

١١٤- الشبكة العنكبوتية، موقع "عربي٢١".

الفهارس العامة

أولًا: فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾	٢٥٧	١٠٢
﴿أَو كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	١٠٠	١٤٦
﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾	٧٤	٤٠
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ ﴾	٢١٦	١٢٤
﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾	٢٦٤	١٣٦
سورة آل عمران		
﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾	٧٦	٧٤
﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا﴾	١٥٩	٣٣،٨٣
﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾	١٨٥	٤٠
﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾	٣١	٨٠
﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾	١٢٨	٩٤
﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾	١٣٤	١٣٢
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾	١٦٩	١٥٦
سورة النساء		
﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾	٣٤	١٤٨
﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ ﴾	٩٥	٢٠
﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾	٥٨	١١٣
سورة الأنفال		

﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾	٤٦	٢٢، ١١٥
﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ ﴾	١٦	٢٢
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ ﴾.	١٥	٢٢
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾	٤٥	٢٢
﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾	٦٥	٧٠
سورة التوبة		
﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	٤١	٦٤
﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾	٨١	٦٥
﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾	١٢٨	١٤٠
﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾	٩١	٤١
﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾	١٢٢	٦٦
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	٣٨	٢٢
سورة يوسف		
﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ﴾	٩٢	١٣٣
سورة الرعد		
﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾	٢٠	١٤٦
سورة طه		
﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾	١٤	٥٧
سورة الأنبياء		
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾	١٠٧	٣٩
سورة الحج		
﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾.	٣٩	٢٢
سورة النور		
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾	١٩	١١٩
سورة الشعراء		

﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾	٨٤	٦٨
سورة القصص		
﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾	٧٧	٥٥
سورة الصافات		
﴿ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴾	١٧٧	١٤٨
سورة الزمر		
﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾	٢٣	٤٤
سورة الحجرات		
﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾	٩	١١٣
سورة الإنسان		
﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾	٨	١٥٩
سورة البلد		
﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾	١٤	٧٢

ثانيًا: فهرس الأحاديث النبوية

م	طرف الحديث	الراوي الأعلى	الحكم على الحديث	الصفحة
١.	أَتَى النَّبِيَّﷺ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بِالحَدِيدِ	الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ	صحيح البخاري	٣٩
٢.	أَشْهَدُ عَلَى نَبِيِّ اللهِﷺ مَا وَلَّى	الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ	صحيح مسلم	٨٩
٣.	أَصَابَتْنَا مَجَاعَةٌ لَيَالِيَ خَيْبَرَ	عبد الله بْن أَبِي أَوْفَى	متفق عليه	١٤١
٤.	أُصِيبَ سَعْدٌ يَوْمَ الخَنْدَقِ	أُمُّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ	صحيح البخاري	٩٩
٥.	أَعْطَى النَّبِيُّﷺ خَيْبَرَ اليَهُودَ	عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ	صحيح البخاري	١٠٧
٦.	أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ زَمَنَ	عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ	إسناده حسن	١٠٩
٧.	أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ	مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ	إسناده صحيح	٢٠
٨.	أَنَّ النَّبِيَّﷺ جَاءَهُ عُمَرُ	جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ	صحيح البخاري	١٠٢
٩.	أَنَّ النَّبِيَّﷺ خَرَجَ يَوْمًا	عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ	صحيح البخاري	١٥٨
١٠.	أَنَّ النَّبِيَّﷺ، قَالَ فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ	عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ	متفق عليه	١٣٨
١١.	أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ اتَّخَذَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ	أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ	صحيح مسلم	٩٠
١٢.	أَنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ فِي غَزْوَةِ الفَتْحِ	أُمُّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ	صحيح البخاري	١١٩
١٣.	أَنَّ امْرَأَةً وُجِدَتْ فِي بَعْضِ	عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ	صحيح البخاري	٥٤
١٤.	أَنَّ رَسُولَ اللهِﷺ اسْتَعَارَ مِنْهُ	صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ	إسناده صحيح	١٤٦
١٥.	أَنَّ رَسُولَ اللهِﷺ كَانَ إِذَا قَفَلَ	عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ	متفق عليه	١١١
١٦.	أَنَّ رَسُولَ اللهِﷺ حِينَ قَفَلَ مِنْ	أَبُو هُرَيْرَةَ	صحيح مسلم	٥٧
١٧.	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ	سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ	صحيح البخاري	٦٧
١٨.	أَنَّ رَسُولَ اللهِﷺ رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ	أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ	صحيح البخاري	١٢٩

١٩.	أَنَّ رَسُولَ اللهِﷺ عَامَ غَزْوَةِ تَبُوكَ	عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرٍو	إسناده صحيح	٨١
٢٠.	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ عَرَضَهُ يَوْمَ أُحُدٍ	عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ	صحيح البخاري	٦٧
٢١.	إِنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ	عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى	صحيح البخاري	٤٢
٢٢.	أَنَّ رَسُولَ اللهِﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ	أَبُو هُرَيْرَةَ	صحيح مسلم	٨٤
٢٣.	أَنَّ رَسُولَ اللهِﷺ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ	أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ	صحيح مسلم	٩٤
٢٤.	أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ	سَلَمَةُ بْنُ الْمُحَبِّقِ	إسناده حسن	٣٥
٢٥.	إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ	أُمُّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ	صحيح البخاري	١١٦
٢٦.	أَنَّهُ أَتَى بِامْرَأَةٍ مُجِحٍّ عَلَى بَابِ	أَبُو الدَّرْدَاءِ	صحيح مسلم	١٥٢
٢٧.	أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِﷺ فِي	عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ	إسناده صحيح	٤١
٢٨.	أَنَّهُ لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أَقْبَلَتِ امْرَأَةٌ	الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ	إسناده حسن	١٥٤
٢٩.	بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِﷺ فِي حَاجَةٍ	جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ	صحيح البخاري	٣٤
٣٠.	تَنَفَّلَ رَسُولُ اللَّهِﷺ سَيْفَهُ ذَا الْفَقَارِ	عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ	إسناده حسن	٤٦
٣١.	جَاءَ الْحَارِثُ الْغَطَفَانِيُّ إِلَى	أَبُو هُرَيْرَةَ	إسناده حسن	٤٨
٣٢.	جَمَعَ رَسُولُ اللهِﷺ فِي غَزْوَةٍ	مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ	صحيح مسلم	٦٩
٣٣.	حَارَبَتِ النَّضِيرُ، وَقُرَيْظَةُ، فَأَجْلَى	عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ	متفق عليه	١٢٣
٣٤.	حَاصَرَ رَسُولُ اللهِﷺ أَهْلَ	عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو	صحيح مسلم	٩٢
٣٥.	خَرَجَ النَّبِيُّﷺ عَامَ الحُدَيْبِيَةِ فِي	المِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانُ بْنُ الحَكَمِ.	صحيح البخاري	٥١
٣٦.	خَرَجَ رَسُولُ اللهِﷺ قِبَلَ بَدْرٍ	أُمُّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ	صحيح مسلم	٧٠
٣٧.	خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِﷺ فِي غَزْوَةٍ	أَبُو كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ	إسناده حسن	٤٤
٣٨.	خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِﷺ، فِي غَزَاةٍ	الْأَسْوَدُ بْنُ سَرِيعٍ	إسناده صحيح	١٥١
٣٩.	خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِﷺ، فِي غَزْوَةٍ	أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ	صحيح البخاري	١٠٦
٤٠.	سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِﷺفِي غَزْوَةٍ	جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ	صحيح مسلم	٣٧،٤٥
٤١.	سَمِعَ رَسُولَ اللهِﷺ، يَقُولُ عَامَ	عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ	صحيح البخاري	١١٢
٤٢.	سُئِلَ رَسُولُ اللهِﷺ عَنْ سُتْرَةِ	أُمُّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ	صحيح مسلم	١٠٨
٤٣.	شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِﷺ حُنَيْنًا	أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفِهْرِيَّ	صحيح لغيره	١٢٤
٤٤.	صَلَّى النَّبِيُّﷺ الصُّبْحَ قَرِيبًا مِنْ	أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ	متفق عليه	١٤٨
٤٥.	صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ	عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ	حسن لغيره	١٣٦

٤٦.	غَزَا رَسُولُ اللهِﷺ غَزْوَةَ الْفَتْحِ	صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ	صحيح مسلم	١٣١
٤٧.	غَزَوْتُ مَعَ النَّبِيِّﷺ جَيْشَ العُسْرَة	يَعْلَى بْنُ أُمَيَّةَ	صحيح البخاري	١١٤
٤٨.	غَزَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِﷺ تِسْعَ	جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ	صحيح مسلم	١٥٧
٤٩.	غَزَوْتُ مَعَ نَبِيِّ اللَّهِﷺ غَزْوَةَ كَذَا	مُعَاذُ بْنُ أَنَسٍ	إسناده حسن	٥٧
٥٠.	غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِﷺ غَزْوَةَ	جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ	صحيح البخاري	٨٥
٥١.	غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِﷺ قَوْمًا مِنْ	جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ	صحيح مسلم	٨٣
٥٢.	غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِﷺ لِسِتَّ	أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ	صحيح مسلم	٣٨
٥٣.	فَخَرَجَ النَّبِيُّﷺ وَهُوَ يَقُولُ	أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ	صحيح البخاري	٩٣
٥٤.	قَالَ النَّبِيُّﷺ: أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ	أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ	صحيح البخاري	٩٧
٥٥.	قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ يَوْمَ الأَحْزَابِ	جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ	صحيح البخاري	٩٥
٥٦.	قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ حِمْيَرَ رَجُلًا مِنَ	عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ	صحيح مسلم	١١٧
٥٧.	قَدِمَ رَسُولُ اللهِﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ	أُمُّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ	إسناده حسن	١٤٩
٥٨.	كَانَ النَّبِيُّﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ	أُمُّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ	صحيح البخاري	٥٣
٥٩.	كَانَ النَّبِيُّﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ	أَبُو هُرَيْرَةَ	صحيح البخاري	٧٥
٦٠.	كَانَ النَّبِيُّﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ	جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ	صحيح البخاري	١٥٨
٦١.	كَانَ رَسُولُ اللَّهِﷺ قَلَّمَا يُرِيدُ غَزْوَةً	كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ	صحيح البخاري	٦٤
٦٢.	كَانَ رَسُولُ اللهِﷺ فِي سَفَرٍ	جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ	صحيح البخاري	١٢١
٦٣.	كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّﷺ يَحْكِي	عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ	صحيح البخاري	٩٤
٦٤.	كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ	جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ	صحيح البخاري	١١٥
٦٥.	كُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّﷺ لَيْسَ لَنَا	عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ	متفق عليه	١٢٢
٦٦.	كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ كُلُّ ثَلَاثَةٍ عَلَى بَعِيرٍ	عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ	إسناده حسن	٧٦
٦٧.	كُنْتُ فِي الْأُسَارَى يَوْمَ بَدْرٍ	أَبِي عَزِيزِ بْنِ عُمَيْرٍ	إسناده حسن	١٦٠
٦٨.	كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّﷺ فِي سَفَرٍ	المُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ	صحيح البخاري	١١١
٦٩.	كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّﷺ، فِي غَزَاةٍ	جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ	متفق عليه	١٣٤
٧٠.	لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ	عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ	صحيح البخاري	٥٢
٧١.	لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ	سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ	صحيح البخاري	٨٠
٧٢.	لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِﷺ لَيْلَةَ	حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ	صحيح مسلم	٨٦
٧٣.	لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللهِﷺ	كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ	متفق عليه	١٤٢

٧٤.	لَمَّا اطْمَأَنَّ رَسُولُ اللهِﷺ بِمَكَّةَ	صَفِيَّةُ بِنْتُ شَيْبَةَ	صحيح لغيره	١٢٦
٧٥.	لَمَّا بَعَثَ أَهْلُ مَكَّةَ فِي فِدَاءِ	أُمُّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ	إسناده حسن	١٦١
٧٦.	لَمَّا حُفِرَ الخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّﷺ	جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ	صحيح البخاري	٧٢
٧٧.	لَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِﷺ عَامَ الفَتْحِ	عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ	صحيح البخاري	٥٩
٧٨.	لَمَّا صَالَحَ رَسُولُ اللَّهِﷺ أَهْلَ	الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ	صحيح البخاري	٦١
٧٩.	لَمَّا قُتِلَ أَبِي جَعَلْتُ أَكْشِفُ	جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ	متفق عليه	١٥٥
٨٠.	لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ	أَبُو هُرَيْرَةَ، أَوْ أَبُو سَعِيدٍ	صحيح مسلم	٥٥
٨١.	لَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَحْزَابِ، وَخَنْدَقَ	الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ	صحيح مسلم	٧٠
٨٢.	لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ	عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ	صحيح مسلم	١٠٥
٨٣.	لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ، آثَرَ النَّبِيُّﷺ	عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ	متفق عليه	١٣٠
٨٤.	لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ، التَقَى هَوَازِنُ	أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ	متفق عليه	١٣٢
٨٥.	لَمَّا لَقِيَنِي رَسُولُ اللهِﷺ	جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ	إسناده حسن	١٥٦
٨٦.	مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلَّا أَنِّي	حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ	صحيح مسلم	٧٤
٨٧.	مَنْ تَرَكَ صَلاَةَ العَصْرِ	بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ	صحيح البخاري	٤٥
٨٨.	مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الْخَيْرَ	جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ	صحيح مسلم	٣٣
٨٩.	هَلْ صَلَّى النَّبِيُّﷺ صَلاَةَ	عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ	صحيح البخاري	١٠١
٩٠.	وَفَدْنَا إِلَى مُعَاوِيَةَ	أَبُو هُرَيْرَةَ	صحيح مسلم	٩٦
٩١.	وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ	أُمُّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ	إسناده حسن	١٤٤

تم بحمد الله